الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية أصول الدين – الخروبة –

رسالة ماجستير في الحديث بعنوان :

سنـــــد الحديـــــث بيـــن
مناهج المحدثين و مواقف المستشرقين

من إعداد الطالب:
عبد القادر بن حمو

تحت إشراف الدكتور :
محمد عبد النبي

السنة الدراسية:2008-2009

المقدمة :

التعريف بالموضوع و أهميته :

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)آل عمران102 ، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)النساء 1 ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)الأحزاب 70-71, فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى و خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، و شر الأمور محدثاتها و كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار، أما بعد ؛

فمنذ أن خلق الله آدم و الحق و الباطل في صراع دائم، و لا زال هذا الصراع إلى أن يرث الله الأرض و من عليها, لأنه سنة كونية في كل عصر و مصر يدور هذا الصراع على أشكال مختلفة بين طوائف شتى، و لما بزغ فجر الإسلام كاد له خصومه من كل حدب و صوب، و رموه عن قوس واحدة رجاء إطفاء نوره أو تزييف حقائقه (**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) التوبة32، و المطلع على كتب التاريخ يجد ذلك جليا واضحا و التاريخ يعيد نفسه، و تلك الأيام نداولها بين الناس، فقد اصطفى الله لشريعته أناسا اختارهم على علم ينفون عن شريعته انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين وإرجاف المرجفين، يستعملهم في دينه إلى أن تقوم الساعة، و في هذا العصر برز إلى الوجود طائفة من الناس عُرفوا بالمستشرقين, وهم دارسون من الغرب عُنوا بدراسة الشرق وعلومه, وهم أصحاب مكانة مرموقة في الجامعات الأجنبية و تأثير عميق على الرأي الخاص والعام في العالم, قاموا بدراسات حول الإسلام والمسلمين, وخرجوا بآراء يحق لنا وصفها بالمثيرة تبعث على البحث والتحقيق, وذلك من حيث مساسُها بالعقيدة الإسلامية, أرادوا بها البحث العلمي وحب الإستزادة

من العلم و الإطلاع على ثقافة الآخر فيما يبدو للناظر و القارئ, على الرغم أن هذه الحقائق تخالف كثيرا مما استقر عند المسلمين, مما سطره أعلامها وعلماؤها خلفا عن سلف .

ومما يزيد الأمر إشكالا تأثر ثلة من المفكرين بمواقف أولــئك المستشرقين من القرآن و السنة وهذا يعطي وزنا كبيرا لدراساتهم، وبما أنه من العسير زعزعة الثقة في القرآن الكريم اتجهت أنظارهم إلى الحديث النبوي بدراسات عديدة، حاولوا فيها أن يشككوا في منهج التوثيق الذي سلكه علماء المسلمين لذا انبرت أقلام للرد على ما توصل إليه المستشرقون في هذا الجهد وذلك من خلال عرض بعض آرائهم في السند والرد عليها و آثرنا تسمية هذا البحث " **سند الحديث بين مناهج المحدثين و مواقف المستشرقين**", وقد رأيت أن تكون الإشكالية عبارة عن التحقق من إحدى الفرضيتين الآتيتين .

الإشكاليـــة :

– ما مدى دقة النتائج التي توصل إليها المستشرقون, وهل اعتمدوا منهجا دقيقا للوصول إليها ؟

– وهل يمكن أن يكون منهج المحدثين في حفظ وتوثيق السنة النبوية عرضة للنقد وإمكانية الإستدراك والتصحيح أم كان مبنيا على قواعد سليمة ؟.

المنهجية المتبعــة :

لقد اعتمدنا في هذا البحث على المناهج التالية :

– المنهج التاريخي الذي يوضح بعض معالم المنهج النقدي ومراحل تطوره, وكذا بواكير العمل الاستشراقي .

– المنهج التحليلي الذي يغوص في دراسة الآراء والأقوال والنتائج التي خلص إليها المستشرقون .

نقد المصادر و المراجع (الدراسات السابقة) :

لا يخلو أي موضوع من دراسات سابقة، إلا أنه تتعدد وجهات نظر الباحثين في تناوله بحسب تعدد زواياه بطروحات مختلفة، تصيب أحيانا في معالجته و تخفق أخرى، وموضوع الاستشراق كغيره من المواضيع قد خاضت فيه أقلام وزلت فيه أفهام، إلا أن الدراسات حوله فيها نقص ظاهر، جلها في التعريف به و تاريخ نشأته ومجالاته، وأهدافه، ومن بين هذه الكتب، أنور الجندي في كتابه "**معلمة الإسلام**"[1] حيث وضع فيه مباحث حول الاستشراق والمستشرقين، بين أخطاره على أمة الإسلام، **و**عبد الرحمان حبنكة الميداني في كتابه "أجنحة المكر الثلاثة و خوافيها"[2]، حيث تناول الاستتشراق وعلاقته بالإستعمار والتبشير، ومحمد الفيومي في كتابه" الاستشراق رسالة الاستعمار"[3]، و محمود حمدي زقزوق وكتابه "الإسلام في الفكر الغربي"[4]، سعدون محمود الساموك وكتابه" الوجيز في علم الإستشراق"[5], حاكم عبيسان المطيري، "تاريخ تدوين السنة و شبهات المستشرقين"[6]، وعبد القهار العاني وكتابه "الإستشراق والدراسات الإسلامية"[7]، ومحمد بن مطر الزهراني وكتابه "تدوين السنة النبوية نشأته و تطوره"[8]، ومن أهم الكتب التي تناولت موضوع شبه المستشرقين بشيء من التوسع الكتاب القيم لمصطفى السباعي "السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي"[9]، حيث أصبح مصدرا لمن بعده، ونقل عنه جل الباحثين في هذا الميدان، حيث تعرض الدكتور مصطفى فيه إلى الرد على شبهات غولد زيهر خاصة في كتابه " العقيدة والشريعة"، مع الرد الوافي على أبي رية وكتابه " أضواء على السنة المحمدية" ، كما لا يقل كتاب الدكتور مصطفى

1- وهو كتاب مطبوع بالقاهرة بدار الصحوة، سنة 1991م .

2- كتاب مطبوع للمرة السابعة بدار القلم, دمشق سنة, 1994م.

3-كتاب مطبوع بدار الفكر العربي بمصر.

4- كتاب مطبوع بدار القلم, للمرة الثانية بالكويت, سنة 1986م .

5- كتاب مطبوع بدار المناهج, الأردن, سنة 2003م .

6- كتاب مطبوع بمجلس النشر العلمي, الكويت, سنة 2002م .

7- كتاب مطبوع بدار الفرقان, عمان, سنة 2001 .

8- كتاب مطبوع بدار الهجرة, الرياض, سنة 1996م .

9- كتاب مطبوع بدار المكتب الإسلامي .

الأعظمي" دراسات في الحديث النبوي و تاريخ تدوينه"[1]، عن سابقه في الأهمية، وتناول الدكتور الأعظمي الرد على مزاعم المستشرقين، حيث تناول فيه في الجزء الأول منه فصلا للحديث عن كتابة الحديث وتدوينه وما يدور حول نظام الإسناد، وبعض الشبهات التي أثيرت حول السنة قديما وحديثا، كما تكلم عن الذين تأثروا بشبه المستشرقين من أبناء جلدتنا، كأبي رية وتوفيق صدقي ومحمد عبده ورشيد رضا وأحمد أمين وإسماعيل أدهم، وعلى كل حال فالمؤلفات في هذا الميدان قليلة ولا زال فيه إعواز ظاهر مما يستلزم تظافر الجهود من جميع الدول الإسلامية .

الصعــوبات التي واجهتها في البحث :

ينقسم البحث في مجمله إلى شطرين أساسيين, مبحث يتناول الكلام عن الحديث النبوي وكيفية تمييز الصحيح من السقيم وقواعد الرواية عند علماء الحديث, وهذا القسم مادته وفيرة والكتب المؤلفة فيه لا تعد ولا تحصى قديما وحديثا, مما سهل سبل البحث فيه, أما الشطر الآخر فيتكلم عن الاستشراق والمستشرقين والشبه الموجهة للحديث وسنده ونظام روايته، فكان في ذلك شبه استحالة في الحصول على كل الكتب المؤلفة في هذا الصدد رغم كثرة المراسلات إلى العربية السعودية وفرنسا رجاء الحصول على الكتب الأصلية للمستشرقين الذين تكلموا على نظام الإسناد، لأنها عندنا نادرة لأسباب منها أن هذا الميدان لا تزال دراسته عندنا غضة طرية، فاجتهدت في تحصيلها فلم أنل إلا بعضها و التي تعد على أصابع اليد، واعتمدت في النقولات الأخرى على بعض الكلام لهؤلاء المستشرقين المسطر في مؤلفات عربية ساقوها للرد عليهم، كالأستاذ الأعظمي، والأستاذ السباعي، والحقيقة التي نعترف بها أن الحركة العلمية عندنا لا تزال في بدايتها خاصة في هذا الميدان، فلا عجب أن نكون اليوم من الدول التي تسعى إلى تملك رصيد ثقافي لا بأس به في هذا الميدان، ولذا لم نجد إلا بعض الكتب التي تعد على أطراف الأصابع، ككتاب مالك بن نبي" ظاهرة الاستشراق"[2]، أو بعض البحوث المنثورة في

---

[1]– كناب مطبوع للمرة الثالثة بشركة الطباعة السعودية الرياض, سنة 1981م, و نال به مؤلفه جائزة الملك فيصل للبحوث الإسلامية .

[2]– كتاب مطبوع بدار الفكر, الجزائر, سنة1987م .

بطون المجلات، كالبحث الذي أورده الأستاذ سعد بوفلاقة " المستشرقون بين الإنصاف والتجني " بمجلة بونة الباتنية، أو بحث الدكتور أحمد عميرة " موقف المستشرقين من السنة النبوية "، بمجلة المعيار القسنطينية، إلا أنه توجد بعض البحوث الأخري التي من لم تكتحل أعيننا برؤيتها، هذا إضافة إلى صعوبة التنقل إلى الجزائر العاصمة للبحث والتنقيب .

و رغم ذلك فقد بذلنا الوسع و استنفذنا الجهد من أجل إخراج رسالة متكاملة شاملة لجوانب الموضوع المطروح، و نأمل أن نكون قد وفقنا في ذلك، ولا ندعي الكمال لعملنا, والله نسأل التوفيق و السداد في العاجل و الآجل .

خطة البحث :

الفصل الأول: مباحث حول الإسنـــــاد .

تمهيد حول الموضوع و أهميته .

التعريف بالمصطلحات المتعلقة بالبحث .

المطلب الأول : أقوال العلماء في سند الحديث و أهميته .

المطلب الثاني : بيـــان أن الإسنـــاد من خصائص الأمـــة .

المطلب الثالث : الإسناد عند أهل الكتاب .

المبحث الثاني: الإسنـــاد عند أهـــل الكتـــاب .

المطلب الأول :الإسناد عند اليهود.

المطلب الثاني :الإسناد عند النصارى.

الفصل الثاني : مباحث حول الاستشراق و المستشرقين .

تمهيد حول الزوابع في وجه الإسلام وأن الإستشراق حلقة منها.

المبحث الأول :الاستشراق، تعريفه، ظهوره، أهدافه، ميادينه .

المطلب الأول : تعريف الاستشراق .

المطلب الثاني : ظهور الاستشراق و تطوره .

المطلب الثالث : أهـــداف الاستشـــراق .

المطلب الرابع : ميادين الاستشراق .

<u>المبحث الثاني</u> : دوافع الاستشراق .

المطلب الأول: الدافـــع الدينـــي .

المطلب الثاني: الدافـــع الإستعمـــاري و السياســـي .

المطلب الثالث: الدافـــع العلمـــي .

المطلب رابع : الدافـــع التجـــاري.

المطلب خامس: الدافـــع الأدبي و الفني .

<u>الفصل الثالث</u> : المستشرقون الذين تكلموا حول نظام الإسناد وأهم مؤلفاتهم .

تمهيد حول أهمية الموضوع .

المبحث الأول : أهم المستشرقين الذين تكلموا عن الإسناد .

المطلب الأول : جولد زيهر .

المطلب الثاني : جوزيف شاخت .

المطلب الثالث : دوزي رَنِهَرت

<u>المبحث الثاني</u> : خلاصة شبهات المستشرقين حول الإسناد والرد على ذلك .

المطلب الأول : شبه المستشرقين حول السند .

المطلب الثاني : شبه المستشرقين حول زعم تطور الحديث عند المسلمين .

المطلب الثالث : شبه المستشرقين حول الوضـــــع و الرد على ذلك .

المطلب الرابع : شبه المستشرقين حول تدوين الحديث .

المطلب الخامس : شبه المستشرقين حول منهج النقد عند المسلمين .

<u>الفصل الرابـــع</u>: أهم المفكرين الذين تأثروا بشبه المستشرقين .

المبحث الأول : ضرورة إيجاد البديل عن كتب المستشرقين بتآليف إسلامية متخصصة .

المبحث الثاني: أثر المستشرقين في نظرتهم إلى السنة .

المطلب الأول : تأثر أحمد أمين ونبذة عن حياته .

المطلب الأول : تأثر طه حسين ونبذة عن حياته .

المطلب الأول : تأثر أبو رية .

المطلب الرابع: تأثر محمد أركون و نبذة عن حياته .

الفصـــل الأول :

مباحث حول الإسنــــــاد

مدخل حول أهمية الموضوع :

يقول الله سبحانه في محكم التنزيل : " إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون"(الحجر:9) ولاشك أن الله حفظ القرآن كما حفظ السنة، كيف لا و هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام، زيادة على أن القرآن أحوج للسنة من السنة للقرآن وتلك حكمة الله سبحانه، وهذا موضوع ظاهر فلا داعي للخوض فيه، ومما هو معلوم مشهور أن السنة نقلت عبر القرون حفظا في الصدور و السطور، إذ قيض الله لهذه المهمة رجالا لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذ كر الله، فباعوا الغالي و النفيس في سبيل حفظ سنة نبينا صلى الله عليه و سلم، فخشيتهم و تحريهم و رحلاتهم لجمع السنة وبحثهم عن أحوال الرجال و غيره من العناء, لا يقدره إلا من جرب هذا العلم الشريف، ووقف على حالهم و أحوالهم في ظعنهم وإقامتهم، لأن أساس حفظ السنة هو سند الحديث و الذي هو عبارة عن سلسلة من الرواة ينقل الحديث لاحقهم عن سابقهم حتى يصل إلينا، وتحتاج معرفة وثاقة الحديث من عدمها إلى صبر أغوار رواته حفظا و فهما و عدالة و ضبطا و معاصرة على ما تعارف عليه علماء هذا الفن من قوانين الرواية، وهذا كي يصل إلينا الحديث صافيا نقيا من الدس و التحريف.

يقول أنور الجندي : "وإن من يطلع على القرآن و السنة يجد أن للسنة الأثر الأكبر في اتساع التشريع الإسلامي و عظمته و خلوده، هذا التشريع العظيم الذي بهر أنظار علماء القانون في جميع أنحاء العالم، هو ما حمل و يحمل أعداء الإسلام في الماضي و الحاضر على مهاجمة السنة و التشكيك في صحتها و روايتها من أعلام الصحابة "[1] .

لذلك فإن المجتمع الغربي لما ظهر له أن الحروب و الغزوات العسكرية لا تجدي وحدها لإزاحة الأمة الإسلامية عن طريقها، تفتقت أذهان السّاسة و رجال الكنيسة على استخدام المستشرقين و المبشرين، وقام هذا في أول الأمر على أكتاف الآباء و الرهبان، ولا يزال حتى اليوم يعتمد على أولئك وإن تظاهروا بأنهم يؤدون رسالة دينية خيرية[2] .

و سواء كانت أسباب تشويه الإسلام ناجمة عن حسن نية أو جهل أو سوء قصد فتلك احتمالات تفسر الدافع الباطن للاستشراق، لكنها تمثّل أخطر الأعمال التخريبية للشخصية

- أنور الجندي، معلمـــة الإســـلام، دار الصحوة، القاهر1991م، ص 15 .

2- مصطفى حكمي، الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث، دار الدعوة – القاهرة، 1998م ، ص1-7 .

الإسلامية، كما تساهم مساهمة فعالة في تشويه الإسلام وتقديمه للأجيال على أنه نتاج خليط مشوه من يهودية و مسيحية و وثنية عربية، الشيء الذي يؤدي إلى زعزعة الفكر الإسلامي ونجاح عملية التغريب للشخصية الإسلامية عن دينها و لغتها و ثقافتها، وتنفك عن عروتها الوثقى [1] .

لقد ركز المستشرقون في حملاتهم على الإسلام خاصة على السنة النبوية الشريفة قاصدين من وراء ذلك النيل من الإسلام وذلك بالطعن في المصدر الثاني من مصادر الشريعة، ولهذا وجدنا من المفكرين المسلمين من ينحو منحى المستشرقين في إنكار حجية السنة[2]، و قد بنى المستشرقون رأيهم على منهج خاطئ، وخلصوا إلى أن السند اعتباطي و شكلي، و كل هذا منهم لهدم صرح الإسلام وطمس معالمه في وجه شباب الإسلام، و محاولة منهم لفصل الكتاب عن السنة، وبذلك يخلو لهم الجو لتكييف القرآن حسب أهوائهم، إضافة إلى غمز و لمز أبرز رجالاته و تتبع سقطاتهم و جعلها منهجا مطردا في هدم كل ما بناه علماؤنا رحمهم الله مع ادعائهم أن البحث العلمي النزيه هو الذي دفعهم إلى الصدع بالحق, فاتخذوه مطية لكل عيب ومنقصة وصموا بها الإسلام وهو منها برآء , و قبل الخوض في البحث رأينا أن نعرف بـــالمصطلحات المتعلقة بالبحث لكي تكون مفتاحا لما استغلق من العنوان .

<u>الحديــث</u> : نقيض القديم, و الحديث الجديد من الأشياء، و الحديث الخبر يأتي على القليل و الكثير، و الحديث ما يحدث به المحدث تحديثا[3]، و في اصطلاح المحدثين علم يشتمل على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله, وروايتها, وضبطها, وتحرير ألفاظها[4]، قال الحافظ ابن حجر:" الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره و من ثم

1- محمد إبراهيم الفيومي، <u>الإستشراق رسالة استعمار</u>، دارالفكر العربي، مصر، ص108.

2- محمد عبد السلام محمد و آخرون، محمد عبد السلام و آخرون، <u>دراسات في الثقافة الإسلامية</u>، ط5، مكتبة الفلاح- الكويت، 1987م، ص249.

3 – جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، <u>لسان العرب</u>، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1426هــ/2005م، ص852، 854 .

4- جلال الدين السيوطي, <u>تدريب الراوي في شرح تقريب النووي</u>, دط ,ج1مكتــبة الإيمان, المنصورة , دت, ص29 .

قيل لمن يشتغل بالتواريخ إخباري ولمن يشتغل بالسنة النبوية محدث" [1] وورد في دائرة المعارف الإسلامية أن لهذه الكلمة معنى عاما و هو الخبر والمحادثة دينية كانت أو غير دينية، ثم أصبح لها معنى خاص هو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من قو ل أو فعل، و في هذا المعنى على حملة الكتاب المقدس عند المسلمين اسم الحديث، ويطلق على العلم الخاص بالحديث[2] .

والحديث الشيء الذي ظهر حديثا ... وعند أهل اللغة أمر يقوم بالفاعل، أي معنى قائم بغيره سواء صدر عنه كالضرب و المشي أو لم يصدر كالطول و القصر[3].

و المحدث من يحمل الحديث و يعتني به رواية و دراية[4].

المنهــج:

طريق نهج: بين واضح، ومنهَجَ الطريق وضَّحهُ و أَنْهَج الطريقُ وضُح و استبان و صار نهجا بينا واضحا، و المنهج الطريق الواضح، و نهجت الطريق أبنته و أوضحته، و نهجت الطريق سلكته, وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه[5].

و المناهج جمع منهج وهو كالنهج والمناهج الطريق الواضح[6]، وهو بالمفهوم الذي نعنيه العمل على ضبط الجهود العلمية والفكرية ووضع الأطر والإجراءات أوالتصورات والقواعد العامة التي يمكن اعتمادها بما يكفل الوصول إلى الحقيقة[7]، والمناهج هي أيضا الطرق التي يتبعها المحدثون في رواية الحديث في تضعيفه وسياق أسانيده والمقاصد الفقهية والفنية

1– أحمد بن علي بن حجر العسقلاني, نزهة النظر بشرح نخبة الفكر, شركة الشهاب, الجزائر, ص7 .

2– دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشناوي و آخرون، ج7، دار المعارف–لبنان، ص330.

3 – محمد علي الفاروق التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، مج2، وزارة الثقافة و الإنشاء القومي، 1382هـ– 1963م، ص13.

4 – سميح عاطف الزين، الثقافة و الثقافة الإسلامية، ط4، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، بيروت– لبنان، 1993م، ص71.

5 – ابن منظور، مصدر سابق،ج6، ص 4554.

6– الرازي، مختار الصحاح، تحقيق أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، 2004م، ص329.

7– محمد على العمري، منهج المحدثين في النقد وأهمية استخدامه في إعادة صياغته التاريخ الإسلامي، مجلة أبحاث اليرموك، مج7، العدد01، 1991م، ص153.

الإسنادية التي يرمزون إليها من ذلك[1]، وبصيغة أخرى هي الطرق التي يتبعها المحدثون في رواية الحديث ونقده[2] .

ولا يخفى ما للمنهج من فوائد جمة منها الدقة في رواية الحديث أثناء تناقله ومنها التمييز بين ما هو مقبول وما هو مردود مع معرفة شروط قبول الرواية ومعرفة مراتب الرواة جرحا وتعديلا ومعرفة الأسانيد اتصالا وانقطاعا وبالتالي الأحاديث قبولا وردا، ومن فوائد المنهج الوصول إلى التفريق بين الحديث الصحيح من غيره[3]، هذا العلم الذي قال عنه ابن رجب أنه قمة البحث النقدي في فن الحديث وموقعه موقع الرأس من الجسد[4]، وعليه فقد ضبط هذا المنهج ضبطا لا يقاربه ضبط وقعد تقعيدا لا يقاربه تقعيد في الدنيا كلها سواء في الرواية الشفهية أو الكتابية[5].

المستشرقون:

نجد في لسان العرب في مادة شرق، شرقت الشمس تشرق شروقا و شرقا طلعت، و اسم الموضع المشرق، و التشريق الأخذ في ناحية المشرق، و الشرقي الموضع الذي تشرق فيه الشمس من الأرض[6] .

و يقول ابن فارس الشين و الراء و القاف أصل واحد يدل على الإضاءة و من ذلك شرقت الشمس إذا طلعت[7].

1- نور الدين عتر، مناهج المحدثين حدودها غاياتها ومصادرها، مجلة الأحمدية، العدد05، محرم 1421هـ، ص 25 .

2- صالح أحمد رضا، في سبيل تأصيل مناهج المحدثين، مجلة الأحمدية، العدد08، جمادى الأولى 1422هـ، ص 155-156.

3- بدر الدين بن جماعة، المنهل الروي مختصر علوم الحديث النبوي، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان، ط2، دار الفكر دمشق سورية، 1975م، ص111، ص41-52، وانظر:

- نور الدين عتر، مرجع سابق، ص28.

4- ابن رجب، شرح علل الترميذي، تحقيق نور الدين عتر،ط1، ج1، دار الملاح للطباعة، 1978م، ص8.

5- نور الدين عتر، مرجع سابق، المقدمة .

6 - ابن منظور، مصدر سابق، ج5، ص911-913.

7 - أحمد بن فارس ، مصدر سابق، ج 3، ص264.

و استشرق يستشرق استشراقا, الأوروبي اهتم بالدراسات الشرقية، واستشرق مصدر استشرق، وحركة الاستشراق اتجاه الغربيين نحو العناية بتراث المشرق و حضاراته، والشرق الأدنى: اسم يطلق على مناطق آسيا الغربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط وشمال تركيا و قبرص وسورية ولبنان و فلسطين و مصر، والشرق الأوسط اسم يطلق على بعض مناطق آسيا الجنوبية الغربية و شبه الجزيرة العربية و الأردن و لبنان و تركيا و إيران و مصر و السودان و حتى أفغانستان أحيانا، و الشرق الأقصى اسم يطلق على بلدان آسيا الشرقية و اليابان و كوريا و الصين و الهند و الفلبين و الفيتنام و تايلاند و بورما و ماليزيا و إندونيسيا[1]، ويختلف العلماء بشأن الأقطار التي تشكل الشرق الأوسط والكثير منهم يتفق على أن الإقليم يتكون من قبرص ومصر ولبنان و عمان وقطر و البحرين وإيران و العراق و فلسطين المحتلة و الأردن و الكويت والإمارات المتحدة العربية و اليمن و المملكة السعودية والسودان وسوريا وتركيان، ومساحتها مجتمعة حوالي 9694000كلم، كما أن عدد سكانها يصل إلى حوالي 262 مليون نسمة ، وتحتل منطقة الشرق الأوسط منطقة اقتصادية مهمة، إذ أنها تختزن في باطنها أكبر احتياطي للنفط كما تعتبر أكبر منتج له في العالم[2]، و معرفة ماذا نعنى بالشرق بأقسامه الثلاث خاصة الشرق الأوسط يعيننا على إلقاء نظرة واعية على أهداف و دوافع و أسباب الاستشراق و المستشرقين فيما بعد.

موقـــف:

في مادة وقف عند ابن منظور الوقوف خلاف الجلوس، وقف بمكان وقفا و وقوفا فهو واقف و الجمع وقف و وقوف، و المواقف الموضع الذي تقف حيث كان و توقيف الناس في الحج وقوفهم بالمواقف[3],و نعني به هنا مواقف وقف عندها المستشرقون في نقد السنة النبوية لاينبغي عليهم أن يقفوها, لأنها مبنية على غير منهج أصيل.

---

1 – مجموعة علماء اللغة، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، لاروس، 1989م، ص683.

2 – الموسوعة العربية العالمية، ط2، ج14، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، الرياض، 1419هـ/ 1999م، ص97.

3 – ابن منظور، مصدر سابق، مج6، ص4898.

السـنـد :

السند ما ارتفع من الأرض في قِبل الوادي والجمع أسناد، وكل شيء أسندت إليه شيئا فهو مُسند، وساندت الرجل مساندة إذا عاضدته و كاتفته، وفلان سَند أي معتمد، و المُسنَد من الحديث ما اتصل إسناده حتى وصل إلى النبي صلى الله عليه و سلم، والإسناد في الحديث رفعه إلى قائله[1] .

و السند سلسلة رواة الحديث الذين ينقلونه واحدا إلى الآخر إلى النبي صلى الله عليه و سلم، وتستعمل كلمة الطريق أو الوجه أو الإسناد بنفس المعنى[2] .

والحديث يتألف من شطرين، الشطر الأول عبارة عن أسماء الرواة الذين نقلوا المتن أحدهم عن الآخر، ويسمى هذا الشطر الإسناد أو السند، أي البرهان على صحة الرواية، فمن يروي الحديث يقول سمعت فلانا أو حدثني فلان عن فلان، وهكذا يبدأ الإسناد بالمحدث ثم يذكر سلسلة السند إلى أن يرفع الحديث إلى مصدره الأول[3] والشطر الثاني هو المتن أي الكلام الذي يسوقه المسنِد سواء كان مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أوموقوفا على الصحابي أو مقطوعا عن تابعي من التابعين أو تابعيهم.

المطـلب الأول:

أقوال العلماء في سند الحديث و أهميته :

للإسناد مكانته و أهميته في الإسلام، إذ الأصل في ذلك تلقي الأمة لهذا الدين عن الصحابة رضوان الله عليهم، و هم تلقوه عن رسول رب العالمين محمد صلى الله عليه و سلم، وهو تلقاه عن رب العزة جل جلاله بواسطة وبدون واسطة، كذلك ما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:" قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " تَسمعون ويُسمع

1- نفســه، ج3، ص2114 . وانظر :
- أحمد بن فارس، مصدر سابق، ج3، ص105 .
- أبو حاتم الرازي، مصدر سابق، ص161.

2- عبد الكريم اسماعيل الصباح، الحديث الصحيح و منهج علماء المسلمين في التصحيح، ط1، مكتبة الرشد الرياض 1419هـ/ 1998م، ص16-17 . وانظر :
- محمد بن مطر الزهراني، علم الرجال نشأته و تطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، ط1، دار الهجرة – السعودية, 1417ه-/ 1996م، ص15.

3- دائرة المعارف الإسلامية، ج7، ص330-331 .

منكم ويُسمع ممن سَمع منكم"[1]، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه و سلم في هذا الحديث أربع طبقات في رواة الحديث، وهذه الخامسة التي نحن فيها[2] .

و روى مسلم عن محمد بن سيرين قال:" الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء "[3]، وذلك لأن الإسناد وسيلة لتمييز الأحاديث الصحيحة و الضعيفة مما يترتب عليه معرفة أحكام أو تعاليم الدين، وأخرج مسلم بإسناده إلى الإمام عبد الله بن المبارك أنه قال:" بيننا و بينهم القوائم " يعني الإسناد[4]، و أخرج بن حبان عن سفيان الثوري قال:" الإسناد سلاح المؤمن إذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل " و بإسناده إلى شعبة قال:" كل حديث ليس فيه حدثنا و أخبرنا فهو مثل الرجل بالفلاة معه البعير ليس به خطام "[5].

و كان العلماء – رحمهم الله – يتحرّون في قبول الأخبار، قال بن حبان رحمه الله:" و لسنا نجيز أن نحتج بخبر لا يصح من جهة النقل في شيء من كتبنا، لأن فيما يصح من الأخبار بحمد الله و منّه يغني عن الاحتجاج في الدين بما لا يصح منها، و لو لم يكن الإسناد و طلب هذه الطائفة له لظهر في هذه الأمة من تبديل الدين ما ظهر في سائر الأمم "[6]، ثم قال حدثنا محمد بن السبت بن إسحاق قال حدثنا عبد الله بن سعد الكندي قال حدثنا إدريس

1– أحمد بن محمد بن حنبل، المســـنـــــــــد، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج4، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة، ص340 .

– سليمان بن الأشعث السجستاني، سنـــن أبـــي داوود، مراجعة صالح عبد العزيز آل الشيخ، ط3، دار السلام للنشر و التوزيع، الرياض، 1421هـ، ص1494 .

2– أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديــث، حققه و خرج أحاديثه و آثاره عمرو عبد المنعم سليم، ط1، مكتبة ابن تيمية القاهرة، 1417هـ/1996م، ص 37.

3– محيى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، خرج أحاديثه صلاح عويضة راجعه لغويا محمد شحاته، ج1، دار المنار القاهرة، 1423هـ/2003م، ص15.

4– صحيح مسلم، المصدر السابق، ج1، ص15 .

5– محمد بن حبان، المجروحين من المحدثين و الضعفاء و المتروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط2، ، ج1، دار السوعي حلب، 1402هـ، ص 27، و انظر:

– الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص 42 .

6– نفســـه، ج1، ص25.

قال ربما حدث الأعمش بالحديث ثم يقول بقي رأس المال" حدثني فلان قال حدثنا فلان عن فلان "[1] .

و قال أبو حاتم الرازي:" فلما لم نجد سبيلا إلى معرفة شيء من معاني كتاب الله إلا من سنن رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا من جهة النقل و الرواية، وجب أن نميز بين عدول الناقلة و الرواة و ثقاتهم وأهل الحفظ و الثبت و الإتقان منهم، وبين أهل الغفلة و الوهم و سوء الحفظ و الكذب ...، و لما كان الدين هو الذي جاءنا عن الله –عز و جل– و عن رسول الله صلى الله عليه و سلم بنقل الرواة، حق علينا معرفتهم، و وجب الفحص عن الناقلة و البحث عن أحوالهم و إثبات الذين عرفناهم بشرائط العدالة والتثبت في الرواية مما يقتضيه حكم العدالة في نقل الحديث و روايته، بأن يكونوا أمناء في أنفسهم علماء بدينهم, أهل ورع و تقوى و حفظ للحديث و إتقان به و تثبت فيه و أن يكونوا أهل تمييز و تحصيل لا يشوبهم كثير من الغفلات, ولا تغلب عليهم الأوهام فيما قد حفظوه و وعوه ولا يشتبه عليهم بالأغلوطات[2] .

وروى الخطيب البغدادي بإسناده إلى أبي العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي قال سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول:" ... فليس أحد من أهل الحديث يحابي في الحديث أباه و لا أخاه و لا ولده، وهذا علي بن المديني و هو إمام عصره في الحديث لا يُروى عنه حرف واحد في تقوية أبيه بل يروى ضد ذلك، فالحمد لله على ما وفقنا " [3] .

و من هذا الذي ذكرناه يظهر تحري العلماء في الإسناد لمعرفة رجاله فردا فردا، ومعرفة حالهم و أحوالهم و ثقتهم من عدمها، و كان أول من احتاط في قبول الأخبار أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قال الذهبي فقد روى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر الصديق تلتمس أن تورّث فقال:" ما أجد في كتاب الله شيئا و ما علمت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ذكر لك شيئا، ثم سأل الناس، فقام المغيرة فقال: حضرت

1– ابن حبان، المصدر السابق، ج1، ص 27 .

2– محمد عبد الرحمان بن أبي حاتم الرازي، الجـرح و التعديــل، ط1، ج1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية– حيدر أباد الدكن–الهند، 1371هـ، ص5.

3– الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص43 .

رسول الله صلى الله عليه و سلم يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر"[1] .

ونقل أيضا في ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه هو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب، فروى جرير عن أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال ما منعك؟ قلت: استأذنت فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع " فقال: لتقيمن عليه ببينة، أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه و سلم؟ فقال أبي بن كعب: و الله لا يقومن معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه و سلم قال ذلك "[2] .

و قد تبع عمر على ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنهم، و من التفتيش و البحث عن هذا الشأن ما ساقه ابن حبان قال:" ذُكر عن عبد الله بن قحطبة بفم الصلح[*]، قال حدثنا أحمد بن زكريا الواسطي قال سمعت أبا الحارث الوراق يقول جلسنا على باب شعبة نتذاكر السنة, فقلت حدثنا إسرائيل عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:" من توضأ فأحسن الوضوء دخل من أي أبواب الجنة شاء " فخرج شعبة وأنا أحدث بهذا الحديث فصفعني ثم قال: يا مجنون سمعتَ عبد الله بن عطاء يحدث عن عقبة بن عامر؟ قال: سمعتَ عبد الله بن عطاء؟ قلت: عبد الله سمع من عقبة بن عامر؟ فقال أسكت، فقلت لا أسكت، فالتفتُ إلى مسعر بن كدام فقال: يا شعبة، عبد الله بن عطاء حي بمكة، فخرجت إلى مكة و لقيت عبد الله بن عطاء، فقلت حديث الوضوء، فقال: عقبة بن

1– أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، تذكـرة الحفـاظ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1374هـ، ص2 .

2– نفسـه، ج1، ص 06 . و انظر القصة بلفظ مقارب عند :

– زكي الدين عبد العظيم المنذري، مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط1، قصر الكتاب البليدة، دار ابن عفان للنشر و التوزيع–المملكة العربية السعودية، المكتبة الإسلامية عمان–الأردن، 1411هـ، ص369–370 .

*– فمُ الصلح: هو نهر كبير فوق واسط بينهما و بين جَبُّل، عليه عدة قرى، و فيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون، و فيه بنى المأمون ببوران، و قد نسب إليه جماعة من الرواة و المحدثين و غيرهم، و هو الآن خراب . أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط1، ج4 دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1410هـ/1990م، ص313 .

عامر؟ فقلت: يرحمك الله سمعت منه؟ فقال: لا، حدثني سعد بن إبراهيم، فمضيت، فلقيت سعد بن إبراهيم، فقلت حديث الوضوء، فقال من عندكم خرج، حدثني زكريا بن مخراق، فانحدرت إلى البصرة فلقيته و أنا أشحب اللون وسخ الثياب كثير الشعر، فقال: من أين؟ فحدثته الحديث، فقال: ليس هو من حاجتك، قلت: فما له؟ قال: حتى تذهب فتدخل الحمام و تغسل ثيابك ثم تجيء فأحدثك به، قال: فدخلت الحمام و غسلت ثيابي ثم أتيته فقال: حدثني شهر بن حوشب، عمن، قال عن أبي ريحانة قال قلت هذا الحديث صعد ثم نزل، دمروا عليه ليس له أصل[1] .

قال أبو عبد الله الحاكم:" فلولا الإسناد و طلب هذه الطائفة له و كثرة مواظبتهم على حفظه، لدرس الإسلام و لتمكن أهل البدع و الإلحاد منه بوضع الأحاديث و قلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الإسناد كانت بترا"، ثم ذكر بإسناده إلى عتبة بن أبي حكيم أنه كان عند إسحاق بن أبي فروة و عنده الزهري، قال فجعل ابن أبي فروة يقول قال رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال له الزهري: قاتلك الله يا ابن أبي فروة، ما أجرأك على الله، ألا تسند حديثك، تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم و لا أزمة "[2] .

و هذا الذي ذكرناه ما هو إلا غيض من فيض و قليل من كثير من جهاد علماء الإسلام من أجل حفظ الدين و ذلك بالتحري في الإسناد، و هذه منّة منّ الله بها على المسلمين و هي خاصة بهم و مزية لهم من بين سائر الأمم.

1– ابن حبان، مصدر سابق، ج1، ص 28 .

2– الحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دط معرفة علوم الحديث، تعليق السيد معظم حسين، دت، ص 06 .

المطـــــلب الثـــــاني:

بيـــان أن الإسنـــاد من خصائص الأمـــة :

و قد بين كثير من أهل العلم أن الإسناد مما حفظ الله به السنة، وهو كما قال أهل العلم من خصائص هذه الأمة[1] .

قال ابن حبان:" و لو لم يكن الإسناد و طلب هذه الطائفة له لظهر في هذه الأمة من تبديل الدين ما ظهر في سائر الأمم، وذلك أنه لم تكن أمة قط حفظت الدين عن التبديل ما حفظت هذه الأمة حتى لا يتهيأ أن يزاد في سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه و سلم أَلِفٌ و لا واو، كما لا يتهيأ زيادة مثله في القرآن, فحفظت هذه الطائفة السنن على المسلمين و كثرت عنايتهم بأمر الدين و لولاهم لقال من شاء ما شاء "[2] .

و أخرج الخطيب بسنده إلى أبي بكر محمد بن أحمد (ت331هـ) قال:" بلغني أن الله خص هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها من الأمم: الإسناد و الأنساب و الإعراب "[3]، و مثل هذا نقل عن السيوطي قال: " قال أبو علي الحسين بن محمد الجياني الغساني (ت498هـ) خص الله هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها قبلها، الإسناد و الأنساب و الإعراب"[4].

و قال ابن حزم:" نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال, نقل خص الله به المسلمين دون سائر الملل كلها "[5].

قال الخطيب البغدادي(ت463هـ) قال أبو حاتم الرازي (ت277هـ):" لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة، فقال له رجل: يا أبا حاتم

1- أنظر في هذا الباب:- فاروق حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح و التعديل، ط3، دار طيبة للنشر و التوزيع-الرياض، 1418هـ/1998م، ص263، 280، 283، 305 .

2- ابن حبان، مصدر سابق، ج1، ص25 .

3- الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص40 .

4- جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، شرح ألفاظه و علق عليه أبو عبد الرحمان صلاح بن محمد بن عويضة، ط1، دار الكبت العلمية، بيروت-لبنان، 1417هـ/1996م، ص159-160 .

5- أبو محمد محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، الفصل في الملل و الأهواء و النحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر و عبد الرحمان عميرة، ط1، ج2، شركة مكتبات عكاظ للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية، 1402هـ/1982م، ص221 .

ربما رووا حديثا لا أصل له و لا يصح، فقال: علماؤهم يعرفون الصحيح و السقيم فروايتهم ذلك للمعرفة، ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار و حفظوها ثم قال: رحم الله أبا زرعة كان والله مجتهدا في حفظ آثار رسول الله صلى الله عليه و سلم "[1] .

و روى أيضا بإسناده إلى أبي العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي قال: " سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول: إن الله أكرم هذه الأمة و شرفها و فضلها بالإسناد, و ليس لأحد من الأمم قديمهم و حديثهم إسناد..., و هذه الأمة إنما تنص الحديث عن الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق و الأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفون الأحفظ فالأحفظ و الأضبط فالأضبط و الأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها و أكثر حتى يهذب من الغلط و الزلل, و يضبطون حروفه و يعدوه عدا, فهذا من أعظم نعم الله على هذه الأمة, نستودع الله شكرها و نسأله التثبيت و التوفيق لما يقرب منه و يزلف لديه و يمسّكنا بطاعته إنه ولي حميد "[2] .

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " و خصهم بالرواية و الإسناد..........و جعل هذا الميراث يحمله من كل خلف عدوله أهل العلم و الدين "[3]، و قال أيضا:" و علم الإسناد و الرّواية مما خص الله به أمة محمد صلى الله عليه و سلم و جعله سلما إلى الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات، و هكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات، و إنما الإسناد لمن أعظم منن الله على أهل الإسلام و السنة، يفرقون به بين الصحيح و السقيم و المعوج و القويم، و غيرهم من أهل البدع و الكفار إنما عندهم منقولات تأثروا بها بغير إسناد و عليها من دينهم الاعتماد، و هم لا يعرفون فيها الحق من الباطل و لا الحالي من العاطل "[4] .

و في هذا الذي نقلناه كفاية في أن الإسناد من خصائص الأمة المحمدية، أكرمها الله به و شرفها فأخذته مأخذ الجد و قامت به خير قيام و يشهد لها ما بقي إلى الآن مسطرا في بطون

1- الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص 42-43.

2- الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص 43 .

3- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجمـوع الفتـاوى، جمع و ترتيب محمد بن القاسم، ط1، مـج1، مطـابع الريـاض، 1381هـ، ص3 .

4- نفســه، ص09 .

الكتب التي ألفوها في هذا الفن، ولم يتعن المستشرقون البحث عن هذه الكتب ولا النقل منها، وكانت لهم الجرأة في تشكيك المسلمين في دينهم باختلاق الشبهات حول سند الحديث الشريف, وطعنهم وغمزهم في أئمة هذا الفن, ولو كلفوا أنفسهم عناء البحث العلمي الرصين والمبني على الأسس السليمة لما وقعوا في التناقضات العديدة في مؤلفاتهم .

المبحـــــث الثاني:

الإسنـــاد عند أهـــل الكتـــاب :

لقد ذكرنا في المبحث السابق أن الإسناد من خصائص أمة محمد صلى الله عليه و سلم، و لاشك أن هذا فيه إشارة إلى أن أهل الكتاب من اليهود و النصارى لم يهتموا بهذا العلم و لم يعطوه حقه، قال البقاعي, نقل محدث المغرب عبد الحي الكتاني عن كتاب سراج المريدين للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي قوله :" و الله أكرم هذه الأمة بالإسناد لم يعطه أحد غيرها، فاحذروا أن تسلكوا مسلك اليهود و النصارى فتحّدثوا بغير إسناد فتكونوا سالبين نعمة الله عن أنفسكم مطرقين للتهمة إليكم خافضين لمنزلتكم، و مشتركين مع قوم لعنهم الله و غضب عليهم، و راكبين لسنتهم"[(1)]، و قال ابن حزم رحمه الله:" نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه و سلم مع الاتصال، نقل خص الله به المسلمين دون سائر الملل كلها ....، و أما مع الإرسال[(*)] و الإعضال[(**)]، فمن هذا النوع كثير من نقل اليهود بل هو أعلى ما عندهم، إلا أنهم لا يقربون فيه من موسى عليه السلام كقربنا فيه من النبي صلى الله عليه و سلم، وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق وحده، على أن

---

[1]– علي نايف البقاعي، الاجتهاد في علم الحديث و أثره في الفقه الإسلامي، ط1، دار البشائر الإسلامية بيروت–لبنـــان، 1419هــ/1998م، ص59 .

[*]– المرسل هو أن يقول التابعي سواءً أكان كبيرا أو صغيرا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم كذا أو فعل كذا . أنظر:– أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نزهة النظر بشرح نخبة الفكر في مصطلح حديث أهل الأثر، علق عليه محمد كمال الدين الأدلهى، شركة الشهاب–الجزائر، ص36–37 .

– جلال الدين السيوطي، ألفية السيوطي في علم الحديث، تصحيح و شرح أحمد محمد شاكر، دار الرجاء –الجزائر، ص24–25 .

[**]– المعضل هو أن يسقط من رجال السند اثنان على التوالي . أنظر : ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ص37 . – السيوطي، المصدر السابق، ص25 .

مخرجه من كذاب قد ثبت كذبه ثم قال: أما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين، فكثير في نقل اليهود النصارى "[1] .

و روى الخطيب عن محمد بن حاتم بن المظفر قوله:" و ليس لأحد من الأمم قديمهم و حديثهم إسناد و إنما هي صحف في أيديهم و قد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة و الإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم، و تمييز بين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات "[2] .

و نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قوله:" فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات "[3]، و في هذا الصدد يقول المستشرق اليهودي" غولد زيهر" أنه يريد الآن إصلاح دين إبراهيم و إعادته إلى أصله بعد أن نال منه التغيير و الإفساد و كان كثيره مختلطا ببعض التقاليد القديمة التي تتعلق بدين إبراهيم، فالشعائر التي أسسها قد سبق و أن وضع أسسها إبراهيم، لكنها حرفت في خلال الأزمان و الأجيال و اتجهت إلى الوثنية[4] .

و يقول رحمة الله الكيرانوي الهندي:" إن الكتاب السماوي السليم هو الكتاب الذي يكتب بواسطة نبي من الأنبياء و يصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، أما أن ينسب الكتاب إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن و الوهم فلا يكفي ذلك لإثبات أنه تصنيف الشخص المنسوب إليه، حتى لو ادعت تلك النسبة فرقة أو عدة فرق"[5]، لأن صحة السند إلى المصدر و سلامته هي الأصل الذي يُعتمد عليه في صحة المنقولات، فإذا قُدح في السند فلا سلامة للأصل .

كما نجد أن الأديان و الشرائع السماوية قبل رسالة محمد صلى الله عليه و سلم قد وقعت ضحية للشائعات و الكذب و التضليل، و ضحية لعدم التثبت في قبول الأخبار التي تستند إلى الحس، بل و عدم التدقيق كذلك عند رواية تلك الأخبار و تناقلها مما أدى إلى

1– ابن حزم، مصدر سابق، ج2، ص 219، 223.

2– الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص 43 .

3– ابن تيمية، مصدر سابق، ج1، ص9 .

4– غولد زيهر، كتاب العقيدة و الشريعة، دار الرائد العربي، بيروت –لبنان، ص12 .

5– رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي، مختصر إظهار الحق، تحقيق محمد أحمد عبد القادر ملاوي، وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف، 1416هـ/1995م، ص19 .

ضياع معظم هذه الأديان وتحريفها و التباس الحق بالباطل في معظم ما يتصل بها من تشريعات وعقائد[1]، و لقد بذلت جهود كبيرة للوصول إلى أصل الديانتين اليهودية و النصرانية و ذلك بقراءة المخطوطات والرحلة في طلبها عساها تحصل على شيء و لكن دون فائدة[2]، و حكم صحة ما في هاذين الكتابين موكول للقرآن الكريم، فما صدقه القرآن فهو المقبول و ما كذبه القرآن فهو المردود و ما سكت عنه القرآن لا نصدقه و لا نكذبه[3] وهذ ا هو المنهج الإسلامي الصحيح في الحكم على المرويات الإسرائيلية.

<u>المطـــــلب الأول:</u>

<u>السند عند اليهـــــود :</u>

لقد أجمع أهل الإسلام على أن التوراة الحقيقية هي ما نطق به موسى عليه السلام بوحي الله إليه[4]، و نقل الندوي قول المستشرق الفرنسي "موريس بوكاي":"إن العهد الجديد يتكون من مجموعة من المؤلفات الأدبية أُنتجت على مدى تسعة قرون تقريبا، وهو يشكل مجموعة متنافرة جدا من النصوص عَدَّل البشر من عناصرها عبر السنين، وقد أضيفت لأجزاء أخرى كانت موجودة من قبل، بحيث أن التعرف على مصادر هذه النصوص اليوم عسير جدا في بعض الأحيان"[5]، فنجد أن تواتر التوراة منقطع بين سيدنا موسى عليه السلام و يوشيا بن آمون كاتب التوراة[6]، و يعتبر اليهود التوراة جزءً من العهد القديم و هي عبارة عن خمسة أسفار أنزلت على موسى عليه السلام و هي سفر التكوين أو بدء الخلق، و سفر الخروج، و سفر اللاوين، و سفر العدد، و أخيرا سفر التثنية[7] .

1- عزية طه، <u>التثبت في قبول الأخبار و رواياتها</u>، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، العدد6، 1406هـ/1986م، ص82 .

2- نفســـــه، ص85-86 .

3- رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص34 .

4- رحمة الله الكيرانوي، المرجع السابق، ص34 .

5- محمد صدر الحسن الندوي،<u>المستشرقون والقرآن الكريم</u>، ط1، ضمن البحوث المقدمة للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين بمجمع دار المصنفين بالهند، عالم المعرفة-جــدة،1405-1985، ص382 .

6- عزية طه، مرجع سابق، ص85 .

7- نفســه، ص89-90 .

و هناك تلازم قوي بين كل ديانة و كتابها المقدس، فإذا ثبت بطلان الكتاب و تحريفه لزم من ذلك فساد الديانة التي تقوم عليه، و هناك أدلة على تحريف الكتاب المقدس عند اليهود، فالكتب الخمسة المذكورة أعلاه و التي تنسب إلى موسى عليه السلام فيها إثبات قاطع في أكثر من سبعمائة(700) جملة أن الله لم يوحيها، و حتى موسى لم يكن له مشاركة فيها، و ما عليك إلا أن تفتح هذه الأسفار لترى ما يلي:" و قال الرب لموسى " (الخروج3/6)، " فقال موسى للرب " (العدد11/11)، فالضمير هنا هو ضمير الغائب كما هو واضح، مما يعني أن هذا كلام شخص ثالث يسجل أحداثا سمع عنها، كما ورد في سفر التثنية :" فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب " (سفر التثنية 5/34–7)، فهذا النص من أعظم الأدلة على تحريف الكتاب المقدس، لأنه لا يعقل أن موسى عليه السلام يكتب تفاصيل موته!![1]، كما أن هناك اختلاف في اللغة التي كتب بها كل من العهدين، فالعهد القديم دونت جميع أسفاره باللغة العبرية، و لا نستثني من ذلك إلا بعض الأجزاء اليسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية[2] .

إن الأغلاط الكثيرة و الاختلافات الموجودة بين أسفارها تنفي أن تكون التوراة الحالية هي التي جاء بها موسى عليه السلام، كما أن تأليف التوراة الحالية كان بعد وفاة موسى عليه السلام بأكثر من خمسمائة سنة[3]، أي منذ القرن التاسع إلى القرن الخامس قبل الميلاد و كان ذلك إثر الأسر البابلي الذي دفع الأحبار إلى محاولة جمـــع التوراة و يقال أن أول من جمعـــها هو يوشيا بن آمون*عام تسع و ستمائـــة قبـــل الميلاد (609ق م)، و يذكر آخرون أن الذي جمعها هو "عزرا" عام ست و ثلاثين و أربعمائة قبل الميلاد[4]، و هذا دليل على انقطاع السند عند اليهود و أنهم يقولون بالظن و التخمين، كما أن كتاب يوشع بن نون الذي هو في المرتبة الثانية بعد التوراة لا يعلم يقينا من ألفه، فمن قائل أنه فتى موسى يوشع بن

1– محمود علي حماية، دراسات في الكتاب المقدس، ط2، مكتبة النافذة،الجيزة،مصر، 2006م، ص29–30 .

2– علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، دار النهضة, مصر، 1971م، ص19 .

3– رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص23 .

*– هو ملك مملكة يهوذا و يقال أن ذلك كان سنة 622ق م. أنظر:

– ريتشارد فريدمان، من كتب التوراة، ترجمة عمرو زكريا، ط1، دار البيان، 2003م، ص92 .

4– عزية طه، مرجع سابق، ص93 .

نون و آخرون يذكرون أنه لفنحاص بن العازار بن هارون عليه السلام، و غيرهم يرجعونه إلى صمويل النبي عليه السلام، في حين يرى بعضهم أنه لأرميا النبي عليه السلام، و بين يوشع بن نون و أرميا عليه السلام أكثر من ثمانية قرون، و هذا الاختلاف الفاحش دليل كامل على انعدام الإسناد عندهم[1].

إذن فقد حرفت التوراة حيث أضيف إليها ما ليس منها، فانقسموا طوائف و لكل طائفة كتابها، فوجد تلمود أورشليم، و تلمود بابل، و غيرها و التلمود هو التوراة مع شرحها, و هذا الشرح وضعه بعض الأحبار الذين اعتبرت أقوالهم كأقوال الأنبياء بل تضارع قول موسى عليه الصلاة و السلام[2]، و لو رجعنا قليلا إلى الوراء نجد أن اليهود تعرضوا عبر تاريخهم الطويل إلى كثير من الاعتداءات و الهزائم و التشريد مما أدى إلى فقدان معظم الوثائق التي تضمنت نصوص التوراة و من ذلك الحروب بينهم و بين الرومان و البابليين، حيث نهب هيكلهم و دمرت مدينة أورشليم بأكملها عام سبعين قبل الميلاد، مم تسبب في ضياع التوراة فأعيدت كتابتها على روايات بعض الحاخامات الذين ادعوا إلمامهم بها كيوشيا بن آمون عام (609ق م)، و عزرا بين (444 و 435ق م)، و نستنتج من هذه الأقوال أن نصوص التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام قد ضاعت، و يدلنا على ذلك انقطاع سلسلة السند بين موسى عليه السلام و مؤلفي التوراة المعتبرة عند اليهود الآن[3]، وفي نهاية هذه الدراسة يبدوا واضحا أن الرأي السائد، المتمسك به في بلادنا عن نصوص الكتب المقدسة التي في حوزتنا اليوم لا يستقيم مع الواقع، ولما كانت الظروف التي سادت ميلاد كتابات كل التنزيلات الثلاثة قد اختلفت اختلافا شاسعا، فقد نجمت عن ذلك نتائج بالغة الأهمية فيما يتعلق بصحة النصوص وببعض جوانب مضامينها"[4],لذا فإن الركون إلى صحة هذه الكتب المؤلفة بأيدي الأحبار لايطمئن إليها في حال من الأحوال لأننا رأينا كيفية جمععها, ونفس الشيئ وقع مع النصارى وهذا ما سوف نراه في المبحث القادم.

1– رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص25 .

2– عزية طه، مرجع سابق، ص94-95 .

3– عزية طه، المرجع السابق، ص101-103 .

4– – محمد صدر الحسن الندوي، مرجع سابق، ص382 .

المطلب الثاني:

السند عند النصارى :

لقد أجمع أهل الإسلام أن الإنجيل الحقيقي هو ما نطق به عيسى عليه السلام بوحي الله تعالى إليه[1]، أما الإنجيل عند النصارى هو الأقوال و الأمثال التي قالها عيسى عليه السلام لحوارييه و أتباعه يضاف إليها الأحداث التي أحاطت بعيسى وحوارييه في ذلك الزمان، و يطلق النصارى اسم الإنجيل على أربعة كتب ينسبونها لأربعة مؤلفين, وهم مرقص، متى، لوقا و يوحنا، و يضاف إلى الإنجيل بعض الرسائل و الأحداث التاريخية المهمة، و يعتقد النصارى أن مؤلفي الأناجيل و الرسائل و الأحداث معصومين من الخطأ، لأنهم مؤيدون بروح القدس، بل يذهبون أكثر من ذلك، أن بابوات الكنائس في عصرنا الحاضر مؤيدون بروح القدس أيضا، و بالتالي لهم الحق في تعديل الإنجيل و تغيير بعض نصوصه[2] .

و نقل رحمة الله الكيرانوي عن "هورن" أن الحالات التي وصلت إليهم بخصوص زمان تأليف الأناجيل من القدماء الأولين أنهم صدّقوا الروايات الواهية و القصص الكاذبة و كتبوها في كتبهم، و الذين جاؤوا من بعدهم قبلوها تعظيما لهم ثم طال العهد عليها حتى تعذر تنقيحها، و عليه يتبين لكل عاقل لبيب أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد القديم و لا من كتب العهد الجديد، فلا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كتبهم مكتوبة بالوحي و الإلهام لأن هذا الادعاء باطل قطعا[3].

و يبلغ عدد الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعون(40) كاتبا، و هم من جميع طبقات البشر بينهم الراعي، و الصياد، و جابي الضرائب، و القائد، و النبي، و السياسي، و الملك...إلخ، و استغرقت مدة كتابتهم 1600 سنة، و كان جميع هؤلاء الكتاب من أمة اليهود ما عدا لوقا كاتب الإنجيل الذي دعي باسمه، إذ يظن أنه كان أميا من أنطاكية، و في الكتاب جميع أنواع الكتابة من نثر و شعر و تاريخ و قصص و حكم و أدب و تعليم و إنذار و فلسفة و أمثال[4]

1– رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص34 .

2– عزية طه، مرجع سابق، ص107–109 .

3 – رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص30–31 .

4– نخبة من علماء النصارى، قاموس الكتاب المقدس، إشراف رابطة الكنائس في الشرق الوسط، ط6، 1981م، ص762

إن في نسبة الأناجيل إلى مؤلفيها شك كبير حيث لا يوجد دليل ثابت على وجود الأناجيل قبل القرن الثاني ميلادي و أول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة "أريننوس" في سنة 209م، ثم جاء من بعده "كلمنس اسكندريانوس" في سنة 216م[1].

و بالنسبة للحواريين يضيف رحمة الله الذين هم أصحاب عيسى عليه السلام و المخلصين له فنعتقد في حقهم الصلاح و لا نعتقد في حقهم النبوة، و أقوالهم عندنا كأقوال المجتهدين و الصالحين محتملة للخطأ، و إن فقدان السند المتصل خلال القرنين الأول و الثاني و فقدان الإنجيل الأصلي يرفع الأمان عن أقوال الحواريين[2]، و بما أن رهبان النصارى لم يهتموا بإنجيل عيسى عليه السلام، و زعموا أن أقوالهم تضاهي أقوال المسيح فإنهم انقسموا إلى فرق و طوائف عدة متصارعة فيما بينها، و بالتالي وجدت عدة أناجيل و بقي الأمر كذلك إلى أن عقد مؤتمر نيقية عام 325م، حيث تم اعتماد الأناجيل الأربعة المعروفة لدى النصارى اليوم و أحرقت البقية الباقية[3] .

إن تناقض متون الأناجيل و الأخطاء الفاحشة فيها تدل على أن مؤلفي الأناجيل مشتتو الأفكار و موزعو الأهواء متنافرون مما يدل على أنهم لم يلتق بعضهم ببعض أو لم يعيشوا في عصر واحد[4] .

و قد طلب الشيخ رحمة الله من النصارى في مناظرته لهم بيان السند المتصل لأي كتاب من كتب العهدين، فاعتذروا بأن سبب فقدان السند المتصل هو وقوع المصائب و الفتن على النصارى إلى مدة ثلاثمائة و ثلاث عشرة سنة[5]، ولهذا يقول القس الدكتور"شارلس أندرسن"، في مقالة في دائرة المعارف البريطانية، يقول:" ينبغي أن يتنازل الإنسان عن محاولة وضع كتاب في سيرة المسيح، بكل صراحة، فإنه لا وجود للمادة العلمية التي تساعد

[1]- عزية طه، مرجع سابق، ص113 .

[2]- رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص34-35 .

[3]- عزية طه، مرجع سابق، ص113 .

[4]- نفســه، ص111 .

[5]- رحمة الله الكيرانوي، مرجع سابق، ص20 .

على تحقيق هذا الغرض ، والأيام التي توجد عنها بعض المعلومات لا يزيد عددها على خمسين يوما"[1].

من هذه النقول تظهر مكانة الإسناد عند اليهود و النصارى و أنهم أهملوه و لم يهتموا به, فخلطت كتبهم المنزلة بأقوال أنبيائهم و أقوال أحبارهم و رهبانهم, و لم و لن يستطيعوا أن يفرقوا بين ذلك و أنى لهم, وهذه منقصة لهم و جزاء بما كسبت أيديهم من الكذب و البهتان على الله –عز وجل – و بما حملته قلوبهم من بغض للحق و التعنت فيه و مخالفتهم لما أمروا به على ألسنة رسلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين, ولقد حاولت طوائف من هؤلاء اليهود والنصارى أن يلحقوا النقص بالإسلام زاعمين أن القرآن والسنة النبوية قد تعرضا للنقص والتبديل والتحريف كما جرى للديانتين السابقتين وهم من عرفوا بالمستشرقين, وسنبين من هم وماهي أهدافهم وماذا نعني بالاستشراق وتاريخ ظهوره في الفصل القادم بحول الله .

[1]– محمد صدر الحسن الندوي، مرجع سابق، ص383 .

الفصـــــــل الثـــانـــي:

مباحث حول الاستشراق و المستشرقين

مبحث تمهيدي:

التاريخ يعيد نفسه فعلا، لأن الناظر في التاريخ يجد أن الحوادث تتجدد وذلك وفق سنن لا تتغير ولا تتبدل على مر الدهور والعصور، وما ذلك إلا لأن الصراع بين الحق والباطل كائن وسيكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والمتتبع لصنوف الهجمات التي أثيرت ضد الإسلام لا يجدها تخرج أبدا عن ما أثاره المستشرقون ضمن تآليفهم الكثيرة التي تناولت الإسلام بالدس والتحريف والتشوية، متسترة فيه بستار البحث العلمي، شعارها الحق ودثارها النزاهة ، فقد جاءت الحملة شاسعة وشرسة ضمن مخطط عريق ترجع جذوره إلى الحروب الصليبية الضاربة بأطنابها في صدر الإسلام، استهدفت السنة النبوية الغراء، ولأن المغلوب مولع بتقليد الغالب، أولع بهذه الحملة بعض المفكرين العرب الذين رضعوا العلم من لبان الغرب، بل منهم من تربى في أحضانه، لذا نقل محمد الحبيب قول أحمد شاكر في تحقيقه لمسند الإمام أحمد عندما ردّ على خصومه ومن تحرش بالإسلام قديما وحديثا قال :"وما كانوا بأول من حارب الإسلام من هذا الباب ولهم في ذلك سلف من أهل الأهواء قديما، والإسلام يسير في طريقه قدما، وهم يصيحون ما شاءوا، ولا يكاد الإسلام يسمعهم، بل هو إما يتخطاهم ولا يشعر بهم وإما يدمرهم تدميرا"[1] والواقع أن هذه الشكوك التي يثيرها المستشرقون اليوم حول النبي– صلى الله عليه وسلم–ليست إلا ترديدا لما أثاره المشركون من قبل في وجه الدعوة الإسلامية...فكلها إفتراءات سبقهم إليها المشركون منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، غير أن المستشرقين يحاولون أن يضفوا على هذه الإفتراءات لونا من العلمية والمنهجية[2]، ولأن الصراع بين الحق و الباطل قديم قدم البشرية، حظيت الشريعة الإسلامية بالنصيب الأوفر من هذا الشعار المسموم في القديم والحديث، فانبرى للنيل منها جحافل الحاقدين والموتورين من رجال السياسة و اللاهوت، وتفرغوا لذلك، وأنفقوا عليه وحركوا وحرضوا شعوبهم للقضاء على الإسلام وغزوه في عقر داره بحملات صليبية استمرت مائتي عام، وارتدوا بعدها مدحورين مهزومين، فعزموا أن يتجهوا إلى الغزو الفكري والثقافي، ومن هنا كانت النواة الأولى للمستشرقين التي ما زالت تواصل عملها إلى

1– محمد الحبيب بن خوجة، السنة النبوية في العصر الحديث بين أنصارها وخصومها، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد9، 1416هـ/1995، ص46 .

2– نجيب العقيقي، المستشرقون، ط4، ج3، دار المعارف، القاهرة1919م، ص614 .

اليوم[1]، وكان هدف هذه الموجات الاستشراقية الهجوم على العقل العربي و القومية العربية واللغة العربية والعقيدة الإسلامية والتراث[2] ، وهكذا فإننا لانجد غرابة في كثرة أعداء الإسلام وتعدد فئاتهم وتنوع أساليبهم و أفانينهم في الكيد لحقائقه ومحاولة طمس معالمه بتشويه تاريخه وسيرة رجاله وحضارته بدافع الحقد و التعصب و الهوى المتحكم في نفوسهم[3]، وقد يظن ظان أن دراسات أولئك المستشرقين قد أكل عليها الدهر وشرب، ونحن نكلف أنفسنا عناء البحث والرد، ولا طائل من ذلك تحت حجة نهاية الظاهرة الاستشراقية وبحوثها، وفي هذا الصدد يقول الدكتور مازن المطبقاني:" يعتقد البعض أن الاستشراق قد استنفذ أغراضه وانتهى أثره، والواقع خلاف ذلك وقد يقول بنهاية الاستشراق من ليس له إطلاع على أقسام الدراسات العربية وأقسام دراسات الشرق الأدنى والشرق الأوسط، أو مراكز البحوث والمعاهد المتخصصة حول الشؤون الدولية، أما من له اطلاع ولو قليل حول هذه المراكز والأقسام، يدرك أن الاستشراق متواصل، وأن القوم لم تنقطع صلتهم بالحركة الاستشراقية، بل هناك من الدلائل على أنهم ينطلقون في دراساتهم للعالم الإسلامي عقيدة و شريعة وأخلاقا واجتماعا مستندين إلى الجهود الاستشراقية "لغولد زيهر" "وشاخت" و"نولدكه"[4] و"توماس أرنولد"[5] وغيرهم[6] ، ويضيف الأستاذ الدكتور أكرم

---

[1]- توفيق يوسف الواعي، دراسات في فهم المستشرقين للإسلام، مجلة العلوم الإجتماعية الكويت، ص135.

[2]- يحي مراد، إفتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1425هـ/2004، ص4 .

[3]- خالد محمد علي الحاج، الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونواقض التوحيد ،تحقيق عبد الله الإنصاري، ط1، ج1، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر1983، ص472 .

[4]- تيودور نولدكة (1836-1931), شيخ المستشرقين الألمان بدون مدافع, استطال عمره حتى جاوز الرابعة والتسعين, حصل على الدكتوراه الأولى سنة1856, تحت عنوان"تاريخ القرآن ",من آثاره: "في نحو العربية الفصحى" ,"أبحاث في معرفة شعر العرب القدماء ,(عبد الرحمان بدوي,ص195-197).

[5]- توماس أرنولد بيكر (1864-1930) مستشرق إنجليزي متعاطف مع الإسلام, ولد في أنجلترة و اختير لتدريس الفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية بالهند, بقي لمدة عشر سنوات فيها, حاول التوفيق بين الإسلام والفكر الأوروبي, ألف أول كتبه بهذه النظرة تحت عنوان "الدعوة الإسلامية ", من تلامذته العرب محمد إقبال الشاعر المعروف, له مؤلفات صغيرة مثل : الخلافة ,الدين الإسلامي , المعتزلة (عبد الرحمان بدوي, ص9-10)

[6]- مازن بن صلاح المطبقاني، هل انتهى الاستشراق حقا، مجلة الشريعة والدراسات، العدد43، 1421هـ/2000م، ص286 .

ضياء العمري" منذ مائة وخمسين سنة وحتى الوقت الحاضر يصدر في أوروبا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام، هذه الإحصائية التي ننتهي إليها عندما نعرف أن ستين ألف كتاب قد صدرت بين 1800 – 1950 م أي عبر قرن ونصف، وعندما نعرف أن في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها يوجد حوالي خمسين مركزاً مختصاً بالعالم الإسلامي، وأن المستشرقين يصدرون الآن ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات كما قرر ذلك بوزورث في (تراث الإسلام)، وأن المستشرقين عقدوا مؤتمرات دورية خلال قرن واحد – هو المائة سنة الأخيرة – بلغت ثلاثين مؤتمراً، هذا سوى المؤتمرات الإقليمية، وسوى الندوات، وبعض هذه المؤتمرات مثل مؤتمر أوكسفورد ضم قرابة تسعمائة عالم، فلماذا كل هذا الاهتمام بالإسلام وبالشرق وبالعَربِ، وبالقضايا التي تتصل بمنطقة بعيدة عنهم؟ "[1] و يضيف المطبقاني ويتعجب الإنسان لماذا يصر البعض من الباحثين العرب والمسلمين، أن يعلنوا وفاة الاستشراق أو انقراضه، مع أن الأمر يحتاج إلى دراسة وتمحيص قبل إصدار مثل هذه الأحكام، ولما أتيح للباحث فرصة الإطلاع على بعض النشاطات الاستشراقية، فقد تأكد لي أن الذي إنقرض هو ذلك الشخص الذي يعرف اللغة العربية ويخوض في شتى مجالات المعرفة التي تخص العالم الإسلامي والعربي، فالاستشراق لم ينتهي وإن تغيرت الأسماء، وتغيرت الأزياء و الصور[2] وربما يكون قد تغير الإسم ودخل في هذه الدراسات باحثون لايتصفون بالصفات والمواصفات التي كانت للمستشرقين السابقين، غير أن العمل في بحث قضايا المسلمين مازال مستمرا وإن تغيرت الأساليب والوسائل[3] ولقد تعاون الاستعمارالغربي وعلماء الاستشراق على التخطيط لغزو العالم الإسلامي فكريا، وترسيخ مفاهيم الغرب فيه وتصورات الحضارة المادية بين أفراده ومجتمعاته وكان التمزق والتفسخ والانحلال في المجتمع والسلوك في حياتنا[4]، لذا فقد عانينا نحن العرب من الأحكام المسبقة

1– أكرم ضياء العمري ، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، www.madina-center.com، مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الإستشراق .

2– المطبقاني، مرجع سابق، ص320 .

3– نفســـــه، ص283 .

4– محمد الحبيب خوجة، مرجع سابق، ص53 .

والمتحيزة التي صاغها الغرب عنا، والتي تأسست على رؤى استشراقية تتميز بالابتسار* باعتبارها الذات الفاعلة في التاريخ والحضارة المعاصرة، والنظر إلى غيرها من الحضارات على أنها حضارات جامدة إستنفذت طاقتها على التقدم والبحث[1]، نتيجة لهذا يقول درمنغهم :"من المؤسف حقا أن غالى هؤلاء المتخصصون في الاستشراق من أمثال موير ومرغليوث[2] وشبرنجر ودوزي وكايتاني وغولد زيهر و وغيرهم في هدم الإسلام فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص، ولا تزال النتائج التي إنتهي إليها المستشرقون سلبية ناقصة[3]، ومن هنا تأتي أهمية نقد الدراسات والبحوث التي تهتم بالظاهرة الاستشراقية وتهدف إلى بث الوعي الثقافي والفكري بين أبناء الأمة لتنير لهم الدرب فلا يقعون فريسة للأفكار الاستشراقية الهدامة التي ما زالت تجد لها قبولا لدى بعض أبناء الأمة[4]، و هذا ما جعل المفكر مالك بن نبي يعبر عن هذه الظاهرة على أنها أزمة فكرية فيقول:"ولكن لهذه الأزمة مظهرا يخص دراستنا هذه أعني به تأثير دراسات المستشرقين على الفكر الديني لدى شبابنا الذي يتجه إلى المصادر الغربية حتى فيما يخص معارفه الإسلامية الشخصية، سواء أكان هذا الإفتقار ناشئا عن افتقار مكتباتنا أم لمجرد التجانس والقرابة العقلية، فقد نضبت فعلا المصادر المحلية من كنوزها الثقافية مولية وجهها شطر المكتبات الأهلية في أوروبا، والحق فإن الشباب المسلم المثقف في بعض ديار الإسلام يرى نفسه مضطرا بأن يلجأ إلى مصادر المؤلفين الأجانب[5]، ومما يدل على ضعف العالم الإسلامي والعربي وفقر وسائله العلمية، أنه يعتمد على مؤلفات المستشرقين في المواضيع الإسلامية الخالصة منذ زمن بعيد،

*- بَسَرَ يَبْسُرُ بُسْرًا و بُسُورًا، عجل، و الإِبْتِسَارُ يقال ابْتَسَرَ الرأي أبداه قبل نضجه، أنظر:
- جيران مسعود، الـــرائــــد، ط6، ج1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1990م، ص321 .
- إبراهيم أنيس و آخرون، المعجـم الوسيـط، ط2،ج1، دار الفكر، ص56 .

[1]- محمد عادل الالوسي، التراث العربي والمستشرقون، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1412هـ/2001م ، ص19 .

[2]- مرجليوث صموئيل دافيد(1858-1940)ومستشرق إنجليزي, ولد في لندن, أتقن اللغة العربية وهــو صــاحب نظــرة وضع الشعر الجاهلي , من آثاره: الحديث , الأفكار والمثل في الإسلام الحديث, الزندقة في الإســلام والمــسيحية وتــرجم تلبيس إبليس لابن الجوزي و سيرة عبد القادر الجيلاني,(نجيب العقيقي المستشرقون,ج ,2ص77-78).

[3]- محمد يوسف الواعي، امرجع سابق، ص146 .

[4]- يحي مراد، مرجع سابق، ص4 .

[5]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ط4، دار الفكر- الجزائر،1987م، ص54 .

وهي مؤلفات تحتل مكانة الكتاب المقدس في موضوعها[1]، فإن مما لاجدال فيه أن الإستشراق له أثر عظيم في العالم العربي والعالم الإسلامي على سواء، وإن اختلفت ردود الأفعال على كلا الجانبين، و الاستشراق قضية تتناقض حولها الآراء في عالمنا العربي الإسلامي، فهناك من يؤيده ويتحمس له إلى أقصى حد، وهناك من يرفضه جملة وتفصيلا[2]، والذين يرون هذا الخطر ويعرفون مداه يكتفون بالصراخ والتحذير من أعمال المستشرقين، والبعض يتقدم خطوة أبعد، فيبين أخطاء المستشرقين وتضليلهم ويقف عند هذا الحد، ولكن آن الأوان أن يؤدي العلماء المسلمون واجبهم نحو هذه المعركة الفكرية، وأن ينتقلوا من مجرد التحذير من أعمال المستشرقين وتسفيههم، ومن العمل الفردي إلى العمل الجاد المنسق الذي يعرف هدفه ويخطط طريقه، لذا لابد أن نلقي نظرة على مايسمى بالاستشراق ونشأته وماهي ميادينه وأهم أهدافه .

المبحث الأول : مباحث حول الاستشراق .

المطلب الأول : تعريف الاستشراق :

ما معنى هذه الكلمة؟ لو أرجعنا هـذه الكلمة إلى أصلها لوجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق ، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه، ولعل هذا التعريف اللغوي بالنسبة للغة العربية، أما في اللغات الأوروبية فثمة تعريف آخر يدل على أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإنما الشرق المقترن معنى الشروق والضياء والنور والهداية[3]، وإذا رجعنا إلى لسان العرب لابن منظور نجد أن الشرق مأخوذ في اللغة من شرقت الشمس تشرق شروقا و شرقا طلعت واسم الموضع المشـرق يقال شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت، و الشرق المشرق، والجمع أشراق.

1– أبو الحسن علي الندوي، الإسلاميات بين المستشرقيين والباحثين المسلمين، الندوة العلمية عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1،عالم المعرفة جدة، المملكة العربية السعودية، 1405هـ/1985م، ص20 .

2– محمد حمدي زقزوق، الإسلام والاستشراق، الندوة العلمية عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1، عالم المعرفة جدة، المملكة العربية السعودية، 1405هـ/1985م، ص71 .

3– مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشـراق، مجلة الدعوة، العدد1621،السعودية، ديسمبر1997م، المقدمة .

والتشريق الأخذ في ناحية المشرق، وشرقوا إذا ذهبوا إلى الشرق[1] و شرق يشرق تشريقا، المسافر أخذ في ناحية الشرق .

واستشرق يستشرق استشراقا، الأوروبي اهتم بالدراسات الشرقية...، وحركة الإستشراق اتجاه الغربيين نحو العناية بتراث الشرق و حضاراته[2] ، والاستشراق إصطلاحا هو علم الشرق أو "علم العالم الشرقيٍ" وكلمة "مستشرق" "Orientalists" تطلق على كل فرد غربي يشتغل بدراسة الشرق، لغاته أو آدابه أو حضارته أو أديانه، فإذًا أمامنا نوعان من الإستشراق هما الاستشراق القديم و الاستشراق الحديث ، والاستشراق الحديث يختلف عن نظيره رغم أنه إستمرارية له ويعتمد القديم على دراسة حضارة الأمم و الشعوب وآدابها و فنونها ولغاتها و تقاليدها، نهض به أساتذة متخصصون في تلك الحقول الفكرية ذات الجذور البعيدة، بينما يعتمد الاستشراق الحديث على جمع المعلومات عن جميع نواحي الحياة العربية بما فيها الأوضاع السياسية[3] ، كما أن كلمة مستشرق لها علاقة بالشرق بمعنى أنه كمصطلح كان دائما فضفاضا وغير مرتبط بزمان أو مكان، وعلى الرغم من التباين الحاد أحيانا في تحديده كمفهوم بصورة راسخة، فإنه يشير إلى أن دراسة المشرق ومعرفته وفهمه هو الجامع المشترك في كل الآراء التي ناقشته وتتبعت معطياته ومجالاته[4]، وعليه فإن العلاقة وثيقة بين التعريفين اللغوي والإصطلاحي، فقد أطلق على الدراسة التي تعنى بالعالم الشرقي مصطلح الاستشراق وأطلق على الغربيين الذين يقومون بتلك الدراسات بالمستشرقين[5]، والاستشراق حقل معرفي و إبداعي ضخم نشأ في الغرب (أوروبا و أمريكا الشمالية) لدراسة الثقافات الشرقية (الآسيوية غالبا)، و تمثلها في الفنون المختلفة، وتعتبر الجوانب العلمية و السياسية و الدينية للاستشراق هي الأبرز بين جوانبه المختلفة، فقد كانت الهاجس الرئيس وراء نشوئه، غير أن الجوانب الأخرى في الفنون و الآداب الغربية ذات

---

[1]– ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص912–913 .

[2] – المعجم العربي الأساسي،لمرجع سابق، ص683 . و انظر :

– الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ص 712 .

[3]– عادل الألوسي، مرجع سابق، 13–14 .

[4]- يوسف مكي، قراءة في استشراق ما بين الحربين العالميتين، بونة للبحوث والدراسات، العدد لثالث، 1426هـ/2005، ص94 . .

[5]– محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م، ص31 .

أهمية لمن يريد التعرف على ذلك الحقل في مختلف جوانبه .

يقول عبد الرحمان حبنكه الميداني معلقا على التعريف الذي يقول بأن الاستشراق تعبير خلقه غير الشرقيين على الدراسات الشرقية المتعلقة بالشرقيين، شعوبهم، تاريخهم، ديانتهم، لغاتهم، أوضاعهم الاجتماعية و بلدانهم و سائر أراضيهم و ما فيها من كنوز و خيرات وحضارات وكل ما يتعلق بهم، قال:" وكان هدف الغربيين من هذا الإطلاق العام الذي يشمل كل الشرق مسلمين و غير مسلمين، أن يكون غطاءً للهدف الأساسي الذي هو دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين .

أما المستشرقون فهم الذين يقومون بالدراسات الاستشراقية من غير الشرقيين ويقدمون دراساتهم ونصائحهم ووصاياهم للمبشرين بغية تحقيق أهداف التبشير، وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار، وكثيرٌ من المستشرقين قساوسة منتظمون في السلك الكنسي، فهم بمقتضى مهنتهم أصحاب مهمات تبشيرية، و اندس في الاستشراق يهود كثيرون، ينافقون النصارى ويخدمون سرا أهدافا يهودية ضمن المخطط اليهودي العام "[1].

ويذكر محمد الفيومي أن ميكائيل أنجلو الجويدي يحدد الاستشراق بقوله:" ليس صاحب علم الشرق الجدير بهذا اللقب بالذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة أو يستطيع أن يصف غرائب عادات بعض الشعوب، إنما هو من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق وبين الوقوف على القوى الروحية الكبيرة التي أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية و هو من تعاطى درس الحضارات القديمة و من أمكنه أن يقدر شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن في القرون الوسطى مثلا أو في النهضة الحديثة "[2].

يقول د.مازن مطبقاني أن التعريفات للاستشراق كثرت ومن يريد الحصول عليها فهي متوفرة، و الاستشراق هو كل جهد فكري يقدمه أبناء الغرب بشقيه الأوروبي و الأمريكي حول العالم الإسلامي، سواء ظهر هذا الجهد الفكري من خلال الكتب أو المجلات أو الإذاعات أو الصحف أو من خلال المؤتمرات والندوات، وما تقوم به وكالات المخابرات الغربية من دراسات حول أوضاع العالم الإسلامي يقوم بها الباحثون و العلماء المتخصصون

---

[1]– عبد الرحمان حنبكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة و خوافيها، ط7، مج3، دار القلم دمشق،4141هـ/ 1994م، ص 117-118.

[2]– محمد الفيومي، مرجع سابق، ص151.

في شتى المجالات[1] .

المطلب الثاني : ظهور الاستشراق و تطوره :

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها وترجموا الكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء مسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب و الرياضات، ومن أوائل هؤلاء الرهبان الفرنسي (جربرت)الذي انتخب بابا على كنيسة روما عام 1199م، بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، و منهم الراهب جيراردي كريمون (1114—1187م) بعد عودتهم نشروا ثقافة العرب و مؤلفات أشهر علمائهم، ثم أنشأت المعاهد للدراسات العربية و أخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتنية و هي لغة العلم في بلاد أوربا يومئذ و استمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب و تعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون .

فقد بدأ الاستشراق إذن منذ أن دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوروبا العريقة، وأخذت أوروبا الغارقة في الجهل و التخلف الحضاري يومئذ تبحث عن أسباب نهضة المسلمين وبلوغهم هذا المجد العظيم، وأخذ بعض رجال الكنيسة الأوروبيين يدرسون علوم هؤلاء الفاتحين و لغاتهم لعلهم يظفرون بما يوقفون به مد هذا الفتح الإسلامي و لعلهم يكتسبون من علوم المسلمين ما ينفعهم لإنقاذهم من تخلفهم و يفتح لهم أبواب الارتقاء، فكان الاستشراق طلبا لعلوم الشرقيين و لغاتهم و أوضاعهم والبحث عنها، ثم أسست للاستشراق معاهد و تألفت جمعيات للتعاون في الأعمال المتعلقة بالدراسات في العلوم الشرقية، كنشر بعض المخطوطات العربية و وضع الفهارس الشاملة لبعض الكتب الإسلامية، و وضع بعض المعاجم المفهرسة و تفصيل آيات القرآن الكريم حسب موضوعاتها ونحو ذلك [2] .

و قد أولى المستشرقون أهمية كبيرة لدراسة الحديث باعتباره المصدر الثاني بعد القرآن للعقيدة والشريعة في الإسلام، وكان على رأس المنشغلين بهذه الدراسة غولد تسيهر و سنوك

---

[1]- مازن المطبقاني، الاستشراق...، مرجع سابق، ص24.

[2]- عبد الرحمان حبنكة الميداني، مرجع سابق، ص120-121 .

هرجرنية، و قد نقل كتاب زيهر في الحديث إلى الإنجليزية و الفرنسية و ما زال منهجه بجوهره و خطوطه العامة هو المنهج المعتمد في دراسة الحديث عند الغربيين، و الحديث بهذا المنهج نتاج ظروف إجتماعية معينة تطور وفق تغير الظروف و الأحوال و الصراعات السياسية و العقدية التي مر بها المسلمون، ويتفق المستشرقون مع منهج غولد زيهر في دراسة الحديث، و لكنهم بعد دراسة شاخت للتشريع الإسلامي، أصبحوا يميزون بين نوعين من الأحاديث، أحاديث التشريع وأحاديث التاريخ، فيرون أن منهج زيهر يصلح لمعالجة الطائفة الأولى من الأحاديث، وأما معالجة الطائفة الثانية فيجب أن تأخذ بشيء من النقد و التعديل، و على أساس منهجه النقدي التطوري درس غولد زيهر العقيدة و الشريعة، ومذاهب تفسير القرآن في كتابين ترجما إلى اللغة العربية (العقيدة و الشريعة)، و مذاهب المسلمين في تفسير القرآن، و على هذا الأساس أيضا درس المستشرقون المؤلفات المعتمدة عند المسلمين في السيرة النبوية[1] ،وهناك من العلماء من يرجع ظهور الاستشراق إلى مراحل عدة، يرى عادل الألوسي أن هناك نوعين من الاستشراق؛ الاستشراق القديم، ويهتم بدراسة حضارة الأمم والشعوب وآدابها وفنونها ولغاتها وتقاليدها نهض به أساتذة متخصصون في تلك الحقول الفكرية، والاستشراق الجديد الذي يعتمد على جميع المعلومات عن جميع نواحي الحياة العربية، وكثيرا ما تكون رافدا للأجهزة الإستخبارية[2]،والمرحلة الأولى هي التي نقل فيها الكنسيون علوم الكنيسة وفلسفة اليونان من حاضرة العرب(بغداد) وغيرها من البلدان العربية إلى روما حين كانت الكنيسة في إحتضار فكري، وإن كانت لا تعد ظهورا للاستشراق بمعناه العلمي، أما المرحلة الثانية هي التي يتفق فيها جميع المؤرخين على أنها حركة استشراق بالمعنى العلمي الذي اصطلح عليه، والتي بدأت بشكل واضح نهاية القرن السابع عشر، وقد خدم فيها المستشرقون أهدافا شتى، منها الإستعمار والتبشير[3]،ومنهم من يرجع ظهور الاستشراق إلى مراحل عدة ترجع في جملتها إلى

1– محمد توفيق حسين ، من زيهر إلى واط، عالم الفكر، ص 246-245.

2– عادل الألوسي، المرجع السابق، ص14 .

3– سعدون محمود الساموك، الوجيز في علم الاستشراق، ط1، دار المناهج–الأردن، 1423هـ–2003م، ص19–27 ، بتصرف .

المرحلتين السابقتين[1]، لذا وجدنا عبارة "مستشرق" قد ظهرت لأول مرة في اللغة الإنجليزية حوالي عام 1779م، ودخلت كلمة مستشرق قاموس الأكاديمية الفرنسية لأول مرة عام 1838م،رغم أن ولادة الاستشراق خارج هذا التحديد الرسمي تعود إلى وقت طويل قبل ذلك[2]، وكانت في عام 1312م، بصدور مجمع فيينا الكنسي بتأسيس كراسي الأستاذية في العربية و اليونانية و العبرية[3]، وهناك من الباحثين من يرجع بداية الاستشراق إلى القرن العاشر الميلادي، ولعل هذا هو السبب الذي أدى بالأستاذ نجيب العقيقي إلى أن يجعل كتابه عن المستشرقين سجلا للاستشراق على مدى ألف عام[4]، ويُعبِّر الاستشراق عبر تحولاته المختلفة عن تطور مناهج البحث العلمي داخل الغرب ذاته، كما يُعبِّر عن موازين القوى بينه وبين العالم الإسلامي من الإستعمار القديم إلى التحررمن الإستعمار، وربما إلى الإستعمار الجديد[5]، والحاصل أن الظاهرة الاستشراقية كما تمت في هذا الرصد السريع، تجعل من الصعوبة بمكان، الخروج بقانون قيمي أو معياري عام عنها، شأنها في ذلك شأن كل الظواهر الإنسانية الأخرى، يمكن أن تكون ذو حدين، حد إيجابي،يتمثل في التفاعل والتكامل بين الثقافات ومظاهر الحضارات الإنسانية، أما الحد الآخر فيهدف إلى تسخير المعرفة والعلم وعملية الكشف من أجل تحقيق الإختراق والهيمنة[6] .

المطلب الثالث : أهـداف الاستشـراق :

تظهر أهداف المستشرقين في جملتهم من خلال الدراسات الاستشراقية إلى عدة أقسام كالأهداف العلمية المشبوهة :

–التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم و مصدرها الإلهي .

– إنكار أن يكون الدين الإسلامي من عند الله تعالى .

---

[1]– أنظر: – حسن حنفي، من الاستشراق إلى الإستغراب، بونة للبحوث والدراسات، العدد الثالث، 1426هـ/2005، ص9 .

[2]– عبد الحميد صالح حمدان، طبقات المستشرقين، دط، دت، د. دار الطبع، المقدمة، ص4.

[3]- خيري منصور، الاستشراق و الوعي السالب، ط5، مكتبة مدبولي، 2000م، ص20.

[4]– عادل الألوسي، مرجع سابق، ص13 .

[5]– حسن حنفي، مرجع سابق، ص12

[6]– يوسف مكي، مرجع سابق، ص109 .

– التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون، ويتذرع المستشرقون بما دخل على الحديث من دس و وضع متجاهلين جهود علمائنا الذين بذلوا الجهد العظيم في تنقيته و بيان المدسوس عليه .

– التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي[1] .

و لعل في شهادة بعضهم عليهم لخير دليل، حيث يقول درمنغهم :" من المؤسف حقا أن بعض هؤلاء المتخصصين في الاستشراق من أمثال "موير" و "مرغليوث" و "نولدكة" و "شبرنجر" و "دوزي" و "كيتاني" و "مارسين" و "غولد زيهر" و "غودفروا" و غيرهم قد عولوا على هدم الإسلام, فلم تزل كتبهم معول هدم على الخصوص, ولا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون نابية ناقصة, ولن تكون معتبرة على النفي بدون دليل[2]، و نقل إبراهيم النملة قول برستيد عن المستشرقين:" إنهم يريدون قتل حضارة الشرق عمدا لأنهم يريدون إخفاء الحقيقة"[3]، ولقد كان الهدف الرئيسي من إنشاء مؤسسات استشراق، هو تزويد المنصّرين بمعارف واسعة حول الإسلام وأهله كي يتسللوا بعد ذلك إلى الدوائر العلمية الإسلامية من مدارس و معاهد وجامعات ليعيثوا فيها فسادا[4]، وإنكار رسالة الإسلام وتكذيب الرسول وإثارة الشبهات حول الإسلام وحول القرآن ورسالة النبي، وتشكيك المسلمين ومحاولة ردهم عنه بمختلف الوسائل[5] .

كان إهتمام الغرب بالاستشراق لغايتين كبيرتين هما:

– الحد من إنتشار الإسلام في الغرب، وحماية الإنسان الغربي من الإسلام.

– التعرف على بلاد المسلمين وثقافتهم ومعتقداتهم وآدابهم و أساطيرهم تمهيدا للتأثير على هذه البلاد وأهلها[6]، ولم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آدابهم إلا سلكوها

---

[1] –يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق للدراسات العربية و الإسلامية في أوربا حتى القرن العشرين، تعريب عمر لطفي العالم، دار قتيبة–دمشق، 1996م، ص481–482 .

[2] – توفيق يوسف الواعي، مرجع سابق، ص146 .

[3] - علي بن إبراهيم النملة، مصادر المعلومات عن الاستشراق و المستشرقين، مكتبة الملك فهد–السعودية، 1993م، ص14

[4] – عبد الرحيم السايح، الغزو الفكري في التصور الإسلامي و كيفية مواجهته، ط1، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1424هـ/2003م، ص51 .

[5] – سعدون محمد الساموك،مرجع سابق، ص9 .

[6] – علي بن إبراهيم النملة، مرجع سابق،ص07 .

ومنها:

– تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه .

– إصدار مجلات خاصة عن الإسلام في بحوثهم عن شعوب وبلاد المسلمين و أوضاعهم .

– إرساليات التبشير لمزاولة الأعمال الإنسانية ظاهرا كالمستشفيات و المدارس والجمعيات والمدارس والملاجئ وغيرها .

– إلقاء المحاضرات العامة، وأغلبهم كان يخطب في جامعات المسلمين لتسميم أفكارهم .

– إنشاء موسوعة معارف إسلامية لعدة لغات، وكتبها أشدهم عداء للإسلام وتراثه وكلها مملوءة بالأباطيل[1] .

المطلب الرابع : ميادين الاستشراق :

لقد نشأت عن التيار الفكري الاستشراقي المؤلفات الرئيسية لأهم المدارس الاستشراقية في الغرب، ألمانيا، هولندا، إسبانيا، إيطاليا، روسيا و الو.م.أ، ولاشك أن مجالات الاستشراق قد ساهمت في تثبيت الوعي القومي في مختلف البلدان الإسلامية و في تنشيط الحركة و النهضة العلمية و اليقظة الفكرية، و لما كان المستشرقون خليطا من الجامعيين و العسكريين و الموظفين و المبشرين و الصحافيين و المغامرين الذين كان هدفهم التعرف على خبايا هذه الشعوب من أجل تأمين انقيادها للغرب فإنهم لم يتركوا وسيلة لبث آرائهم إلا سلكوها .

كما أن الأعمال الأدبية لهؤلاء المستشرقين قد بلغت في الواقع درجة خطيرة من الإشعاع، تلكم الأزمة الخطيرة التي تمر بها ثقافتنا الآن، و مع ذلك فإن لهذه الأزمة العامة مظهرا مهما لموضوع دراستنا هذه، وأعني به تأثير دراسات المستشرقين على الفكر الديني لدى شبابنا الجامعي الذي يتجه إلى المصادر الغربية حتى فيما يخص معارفه الإسلامية الشخصية سواء كان هذا الاتجاه ناشئا عن افتقار مكتباتنا أم لمجرد التجانس و القرابة

---

[1]– خالد محمد علي الحاج، ، مرجع سابق، ص483-484 . وانظر:

– أبو الليث الندوي، نظرة خاطفة على موضوع الإسلام والمستشرقين، الندوة العلمية عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1،عالم المعرفة جدة، 1405هـ/1985م، ص152-157.

– يوهان فوك، المرجع السابق، ص486.

– محمد الفيومي، مرجع سابق، ص153 .

العقلية[1] .

وبهذه المناسبة نريد أن نشير هنا إشارة خفيفة إلى ما يعانيه المجتمع الإسلامي من فراغ فكري, الأمر الذي مكن شتى الإتجاهات الفكرية لغزو المجتمعات الإسلامية و محاولتها أن تحل محل الإسلام في توجيهها, و الأمر الذي لاشك فيه أن الإسلام اليوم يجتاز أزمة قاسية وحادة و يمر بفترة عصيبة إذ تحيط به تيارات مادية إلحادية عديدة تحاول أن تنال منه أو تخفي ضوئه وهذه التحديات التي يواجهها الإسلام اليوم أشد و أعنف من أية تحديات واجهها في العصور الماضية[2] .

<u>المبحث الثاني</u> : دوافع الاستشراق .

الاستشراق ظاهرة صاحبت الصحوة الفكرية التي عاشتها أوروبا منذ أن شعرت بالتهديد الإسلامي عن طريق الأندلس غربا وعن طريق تركيا شرقا بعد ذلك، ولذلك يمكن أن يقال أن الإستشراق قام على خلفية فكرية اتكأت على الصراع الحضاري بين الإسلام و النصرانية من جهة وبين الإسلام واليهودية من جهة أخرى[3] فليس ميسورا أن نشير إلى عامل واحد أو عاملين في تفسير الدوافع التي حفزت المستشرقين على دراسة الإسلام وحضارته، ذلك أن الاستشراق ظاهرة تاريخية معقدة تنوعت دوافعها عبر القرون وتباينت حسب المراحل التاريخية، وربما غلب عامل واحد أو أكثر في مرحلة معينة على غيره، وتبقى الحقيقة واضحة وهي أن جملة عوامل اشتركت في تحديد معالم الاستشراق ومنطلقاته[4]، و في الحقيقة لا نجد غرابة في كثرة أعداء الإسلام وتعدد فئاتهم، و تنوع أساليبهم في الكيد لحقائقه، و محاولة طمس معالمه بتشويه تاريخه وسيرة رجاله وعظمائه وحضارته بدافع الحقد و الهوى المتحكم في نفوس أعداء الإسلام، من صليبيين وصهاينة واستعماريين وإلحاديين.

ولقد أفرط منا أناس في الثقة بالمستشرقين و الإعتماد عليهم في كثير من الأبحاث التي سطرتها أيديهم و لوثتها بسمومهم أقلامهم، كما أن الثناء المطلق قد انهال على جهودهم وما

---

[1]- مالك بن نبي، مرجع سابق، ص54.

[2]- محمود حمدي زقزوق، <u>الإسلام في الفكر الغربي</u>، ط3، دار القلم، الكويت، 1986م، ص11.

[3]- علي بن إبراهيم النملة، مرجع سابق، ص07-08 .

[4]- محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والتاريخ الإسلامي ...، مرجع سابق، ص31 .

توصلوا إليه، سواءً كان رائدهم الحق أو الضلال من حيث التشويه و التمويه و الدس و الإفتئات على الحقيقة.

و لعل من أخبث أعداء الإسلام في العصر الحديث فئة ممن انتحلوا صفات العلماء و الباحثين و زعموا لأنفسهم العلم و المعرفة و هم أبعد الناس عن حقيقة العلم و صفات العلماء و أخلاقهم، أولائك هم المستشرقون بغالبيتهم، الذين انبروا لحرب الإسلام تحت شعار العلم و الدراسات الاستشراقية، ويكفينا معرفة بأن معظم المستشرقين هم رجال من الكهنوت في دول الغرب، أو من موظفي دوائر الإستعمار و المؤسسات الصهيونية، لنكتشف بسهولة طبيعة دراستهم و حقيقة أهدافهم و أساليبهم الملتوية و أغراضهم الماكرة، هؤلاء الصنف الممتاز في الضلال و التضليل و الخداع على حساب العلم و الحق[1]،ولابد لمعرفة دوافع الاستشراق إلى التبصر بالبنية و التركيبة النفسية والتاريخية التي صممت عن وعي أو دون وعي فلسفة هذه الأهداف اتجاه هذه المرامي لدى الغرب الذي نطلق عليه أوروبا[2]، ويبدوا للإنسان بعد الدراسة والإستقصاء أن للاستشراق سبعة أهداف رئيسية[3]، وهناك من أوصلها إلى ثمانية دوافع رئيسية مهمة .

و بناء عليه نستطيع حصر دوافع الاستشراق فيما يلي:

الدوافع الدينية الإديولوجية و الدوافع الإستعمارية و السياسية و الدوافع العلمية و الدوافع التجارية و الإقتصادية و كذا الدوافع الأدبية و الفنية، و الدوافع النفسية .

المطلب الأول: الدافـــــع الدينـــي الإيديولوجي :

---

[1]- خالد محمد علي الحاج، مرجع سابق، ص472 .

[2]- سعد بوفلاقة، الاستشراق والمستشرقون بين الإنصاف والتجني، مجلة بونة للبحوث والدراسات، العدد الثالث، 1426هـ/2005، ص122-123 .

[3]- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي-القاهرة، 1418-1998م، ص40.

كان هذا الهدف وراء نشأة الاستشراق ، وقد صاحبه خلال مراحله الطويلة[1]، و كما سبق و أن ذكرنا أن الاستشراق بدأ بالرهبان و استمر ذلك حتى العصر الحاضر، فكثيرٌ من المستشرقين تخصصوا في الدراسات اللاهوتية المتعلقة بالتوراة و الإنجيل، و أُعدُوا إعدادا خاصا للقيام بمهمة دراسة الإسلام و المسلمين لأهداف تنصيرية، وكان هَمُّ الرهبان الطعن في الإسلام و تشويه و تحريف حقائقه ليبينوا لجماهيرهم أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، و أن المسلمين همج و لصوص و سفاكوا دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية و يبعدهم عن كل سمو روحي و خلقي[2] ، و يستطيع كل باحث عن التاريخ أن يتبين بما لايدع مجالا للشك أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الإسلامية العربية في أوروبا[3] .

يعد هذا الدافع من أول الدوافع و أقدمها، بل إن الاستشراق يدين له بالنشأة الأولى، فالدراسات الإستشراقية في جانب من جونبها قامت أولا بوحي من الكنيسة الكاثوليكية خاصة للإنتقاص من تعاليم الإسلام، وإهدار قيمته[4]، وكثيرا ما تحرك الدوافع الدينية إلى الأمام، وتحث صاحبها إلى طلب العُلى وبلوغ غايات سامية، فعندما جاء الإسلام وجد العالم في أزمة فكرية حادة وقلق روحي بالغ، فحاول إخراج الإنسان من الظلمات إلى النور ومن الباطل إلى الحق ومن التعصب إلى التسامح ومن الفناء إلى الحياة[5]، ولقد شكل الفكر والفلسفة والثقافة الإسلامية تهديدا خطيرا على آراء الكنيسة وتعاليمها، خاصة وأن العلماء والفقهاء والمسلمين ردوا على الكنيسة حول طبيعة المسيح وعبادة الصور المقدسة، فتأسست مراكز علمية في أروبا أصبحت تشن حملة دس وتشويه للإسلام والتي بدأها القديس يوحنا الدمشقي المتوفى سنة(132هـ/749م) وغيره[6]، وهذا ما لاحظه حتى بنو جلدتهم، حيث يقول المستشرق البريطاني و الأمريكي برنارد لويس:" إن آثار التعصب الديني الغربي لا

---

[1]- موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة ، www.mdarat.com ، ص11 .

[2]- نفســه، ج1، ص77-78 .

[3]- أحمد عبد الرحيم السايح، مرجع سابق، ص54 .

[4]- أحمد جاد عبد الرزاق، فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي، ط1، ج1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416هـ/1995م، ص60-61 .

[5]- أحمد سمايلوفتش، مرجع سابق، ص48 .

[6]- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والتاريخ الإسلامي ...، مرجع سابق، ص31 .

تزال ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، و بعضها لا يزال مستترا وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية، و يقول الباحثون أن الصورة المشوهة و التعصب الديني ما يزال قائما و خاصة في تصور المستشرقين للقرآن و الرّسول والإسلام عموما، ذلك أن الصورة التي شكلها الاستشراق إنما استمدها من مصادر الكنيسة، كتبت أيام الصراع العنيف بين الشرق و الغرب أيام الحروب الصليبية والدولة العثمانية في أوروبا[1]، وظهرت في أوساط الكنيسة في أوربا حركة تدعو إلى الاستزادة من معرفة تاريخ الإسلام و عقيدته، وحققت هذه الحركة من بطرس الراهب (551هـ/1156م) أول ترجمة للقرآن الكريم سنة (538هـ/1143م)، ومعلوم أن اللغة العربية لغة العلم والثقافة هي السبيل الوحيد للنهوض والإزدهار، وبدت أقوم طريق لفهم الكتب السماوية، فتسابق أصحاب الديانات إلى تعلمها وتعليمها لمواطنيهم وذويهم، وهكذا أصبح الدافع الديني دافعا قويا لإنتشار الاستشراق في العالم[2]،وقد كان الهدف الديني للاستشراق يبرز منذ البداية في ثلاثة إتجاهات متوازية تعمل معا جنبا إلى جنب تتمل فيما يلي :

1-محاربة الإسلام والبحث عن نقاط الضعف فيه، والزعم أنه دين مأخوذ عن اليهودية والنصرانية .

2-حماية النصارى من خطر الإسلام بحجب حقائقه عنهم، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين .

3-التبشير وتنصير المسلمين[3]، والتعرف على بلادهم وثقافتهم ومعتقدهم وآدابهم و أساطيرهم تمهيدا للتأثير على هذه البلاد وأهلها[4]، ويشير الأستاذ الدكتور محمد البهي رحمه الله في كتابه الفكر الإسلامي الحديث، إلى ملاحظة لبعض الباحثين حول تفسير أسباب إقبال اليهود على الاستشراق لأسباب دينية في محاولة لإضعاف الإسلام والتشكيك في قيمته، بإثبات فضل اليهودية عليه بادعاء أن اليهودية في نظرهم هي مصدر الإسلام الأول، و بأنها

1- الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج1، ص712 .

2- أحمد سمايلوفيتش، مرجع سابق، ص48 .

3- أحمد عبد الرحيم السايح، مرجع سابق، ص54 .

4- علي بن إبراهيم النملة، مرجع سابق، ص07 .

وجهة نظر تؤيدها الظروف العامة والظواهر المترادفة في كتابات هؤلاء المستشرقين[1]، و ليس غريبا أن يكون هناك صراع بين الأفكار والعقليات، لأن الصراع بين الأفكار والعقليات سنة الحياة نفسها، ولكن الغريب حقا أن تتصارع الأديان السماوية فيما بينها على الرغم من أن ركيزة وجودها التسامح الفكري والحب الإنساني والتفاهم المتبادل بين جميع البشر، ولكن الروح التي سيطرت على عالمي الشرق و الغرب كانت مخالفة لذلك تمام المخالفة[2]، وأخيرا نرى أن الدوافع الدينية قد حملت في طياتها أهدافا عديدة وغايات مختلفة، ورغم ذلك ظل جانبها الرئيسي عبر العصور واحدا ألا وهو مواجهة الإسلام والهجوم عليه[3] .

ولا ريب أن الأسباب الدينية الإيديولوجية خطيرة ونافعة في الوقت نفسه، إذ تدفع الإنسان إلى ذلك الصراع الفكري المتواصل الذي لايهدأ ولا يستكين، وتكمن هذه الدوافع في وجود إديولوجيات مختلفة للأفراد والمجتمعات والدول والحكومات والأجناس، تسعى كل منها لفرض نفسها والسيطرة على غيرها ليكون صاحبها رئيسا و الآخر مرؤوسا، ويعيش غنيا وترك الفقير يموت جوعا، ولو أخذنا في عين الإعتبار أن الاستشراق هدفه وفلسفته أنه لم يبدأ مصادفة ولا اعتباطا، بل نشأ حسب خطة موضوعة، و لا شك أن أسبابا إيديولوجية تكمن وراء ذلك، فاستعمل كل السبل والوسائل المشروعة وغير المشروعة لإرساء قواعده الإديولوجية، منها "فرق تسد" و " أقتل تعش" و "الغاية تبرر الوسيلة" و "حارب تسيطر" و "اغتصب تملك"، وما أكثر ذلك في في فلسفة "ماكيافيلي" و "نيتشه" و "هرتزل" وغيرهم، و ما من شك أن الدوافع الإيديولوجية كانت إحدى بواعث الاستشراق القوية . . . لذلك كله نعتقد أنه ليس غريبا على الاطلاق أن يكون للدوافع الإيديولوجية أثر عظيم في ميلاد الاستشراق اتجاهاته المختلفة[4] .

---

[1]– محمود حمدي زقزوق، الإسلام والاستشراق ...، مرجع سابق، ص71 .

[2]– يحي مراد ، مرجع سابق، ص97 .

[3]– أحمد سمايلوفيتش، مرجع سابق،ص50 .

[4]– نفســـه، ص46–48، بتصرف يسير .

المطلب الثاني: الدافع الاستعماري و السياسي :

لقد كان الاستشراق وليد الاحتكاك بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني أيام الصليبيين، وعن طريق السفارات والرحلات، و يلاحظ دائما أن هناك تقاربا وتعاونا بين الثالوث المدمر؛ التنصير والاستشراق والاستعمار، والمستعمرون يساندون المستشرقين والمنصرين لأنهم يستفيدون منهم كثيرا في خططهم الاستعمارية[1]، و ترتبط ظاهرة الاستشراق ارتباطا عضويا بظاهرة الاستعمار و كان للدول الإستعمارية الغربية مؤسسات استشراقية، فعندما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين و فشلهم في تحقيق أهدافهم الدينية و السياسية في العصور الوسطى، عاد الأوروبيون مرة أخرى إلى الشرق في ثوب الاستعمار، واتجهوا إلى دراسة كل شؤون البلاد الشرقية ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها، وعلى مواطن الضعف فيغتنموها، ولما تم لهم الاستلاء العسكري والسيطرة السياسية بعد أن مهد لهم رجال الإستشراق الطريق ...أضعفوا المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا وبثوا الارتباك والوهن في تفكيرنا باتباع طريق التشكيك[2]،وبالتالي تنجلي مهمة رجال الاستشراق في إضعاف المقاومة الروحية و المعنوية في نفوسنا وبث الارتباك والوهن في تفكيرنا، باتباع طريق التشكيك بقيمة وفائدة ما بأيدينا من تراث وما لدينا من عقيدة و قيم إنسانية، وبذلك نفقد الثقة بأنفسنا و نرتمي في أحضان الغرب بما لديه من حضارة وقيم و مبادىء عقائدية، و يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم المشوهة و المسمومة، ذلك الخضوع الذي إذا تم لا تقوم لنا بعده قائمـــة[3]، وذلـــك مصداقـــا لقولـــه تعالى:" **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى** "[4]، ولقوله عز وجل "**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ**

---

[1]– موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة، مرجع سابق، ص14 .

[2]– خالد محمد علي الحاج، مرجع سابق، ص477 .

[3]– نفســـه، ص477 .

[4]– سورة البقرة، الآية120 .

الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[1] و لقوله عز وجل:" **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** "[2].

وكان كثيرٌ من المستشرقين و لا زالو يعملون مستشارين لحكوماتهم في التخطيط لسياستها الإستعمارية و التنصيرية في الشرق الإسلامي، فعلى سبيل المثال كان المستشرق الهولندي "سنوك هوخرونيه"[3] يعمل مستشارا لحكومته في التخطيط لسياستها ضد أندونيسيا المسلمة، و كان المستشرقان البريطانيان ماكدونالد و جب يعملان مستشارين لحكومتهما في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شبه القارة الهندية و غيرها، و عمل ماسينيون مستشارا للحكومة الفرنسية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شمال إفريقيا، كما عمل المستشرق اليهودي برنارد لويس مستشارا للحكومة الإسرائيلية في تخطيط سياستها ضد العرب و المسلمين، و لا تكاد تخلوا سفارة من سفارات الدول الغربية لدى الدول الإسلامية من سكرتير ثقافي يجيد اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر و السياسة فيعرف أفكارهم و يبث فيهم ما تشاؤه دولته من الاتجاهات السياسية[4] .

ويمكن إعتبار الاستشراق المنجم والمصنع الفكري الذي يستمد منه المنصرون والمستعمرون أدوات الغزو الفكري بالمواد التي يسوقونها في العالم الإسلامي لتحطيم عقيدته وتخريب أفكاره، والقضاء على شخصيته الحضارية والتاريخية[5]، ولاتزال الصلة بين دارسي العالم الإسلامي من المستشرقين وبين أصحاب القرار السياسي في الغرب وإن كانت أقل وثاقة من ذي قبل وبناءعلى هذه الصلة تؤخذ القرارات وتوضع الاستراتيجيات إزاء العالم الإسلامي

1- سورة البقرة، الآية 109 .

2- سورة البقرة، الآية 217.

3- كريستيان سنوك هرخرونيه(1857-1936)و مستشرق هولندي، عين مدرسا للعلوم الإسلامية في معهد لتكوين الموظفين في الهند الشرقية(إندونيسيا), رحل إلى مكة وتسمى باسم مستعار "عبد الغفار", و أقام بها لمدة ستة أشهر وألف كتابه المشهور عنها"مكة" وطرد منها بعد ذلك لخيانة ثبتت ضده, من آثاره : محاضرات عن الإسلام ومقالات صغيرة جمعها له ونشرها تلميذه "ونسك"(عبد الرحمان بدوي موسوعة المستشرقين ص 353-355)

4- الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ص712-713 .

5- أحمد عبد الرحيم السايح، مرجع سابق، ص60-61 .

في العصر الحديث[1]، وحصل هذا الارتباط بين فئة من المستشرقين وبين حكوما تهم الأوروبية التي استعانت بخبراتهم و ثقافتهم عن البلدان التي يدرسونها من أجل توطيد سيطرتها في المنطقة[2]، وبلا شك تمثل النقطة الخطيرة بين الشرق والغرب محاولة هذا الأخير السيطرة على الأول و سحق قوته واحتلال أرضه، ويعترف الاستعمار نفسه أن أشد ما يخشاه هو الإسلام، و هو الوحيد الذي يقف في طريق أطماع الغرب وسيطرته على العالم سياسيا و حضاريا ودينيا و فكريا، من هنا تبرز لنا غايته وهدفه من الإستشراق، وكان لابد للمستعمر من معرفة أحوال هذا الشرق ومداخل السيطرة عليه، لذلك كله تلقف الإستعمار هذه الحركة، وكان ملوك الدول الاستعمارية رعاتها وكان قناصلهم في بلدان المشرق عمالها[3]كما أسلفنا في مقدمة هذا الدافع، لذا فقد عمل الاستشراق بوسائل أخرى غير نقل الخبرة بأحوال الشرق إلى الوعي الغربي، مثل تقديم الدراسات المختلفة عن البلاد الإسلامية بهدف تمكين القوى الغربية من السيطرة عليها و على مواردها..... وهذا الإرتباط بين الدوائر الاستشراقية و أدوات صنع القرار في الغرب لا يشمل كافة المستشرقين بل يرى بعض الباحثين المسلمين أن المتعاونين مع السياسة من أهل الاستشراق أقلية لا أكثرية[4]، ولو تتبع الدارس الأمر بشكل أكثر عمقا و شمولا لوجد فيه شيئا من الغرابة، إذ سرعان ما اتحدت أهداف المستشرقين مع أغراض المستعمرين، وهو السبب في أن الاستشراق قام أول مرة على أكتاف المبشرين ثم اتصل بالإستعمار، وعلى الجملة مكن للمستشرقن في البلاد الخاضعة لحكمه أو نفوذه[5]،وأن الدافع السياسي أكثر وضوحا في سفارات الغرب المتعددة لدى بلاد المسلمين، ففي كل مستعمرة ملحق ثقافي إداري يتقن اللغة العربية ليتمكن من الإتصال برجال الفكر والصحافة والسياسية، ومنها الدسائس التي كثيرا ما كانت السبب في الإنقلابات و تبديل الحكومات كما هو الحال في دول الإسلام[6]، ولا يمكن في هذا البحث

1- أحمد محمد جاد عبد الرزاق، مرجع سابق، ص164 .

2- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والتاريخ الإسلامي...، مرجع سابق، ص34 .

3- أحمد سمايلوفيتش، مرجع سابق، ص50-51 .

4- أحمد محمد جاد عبد الرزاق، مرجع سابق، ص164 .

5- أحمد سمايلوفيتش، مرجع سابق، ص51 . وأنظر:

- يحي مراد، مرجع سابق، ص32-33 .

6- خالد محمد علي الحاج، مرجع سابق، ص477 .

الوجيز استعراض كل ما قيل في هذا المجال، وإنما المراد هو إيضاح أن الاستشراق وإن كان قد بدأ حركة دينية ثم تحول إلى حركة مقترنة بالسياسية بحيث اشتغل معظم المستشرقين في دوائر المخابرات الأجنبية، وخدموا وزارات الخارجية، وهذا معروف عن أساطينهم مما لا يدع مجالا للشك في اقترانهم بالسياسة، وأن ما يكتبونه يراد منه خدمة واقع سياسي، وأنه حتى بعد التطور الحديث من مطلع القرن العشرين وحتى الآن لازال يواصل خطاه[1]، وخلاصة القول أن الهدف من وراء هذا الدافع:

1- إضعاف روح الإخاء بين المسلمين والعمل على فرقتهم لإحكام السيطرة عليهم .

2- العناية باللهجات العامية ودراسة العادات السائدة لتمزيق وحدة المجتمعات المسلمة.

3- كانوا يوجهون موظفيهم في هذه المستعمرات إلى تعلم لغات تلك البلاد ودراسة آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسونها ويحكمونها .

4- في كثير من الأحيان كان المستشرقون ملحقين بأجهزة الاستخبارات لسبر غور حالة المسلمين وتقديم النصائح لما ينبغي أن يفعلوه لمقاومة حركات البعث الإسلامي[2] .

المطلب الثالث: الدافع العلمي :

إن بعض الغربيين انكبوا على دراسة حضارات الشرق من جميع جوانبها بدافع حب الإطلاع المعرفي، و نقل المعارف بأمانة و صدق، وكان خطر هؤلاء أقل من غيرهم على الإسلام إذ أرادو فهم الإسلام و حضارته، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق و إلى المنهج العلمي السليم من اتجاهات الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بعضهم اتجه إلى البحث والتمحيص لمعرفة الحقيقة الخالصة، وقد وصل بعض هؤلاء إلى الإسلام ودخل فيه، نذكر منهم المستشرق الفرنسي دينيه الذي عاش بالجزائر فأعجب بالإسلام و أعلن إسلامه، و تسمى باسم ناصر الدين دينيه، وألف مع عالم جزائري كتابا عن سيرة الرّسول صلى الله

1- أكرم ضياء العمر، مرجع سابق .

2- موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة ، مرجع سابق، ص11-12 .

عليه و سلم، وله كتاب " أشعة خاصة بنور الإسلام " بين فيه تحامل قومه على الإســلام و على الرّسول عليه الصلاة و السلام، و"توماس أرنولد" الذي أنصف المــسلمين فــي كتابــه الدعوة إلى الإسلام، مات في فرنسا لكنه دفن في الجزائر[1]، والدوافع العلميــة ذات شــأن عظيم في حركة الاستشراق، لأن العالم العربي يدر كنزا حضاريا لا نظير له في بقاع العالم الأخرى، لذا أدرك الغرب أن لابد له أولا إذا أراد النهوض أن يدرس لغات الشرق وغاياتها وآدابها وحضارتها، خصوصا حضارة الإسلام، فأقبل المستشرقون على هذه الدراسات بنهم وشغف[2]، ومما لا شك فيه أن هناك فئة من المستشرقين اندفعت برغبــة علميــة صــادقة، وبدافع ذاتي وهواية شخصية تطورت إلي إحتراف لدراسة التاريخ الإســلامي و محاولــة التعرف على الحقيقة قدر المستطاع وحسب جهدها واجتهادها في فهــم وقــائع التــاريخ[3]، وترجع جذور الاستشراق العلمي إلىإهتمامات حركة التنوير، إذ كان كل شخص يرغب في التعرف على لغة الشرق بطريقة وافية على حد قول" سلفستر دي ساسي" كما نقل ذلك أحمد عبد الرزاق :" فإن درس اللغات الشرقية قادر أن يعيننا على فهم الشعر الإلهي الــذي ألفــه العبرانيون"[4], ولقد انقلب هؤلاء الباحثون في التراث العبــري والنــصوص العبريــة إلــى مستشرقين يدرسون التاريخ والحضارة الإسلامية، ومن هنا جاءت بعض بحوثهم دراســات مقارنة بين التراث العبري وتراث الحضارة الإسلامية، وإيجاد الصلة بين النظم الموجــودة عند الطرفين، ولعل في مقدمتهم "غولد زيهر" و"جوزيف شاخت"[5]، ولا ريب أن الاستشراق قد أبلى بلاءً حسنا في خدمة الإنسانية بأسرها متأثرا بهذه الدوافع الكامنة في نفــسه، والتــي كانت إحدى الأسباب الرئيسية لميلاد حركته ونشأة فلسفته، ولكن الفضل يعود أصلا للعــرب وثقافتهم[6]، وهناك من الباحثين من يرى أن هناك فئة قليلة من المستشرقين أقبلت لدراســة معارف الشرق بدافع حب الإستطلاع ونقل المعرفة بأمانة وصدق، حيث كان خطر هــؤلاء

[1]– الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج1، ص3–7. وأنظر :
– موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة ، مرجع سابق، ص12.
[2]– أحمد سمايلوفيتش، مرجع سابق، ص51 .
[3]– محمود حمدي زقزوق، الأستشراق والتاريخ الإسلامي ...، مرجع سابق، ص36 .
[4]– أحمد محمد جاد عبد الرزاق، مرجع سابق، ص171 .
[5]– محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والتاريخ الإسلامي ...، مرجع سابق، ص36 .
[6] – أحمد سمايلوفيتش، مرجع سابق، ص51 .

قليل بالمقارنة مع أولئك الذين كان هدفهم الدس و التشكيك في حضارة المسلمين وعقائـدهم، ولذلك كانت أبحاثهم أقرب إلى الحـق والمـنهج العلمـي الـسليم مـن أبحـاث جمهـرة المستشرقين[1]، ولكن لا تخلو هذه البحوث في نفس الوقت من شطحات وتشويهات لهـا مـا يبررها بسبب الجهل أو التقصير في فهم النصوص العربية أو بسبب بيئة المستشرق الثقافية أو الأفكار التي تؤثر في مسيرته العلمية[2]، ومن الباحثين من ذهب إلى نفي هذا الدافع مـن أساسه بحجة أن الدافع العلمي لذلك لم يكن خالصا من جمهرة المستشرقين، لأن طبيعة الدافع العلمي أن يكون نزيها في العادة، حريصا على إستجلاء الحقيقة بتجرد وصدق وإنصاف، لا تحكم فيه الموروثات والرواسب النفسية مما صنعتها البيئة الخاصة أو أمثلة ووقائع تاريخيـة معينة تتسم بتسجيل فترات الخصومات الدموية و النزاع العدواني[3]، ومن الأمثلة الواضحة على أن أولئك المستشرقين كان هدفهم خدمة أنفسهم فقط، البعثات الثلاث التي قـدمت إلـى الأندلس، أولها بعثة فرنسية برئاسة الأميرة "إليزابت" إبنة خالة " لويس السادس ملك فرنسا، والبعثة الثانية إنجليزية، على رأسها الأميرة "دوبان" إبنة الأمير "جورج" صـاحب مقاطعـة "ولز"، والبعثة الثالثة كانت إسبانية، بعضها من مقاطعة "سفوا" و "ألبافـة" و "ساكـسونيا" و "الرين"، واستفادت أوروبا من هذه البعثات فائدة لا تقدر، وأصبح أفرادها شعلة علمية تضيئ غياهب أوطانها[4]، وهذا ما سنوضحه بمشيئة الله وفضله من أقوال العلماء والمفكرين فـي مواقفهم من الاستشراق .

المطلب الرابع: الدافـع التجـاري :

وهي دوافع بارزة لكل من له دراية بالعلاقات بين الشرق والغرب، لأنها تدفع الإنسان لإلتماس سبل العيش عبر الأراضي والبحار في جميع بقاع العالم في سبيل وصول الإنسان إلى هذا الهدف، يشهر سلاحه ويستعين بقوته وبطشه ما وجدوا إلى ذلك سبيلا[5]، و أصبح

---

[1]– خالد محمد علي الحاج، مرجع سابق، ص470 .

[2]- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والتاريخ الإسلامي ...، مرجع سابق، ص 36 .

[3]– أحمد عبد الرحيم السايح، مرجع سابق، ص52.

[4]– أحمد سمايلوفيتش، مرجع سابق، ص52 .

[5]– نفســـه، ص45–46 .

السعي وراء التجارة الروح التي تؤجج شعلة الاستشراق منذ بداية القرن السابع عشر في بريطانيا على وجه الخصوص، فمطلب التبادل والتجارة الرابحة كان دوما من أقوى المشجعات البشرية على النشاط والعمل[1]، ويتجلى بصورة واضحة في ترويج السلع بالأسواق شرقا و غربا في بلاد الإسلام و شراء مواردنا الخام بأبخس الأثمان لنكون عالة على ما لديهم, وكان لهم ما أرادوا فلا زلنا إلى أيامنا هذه تبعا لهم في هذا الميدان, وهذا من أعظم الأدلة على سياستهم الخبيثة والمقصودة لإذلالنا بل ولتدمير حياتنا و مستقبلنا إن استطاعوا ذلك[2]، ولقد كانت المؤسسات والشركات الكبرى ، والملوك كذلك ، يدفعون المال الوفير للباحثين ، من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة تقارير عنها، وقد كان ذلك جليا في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر و العشرين[3]، و قد أدت أهمية الشرق التجارية كمصدر للربح الوفير من خلال المعاملات التجارية معه منذ فترة ليست بقليلة، وحتى وقتنا الحاضر إلى أن أصبح الشرق موضوع للبحث الغربي من جهة لغاته وعادته و ثقافته وديانته، و خاصة في منطقة الشرق الأوسط و منطقة الخليج العربي في الوقت الحاضر، وبصفة خاصة الاستشراق الأمريكي الذي عاد بالاستشراق إلى وظيفته القديمة التي كانت له في بريطانيا وفرنسا في القرنين الماضيين[4]، كما أن هناك عاملا إقتصاديا للاستشراق يتخذه كثير من المثقفين كمهنة ناجحة ينشرون مؤلفاتهم التي تدور حول الإسلاميات والشرقيات، ويشرفون على نشرها، لما يرون من سوق رائجة في البلاد الشرقية[5] .

المطلب خامس: الدافــع الأدبي و الفني :

منذ بداية الإتصال بين الشرق و الغرب لا سيما في بداية العصور الوسطى, كانت المعلومات عن الإسلام و الشرق بوجه خاص تدخل الخيال الغربي و تؤثر في تشكيل تقاليد أدبية وفنية ما تزال مستمرة في العديد من الأعمال الإبداعية, مثلا في ملحمة الشاعر

---

[1]– أحمد محمد جاد عبد الرزاق، مرجع سابق، ص174 .

[2]– موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة مرجع سابق، ص12 .

[3]– الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج1، ص713 .

[4]– أحمد محمد جاد عبد الرزاق، مرجع سابق، ص174 .

[5]– أحمد سمايلوفيتش، مرجع سابق، ص46 .

الإيطالي دانتي " الكوميديا الإلهية " في القرن الثالث عشر ميلادي، نجد تصوير لشخصيات إسلامية تعكس الكيفية التي صورت بها أوروبا النصرانية المسلمين آنذاك، ثم نجد جانبا مغايرا إلى حد ما في بعض أعمال الشاعر الإنجليزي تشوسر في القرن الرابع عشر ميلادي ثم "شكسبير" في القرن السادس عشر ميلادي ثم فوليتر في القرن السابع عشر، وهكذا عبر العصور حتى نصل إلى العصر الحديث لتتواصل التناولات و التصورات الاستشراقية في أعمال العديد من الكتاب الغربيين و منهم على سبيل المثال الروائي الأمريكي جون بارث الذي اهتم بألف ليلة و ليلة على نحو خاص، أما على مستوى الفنون التشكيلية فإن أشهر ما استقرت عليه التقاليد الاستشراقية هي اللوحات التي أنتجها فنانو العصرين الثامن عشر و التاسع عشر في أوروبا، من أمثال الفرنسي ديلاكروا[1] .

المطلب السادس: الدوافع النفسية :

تكمن في طبيعة الإنسان من حيث هو كائن حي ومخلوق مفكر، له خصائصه و آماله و أحلامه وأطماعه وأهدافه ونزواته ورغباته و إحساساته، ولما ظهر الإسلام وانتشر بسرعة في تلك البقاع الشاسعة و وقف العالم مدهوشا أمام هذه المعجزة الكبرى، وعندما أفاق من ذهوله رأى أمرا عجبا، مآذن شاهقة تدوي من فوقها بكلمات تكبر الله وتدعو إليه، ومنابر رائعة يتسارع المؤمنون إليها ليسمعوا دروس العلم، ومعاهد زاخرة يتزاحم العلماء والطلاب فيها، ومراكز بحوث يتسابق الخبراء والباحثون فيها إلى الكشف والإبتكار والإبداع . . . فإذا رأى الباحث ذلك استيقظت نفسه وتحرك فكره، وعكف على تراث هؤلاء و أولئك، وأخذ ليل نهار يشتغل ليحدد منابع قوتهم وحضارتهم وآدابهم وفلسفتهم و إيمانهم، حتى ظهر في الغرب أناس رأوا العكوف على التراث الإسلامي بأوسع معانيه لمعرفة أسباب تلك القوة الخارقة ومقومات هذه الحضارة العتيدة، ومن هنا كانت نشأة حركة عرفت فيما بعد بحركة الإستشراق، وقد ولدت أصلا بسبب حيرة الرجل الغربي اتجاه العالم العربي، وإحساسه الداخلي بالرغبة في مقاومة التوسع الإسلامي الذي عبر إلى أوروبا يوما ما، وسيطر على جزء كبير منها. . . ومهما يكن الأمر فقد اتضح الآن أن الدوافع النفسية كانت عظيمة الشأن

---

[1]– الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج1، ص3–7 .

في نشأة الإستشراق، وأن لها أثرا كبيرا في اتجاه علمائه و تطور حركته، مما لايدع مجالا للشك في أنها تعد أساسا من أسس انطلاق هذا العلم الإنساني الرحب إلى آفاق جديدة واسعة[1] .

المبحث الثالث : موقف علماء ومفكري الإسلام من الاستشراق :

لقد أثارت ظاهرة الاستشراق في العالم الإسلامي عدة آراء حول إنتـــاج المستـــشرقين، وهل هو موجه لغرض خدمة الإسلام أو لهدمه، لذا فقد جاءت أقوال العلماء والمفكرين بـــين المدح والذم، وهذه خلاصة أفكارهم .

المطلب الأول : المـــؤيـــدون :

لقد وجد من مفكري المسلمين من يؤيد منهج الغرب و يدافع عنه و عن أهله دون روية و بصيرة، و في هذا الصدد يقول محمود زقزوق معلـــقا على هـــؤلاء:" ومن الأمور التي تدعو إلى الضحك و شر البلية ما يضحك، أن يصل الأمر بالبعض منا إلى حد السذاجة فيذهب إلى القول بأن فريقا من المستشرقين غيورون على الإسلام مثلنا، حريصون على الدفاع عنه مثلنا [2] .

الحقيقة أن كثيرا من هؤلاء الذين يؤيدون المستشرقين فيما ما ذهبوا إليه من الآراء والمواقف الخاطئة إنما لأنهم نهلوا من علومهم بدون وزنها بميزان الشرع, وحسبوا أن دافع هؤلاء المستشرقين دافعا علميا بحتا، وهاهو ذا كاتب عبقري اعترف له المستشرقون بالفضل يقول:" ولو وازنا بين عنايتهم بتراثنا وإكتشافه و صونه وتحقيقه، وبين ما قمنا به نحن في سبيله، لرأيناها تكاد تكون متساوية، ووازنا بين ترجمة أحدهم وآثاره، وبين ترجمة أحد الأعلام وآثاره، فوجدناه يضاهيه خلقا علميا وعدد كتب، وأن لا غنى لنا عن معظمها في علومنا وآدابنا وفنوننا، ولا سبيل إلى جحد فضلها في فتح عيون الشرقيين والغربيين على ما في تراثنا من ثراء، ثم نهضتنا الحديثة التي كانوا دعائمها، ولو سعينا إلى تحقيق تراثنا

1- أحمد سمايلوفيتش، مرجع سابق، ص24-26، بتصرف يسير .

2- محمود حمدي زقزوق، الإسلام في الفكر الغربي ....، مرجع سابق، ص66 . و انظر:

- أبو شهبة، دفـــاع عن السنـــة، دط، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، دت، ص40 .

وترجمته والتصنيف فيه ونشره بشتى اللغات منذ ألف عام وفي كل مكان لاحتجنا إلى إستئجار مواهب مئات العلماء ومناهجهم و معارفهم و دقتهم وجلدهم طول حياتهم، وذلك من العسير علينا، و من النفقات عليه ما يستنفذ طائل الثروات، وأما ونحن لم نفعل، وعرفنا الجزاء الذي يلقاه المستشرقون في بلدانهم، فكيف جزيناهم عليه ؟[1]، وهذا التوجه نحو قبول إسهامات المستشرقين يعد أول المواقف الثلاثة بروزا، إذ أن بداية النهضة في مصر وسوريا قد اتكأت على مجموعة من المفكرين والأدباء، ويتسم هذا الموقف بالتأثر المباشر والقوي بالمعلومات الواردة عن المستشرقين والتفسيرات الجديدة للإسلام[2]، حتى بلغ الأمر ببعضهم إلى حد القول بأن المستشرقين غيورون على الإسلام مثلنا، حريصين عن الدفاع عنه مثلنا، و هم إذا ما حاولنا إحصاءهم يعدون بالمئات، فما الذي يمنع دعوتهم وعلى وجه السرعة لعقد مؤتمر يضمهم وعلماء المسلمين يتداولون الرأي حول ما ينبغي أن نفعله لمواجهة الحملة الصهيونية ضد الإسلام ولنعقد هذا المؤتمر تحت شعار حماية الإسلام من الحملة الصهيونية[3]، بل وأصبح الإستشهاد بإنتاج المستشرقين في كل قضية إسلامية، مدعاة أو مقياسا لمدى إطلاع المؤلف وسعة أفقه ، وكسبه من الآخرين، ولذا يلاحظ عند انتقاد أي سلوك داخل في المنطلقات الإسلامية، أن المنتقد قد يقول :ماذا يقول عنا الغرب؟ وكأن الغرب سيتولى حسابنا" **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** " (الشعراء، 89)[4]، فكيف يمكن أن ننتظر من أناس لا يؤمنون بالإسلام أن يدافعوا عنه وعن قضاياه [5]، إذ ليس هناك مبرر في قبول أعمال هؤلاء المستشرقين, ولنا الوسع في استبدالها بأفضل منها بشيء من الجهد و المثابرة, والعمل الدؤوب .

المطلب الثاني : المعارضون .

وقف مجموعة من المفكرين المسلمين موقف الرفض المطلق، فلم يقبلوا أي إسهام في الثقافة الإسلامية من أناس لا يدينون بالإسلام، لم يقبلوه على أنه حجة وعلى أنه لم يقدم

---

[1]– نجيب العقيقي، المستشرقون ....، مرجع سابق، ص606 .

[2]– علي بن إبراهيم النملة، مرجع سابق، ص18 .

[3]– محمد حمدي زقزوق، الإسلام في الفكر الغربي ....، مرجع سابق، ص58 .

[4]– علي بن إبراهيم النملة، مرجع سابق، ص18 .

[5]– محمود حمدي زقزوق، الإسلام في الفكر الغربي...، مرجع سابق، ص66 .

جديدا في المفهوم حتى ما جاء من باب الإطراء والمديح التي تلفظ بها بعض المستشرقين أو بعض الشخصيات الغربية والتي جمع منها بعض الأساتذة مجموعة من الأقوال، فكان هذا الفريق يقف منها موقف المتحفظ، ويحاول أن يقرأ مابين السطور[1]، مع أن بعض الباحثين يرى أن للمستشرقين بعض الجهود النافعة ويضرب أمثالا لذلك بالكتب التي صنفوها ونشروها بالفهرس العلمي الذي وضعوه لألفاظ السنة وكذا مفتاح كنوز السنة، ولعلي على حق حين أقول، ليس في ذلك فضل للمستشرقين أي فضل فالأعمال بالنيات...، والمستشرقون حينما حققوا ونشروا الكتب ووضعوا المعجم المفهرس ومفتاح كنوز السنة لم يقصدوا بحال من الأحوال إلى إفادتنا وخدمة علمنا، ومع ذلك فأنا لا أنكر أننا استفدنا كثيرا من عملهم هذا، ولكنها إفادة بالإضافة والتبعية ولم تكن مقصودة لذاتها[2]، فالدراسات الإستشراقية مهما كانت موضوعية لا تستطيع أن تحدد مواضيع فكرنا ولا أساليب أعمالنا في المستقبل، ومن قال هذا آمن بجدوى استيراد الأفكار والثقافة من الخارج وبالتنصُل من شخصيته، وهذا لا يعني أننا ننكر تيارا إيجابيا بين المستشرقين، ومن يستطيع إنكار الواقع ؟ إلا أننا نقول بأن الدراسات الإستشراقية سواءً كانت إيجابية أم سلبية هي دراسات غيرنا، لا ينبغي أن تغنينا عن دراستنا باعتمادنا عليها وحدها[3]، لأننا إذا تحولنا إلى التحقيق في أمر هذه الفئة المضللة فإننا مع التسليم بجهودها الكبيرة، وبانقطاعها في البحث تستقل به من قضايا، أو تتفرغ له من أعمال، لا نجدها إلا سطحية في التكوين خفيفا وزنها فيما تحذق من العلوم، أو تتخصص فيه من فنون، لأنها كما قال أحمد فارس الشدياق كما نقل ذلك محمد نجيب خوجة، قال:" لم تأخذ العلم عن الأشياخ، وإنما تطفلت عليه تطفلا وتوثبت فيه توثبا. ... ومن تخرج فيه بشيء إنما تخرج على القسس. . . ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه، وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهله"[4] والنتيجة التي يقررها المفكر العربي مالك بن نبي بعد التحليل المتأني لظاهرة الاستشراق والشواهد المختلفة التي

1- محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والتاريخ الإسلامي...، مرجع سابق، ص21 .

2- عبد العظيم الديب، المستشرقون والتاريخ، الندوة العلمية عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1، عالم المعرفة جدة، 1405هـ/1985م، ص276 .

3- عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك ابن نبي، ط1، دار الشهاب باتنة- الجزائر، 1404هـ/1984م، ص63 .

4- محمد نجيب بن خوجة، مرجع سابق، ص46 .

قدمها كما نقل ذلك سعد بوفلاقة " أن النتاج الاستشراقي بكلا نوعيه كان شرا على المجتمع الإسلامي، لأنه ركب في تصوره العقلي عقدة الحرمان، سواء في صورة المديح والإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا المعاصر و غمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، وفي صورة التفنيد والإقلال من شأننا، بحيث صيرتنا حماة للضيم عن المجتمع المنهار مجتمع ما بعد الموحدين. . .، وعلى كل حال فإن أمكننا أن نصرح بأننا نجده كل وجه جانبا إيجابيا في هذا الاستشراق، فإننا لا نجده على في صورة المديح، بل في صورة التفنيد[1]، ومن أقوى المبررات لهذا الموقف أن الاستشراق بدراسته لعلوم المسلمين، وإسهامه في الدراسات، لم ينطلق من قاعدة علمية مجردة موضوعية، بل إن هناك دوافعا وأهدافا غير علمية ساقت المستشرقين إلى هذا المجال خدمة لأغراض إستعمارية وتنصيرية ودينية عامة، وتجارية واقتصادية وسياسية، و عليه فإن الثقة منزوعة من إسهامات هؤلاء[2]، والذي ساقها إلى الإنحراف عن الحق والدس للإسلام، ما وقعت فيه وما تقع فيه من أخطاء في التصورات والآراء، الوهم والغفلة والجهل الناشئ جميعه في التوجهات المدبرة والأحكام المسبقة. . .، ولا يخفى على أحد أن جهود الباحثين في الاستشراق قامت على أكتاف الرهبان والمبشرين وثلة من اليهود ثم اتصلت بعد ذلك بالإستخبارات و بالسياسة الغربية الحاقدة والمغرضة[3]، قال زقزوق و في رسالة محمود شاكر " في الطريق إلى ثقافتنا محاولة لنسف أعمال المستشرقين جميعها وأنها موجهة إلى الأروبيين لحمايتهم ولا توصف بالعلمية، أما الذين نظروا إلى إسهامات المستشرقين من منطق الرفض لكن بدون هذه النظرة البائسة فقالوا :" إن ما أسهم به المستشرقين إنما هو ضرر كله لا خير فيه وإن الاستشراق إنما هو جناح من أجنحة المكر الثلاثة يستوي في هذا مع الإستعمار والتنصير بل هو المغذي للاستعمار و التنصير على حد سواء[4]، والشيء الذي نستفيده من المسشترقين، غلاتهم ومنصفيهم يتمثل فيما حققوه من تراثنا وفيما جمعوا شتاته، والشيء الذي يبقى أن نفعله هو اختيار مواضيع تفكيرنا بأنفسنا وذلك من أجل ضمان الاستقلال الفكري. . .، ونستطيع

[1]- سعد بوفلاقة، مرجع سابق، ص135 .

[2]- محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والتاريخ الإسلامي ...، مرجع سابق، ص21 .

[3]- محمد الحبيب بن خوجة، مرجع سابق، ص46 .

[4]- محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والتاريخ الإسلامي ...، مرجع سابق، ص25 .

تحطيم الأسطورة التي تقول أن هناك نوعين من الذهنيات، ذهنية متحضرة وذهنية بدائية[1]، ولابد من تقدير هذا الموقف، وليس بالضرورة الإتفاق معه ولابد من احترامه لأنه إنما يصدر عن الخوف على الإسلام، بالسعي إلى حمايته من عبث العابثين –وهم هنا المستشرقون– وتحصين أبناء الإسلام بالتنبيه على خطورة قبول هذه الظاهرة، وقبول ما جاءت به مهما بدا من المواقف الحسنة مع الإسلام[2] .

المطلب الثالث : المتوسطون :

والموقف الثالث هو ذلك الموقف القائم على الدراسة والبحث والغوص في إسهامات المستشرقين, والتعرف على مواطن الضعف في هذه الإسهامات مع المعرفة التامة بمواطن القوة في الإسلام، [3] ولأن الكثير من الأوروبيين الذين يتعرضون للكتابة عن الإسلام هم في أغلب الأحيان صادقون و كاذبون في الوقت نفسه، صادقون لأنهم يعتمدون في الغالب على مؤلفات أخرجتها المطابع في العالم الإسلامي، وكتب كتبها مؤلفون ينتسبون إلى الإسلام على مر القرون، وكاذبون لأنهم يتحررون من الأمانة العلمية، فليس كل ما كتب عن الإسلام هو الإسلام، حتى وإن كان صادرا عمن ينتسبون إلى الإسلام، والأوروبيون المهتمون بالدراسات الإسلامية يعرفون قبل غيرهم أن ما بأيديهم من مراجع مختلفة عن الإسلام فيه الغث و السمين، و الإسلام لا يتحمل وزر هذه المراجع التي يمتلئ الكثير منها بالخرافات و الأوهام ويزخر بالإسرائيليات، ولكن لا يجوز لنا أن ننتظر منهم أن يخدموا الإسلام فهذه مهمتنا نحن المسلمين[4]، فليس من العدل أن ننظر نظرة متجهمة، و نأخذ الكل بجريرة البعض سواء ما كان منه بدافع التعصب الديني أو الطمع الإستعماري أو العلم المنهجي، فلما وجد من بين هؤلاء من اتهم العربية و قذفها بالعجز و قصر الأداء، وجد أيضا من شغف بها و استبسل في الدفاع عنها، بل و اتخذ من سحرها الغزلي هدية لعروسه يوم زفافها، و كما نسجل عليهم حق استعادة تراثنا المنهوب، نسجل لهم حفظ جانب مهم للتراث من الاندثار و

---

[1]– عبد اللطيف عبادة، مرجع سابق، ص65 .

[2]– محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والتاريخ الإسلامي ...، امرجع سابق، ص28 .

[3]– علي بن إبراهيم النملة، مرجع سابق، ص29 .

[4]– محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والتاريخ الإسلامي...، مرجع سابق، ص57 .

الضياع كما هو الحال مع كتاب تاريخ الأدب العربي لبروكمان[1] .

فإننا لا نستطيع أن ننكر عمل الاستشراق كله، فإن هذا والله لعين الظلم، و مثل هذا الحكم يقتضينا تصنيف عمل الإستشراق، إذ ليس واردا ونحن نناقش تصنيفات الاستشراق أن ننكر عليهم تباين أعمالهم، فمنهم من كانت لهم أياد بيضاء على الثقافة الإسلامية و العربية و تحقيق التراث و إخراجه، وساهم بشكل كبير في توضيح المفاهيم الإسلامية و الثقافية، غير أننا نستطيع بجانب ذلك الإعتراف أن نعدهم مدرسة قائمة بذاتها. . . يشكلون قوى أمام قوى الاستشراق المعادي للموضوعية المتحررة من أطماع الاستعمارية، حتى بلغ بهؤلاء المنصفين من المستشرقين الذين قرؤوا الإسلام بعمق و صفاء و إخلاص و نزاهة و بحث أن اعتنقوا الإسلام، بل و حتى ذلك الماركسي منظّر النظرية الاشتراكية في فرنسا جارودي، و من الذين أعربوا عن طموحاتهم نحو عودة تجديد العلاقة بين الشرق و الغرب على أسس جديدة هيلموت سميث حين قال:" أريد أن أكتب عملا من النقاء الإنساني و الحضاري في ديانات التوحيد على الخصوص المسيحية و الإسلام، ومن المفرح أن نلاحظ أن الغربيين انخرطوا في العهد الجديد لتفهم الإسلام تفهما مطابقا لصورته الحقيقية من بين هؤلاء أخص بالذكر موريس بوكاي، مارسيل بوزار، فاسنان مونتاي، روجي غارودي و ميشال لولونج .

ويرى فيكتور سحاب كما نقل ذلك الفيومي أن المستشرقين المنصفين للحضارة العربية يمثلون ظاهرة هامشية في الفكر الأوروبي، و لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تمثل موقفا سياسيا عاما و لا جزئيا ولا تمثل موقفا اجتماعيا أوروبيا تجاه الغرب[2]، وإنه من الصعوبة بمكان إصدار حكم عام على منهج المستشرقين في دراسة التاريخ و التراث الإسلامي، فالمستشرقون ليسوا فئة واحدة ونزعاتهم متنوعة، كما أن العوامل المؤثرة عليهم مختلفة ولذلك تغايرت أحكامهم حول الظاهرة الواحدة، فهي تختلف من مستشرق لآخر، بل إن أحكام المستشرق ذاتها قد تتغير من فترة إلى أخرى[3]، لكننا نحن العرب لم ننظر إلى الاستشراق

---

[1]- يوهان فوك، مرجع سابق، ص10 .

[2]- محمد إبراهيم الفيومي، مرجع سابق، ص157-186. و انظر:

- أنور الجندي، سموم الاستشراق و المستشرقين في العلوم الإنسانية، دار الشهاب-باتنة، 1987م، ص9 .

[3]- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والتاريخ الإسلامي ...، مرجع سابق، ص42-49 .

نظرة المتفهم لظروف تكوينهم النفسي والتاريخي والإجتماعي، وكانت ردود فعلنا حادة وقوية وشديدة الإنفعال، فمهما يكن الحال فالمستشرقون ليسوا عربا لنُخضع مقولاتهم لوجهة نظر عربية[1]، وأنا أزعم أن هذا الفريق لم يطبقوا نظرية الإمام الغزالي في الوقوف على منتهى ما جاء به المستشرقون حتى ساوى ما وقف عليه أعلمهم، ثم يزيدون عليه و يجاوزون درجتهم فيطلعوا على ما لم يطلع عليه المستشرقون، يمكن أن يكون ما يدعونه فسادا لا خير فيه، بل إني أزعم أن فئة غير قليلة من أصحاب هذا الفريق لم يدرسوا الاستشراق من حيث كونه ظاهرة، دراسة مستفيضة ومتعمقة، وإنما اكتفوا بالعموميات و النقل عن الآخرين عندما شعروا أن هذه الظاهرة تهدد الإسلام والمسلمين[2]، ومن المتفق عليه بين جميع المواقف أن المستشرقين لهم جهود في خدمة الإسلام، ولكن وقع الخلاف هل هذه التركة من المؤلفات موجهة للغرب النصراني أو للشرق الإسلامي، فوقع الإنقسام بينهم واختلفت وجهات نظرهم فيها، لذا فقد رأى جمع منهم أن لهم فضلا يشكرون عليه عملا بقوله تعالى :" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**"[3]، فقالوا أن للمستشرقين فضل تنبيه الأفكار بمؤلفاتهم إلى إدراك الحقيقة الخالدة التي لطالما أنكرها الغربيون وهي أن المدنية الأوروبية الحديثة مبعثها الشرق وعلومه وحضارته وفلسفته[4]، وأن هناك قلة من الأجانب والمستشرقين الذين يميلون إلى خدمة العلم والتاريخ والحق ولا يتعصبون، فهم الذين اعترفوا بالإسلام بعد أن بحثوا بحثا دقيقا في تعاليمه، وحققوا كثيرا في أحكامه، ومن أمثالهم من شرح الله صدرهم للإسلام، مثل المفكر النمساوي "ليوبولد فايس" (محمد أسد)، والباحثة الأمريكية "مارجريت ماركوس"(مريم جميلة)[5]، لذا فقد كان لهم فضل في الكشف عن التراث وفي الصون وفي التقويم والفهرسة و التصنيف و الترجمة و التأليف و التحقيق

1- عادل الألوسي، مرجع اسابق، ص19 .

2- علي بن إبراهيم النملة، مرجع سابق، ص28-29 .

3- سورة المائدة، الآية 08 .

4- أحمد سمايلوفيتش، مرجع سابق، ص51 .

5- عبد الله مبشر الطيرازي، نبي الإسلام في مرآة بعض المستشرقين، الندوة العلمية عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1، عالم المعرفة جدة، 1405هـ/1985م، ص299 .

العلمي و إنشاء دار المعارف و جمع المخطوطات من كل مكان[1]، فكتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي مثلا ذكر محققه أنه اكتشفه المستشرق الألماني "شبرنجر"، و نقل فيه نصوصا منه تثبت أن الحديث كتب منذ عصر الرسول صلى الله عليه و سلم[2]، وقدم المستشرقون دراسات ثمينة لا زالت حتى يومنا هذا تعتبر أحد مصادر المعرفة و التاريخ عن المشرق العربي[3]، فمثلا كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي نقل محققه أنه لم يكتشفه إلا المستشرق الألماني شبرنجر سنة 1855هـ، و عقد مقالا موسعا نقل فيه نصوصا منه تثبت أن الحديث كتب منذ عصر الرسول صلى الله عليه و سلم[4]، وإن محاولة الاستفادة من هذه الدراسات من الواجبات، لكن إفراط الثقة بهم و الإعتماد عليهم والثناء المطلق على جهودهم، من السخافات التي ينبغي أن لا تحجب عنا ـ شهرة الإنصاف و الاتزان ـ الحقيقية، فنتلقى عنهم كل ما كتبوه، وينبغي أن نزن ذلك بميزان اعتبار الأخبار[5]، كما أنه لابد من الدراسة والبحث والغوص في جميع إسهامات المستشرقين والتعرف على مواطن الضعف في هذه الإسهامات، مع معرفة تامة بمواقع القوة في الإسلام[6]، بل الواجب علينا أن نذهب إلى أبعد حد من هذا، وذلك بأن نأخذ بالحذر والحيطة والتحفظ حتى بالنسبة لهذه الفئة التي إشتهرت بالإنصاف، لأن التي عرفت بالتعصب و الإنحراف لم يصبح لها وزن حتى عند إخوانهم من المنصفين[7]، وحتى الأوروبيون قد انتقدوا منهجهم في دراسة الإسلام وتاريخه قبل أن ينتقده الباحثون العرب والمسلمون[8]، وقد تصدى لهؤلاء المستشرقين الموغلين في الحقد والتشفي جماعة من الباحثين الذين ظهر لهم نور الحق، فأسلم بعضهم و بقي البعض الآخر على دينه

---

[1]- يحي مراد، مرجع سابق، ص4 .

[2]- الخطيب البغدادي، تقييد العلم، صدره و حققه و علق عليه يوسف العش، ط2، دار إحياء السنة النبوية، 1974م، ص16 .

[3]- يوسف مكي، مرجع سابق، ص98 .

[4]- الخطيب البغدادي، تقييد العلم، صدره و حققه و علق عليه يوسف العش، ط2، دار إحياء السنة النبوية، 1974م، ص16 .

[5]- محمد علوي مالكي الحسني، المستشرقون بين الإنصاف والعصبية، الندوة العلمية عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1، عالم المعرفة جدة، 1405هـ/1985م، ص184 .

[6]- علي بن إبراهيم النملة، مرجع سابق، ص29 .

[7]- محمد علوي مالكي الحسني، مرجع سابق، ص169 .

[8]- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والتاريخ الإسلامي ....، مرجع سابق، ص43 .

لكنه احترم الحق وقال به، وإن كانت له بعض الهنات التي لم يستطع أن يتخلص منها إما لرواسب قديمة أو لأخطاء منهجية أو لغوية، فقد تقف اللغة حجر عثرة في سبيل فهمهم للحقيقة، حيث أن القرآن مليء بالإستعارات والتشبيهات و الكنايات البلاغية التي يعجز الكثيرون عن إدراك معانيها وأهدافها، فيقعون في أخطاء قاتلة[1]، زيادة على أن منهم من ورث المنهج الغربي في الشك، والذي توارثوه عن ديكارت و مونتين و منتسكو، ولم يكن فينا نحن هذا المنهج، مما أثار فينا على المستشرقين نزعة الغضب، كما لم يكن لدينا موقف ثابت ومنهج علمي خاص بنا في الرد على المستشرقين، وأن البعض من مفكرينا وقعوا في أخطاء وهم يصححون أخطاء المستشرقين[2]، لذا فقد اختار أصحاب هذا الموقف المواجهة كبديل للإستشراق، وذلك أن نعمل على إصدار عدة موسوعات ودوائر معارف قي التاريخ والعقائد والآداب والأخلاق والفقه والحديث ومختلف العلوم والفنون، لأن المعركة الفكرية قوامها الكلمة[3]، والمواجهة الإيجابية تعترف بوجود الظاهرة الاستشراقية، كما تعترف بتأثيرها على المتلقين من المسلمين على كل المستويات[4]، لذا فإن هذا الفريق لا يقر المستشرقين إقررا تاما فيقبل كل ما يجيئون به قبولا غير مشروط كأصحاب الموقف الأول، ولا هو يرفض جميع ما جاء به المستشرقون رفضا تاما دون عناء النظر في هذه الإسهامات مثل معظم أصحاب الموقف الثاني[5]، وأخيرا فليس الاستشراق كله سيئا، وليس كله حسنا وعلينا دراسة التيارات المختلفة وتشجيع المحايد و المتعاطف و المخلص ولا نقف أمامهم باستفزاز أو عصبية، و إنما احتواء هؤلاء بالطيب من كل شيء، لأن رد الفعل سوف يكون أكثر إستفزازا[6]، و لأن الواقع الذي لا يمكن إنكاره أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجابا وسلبا، فلا نكتفي برفضه وكأننا قد حللنا المشكلة، ولو فعلنا ذلك لكنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال، ولذا فليس هناك بديل إلا المواجهة[7] .

---

[1]– توفيق يوسف الواعي، مرجع سابق، ص136 .

[2]– عادل الألوسي، مرجع سابق، ص19 .

[3]– عبد الرحيم السايح، مرجع سابق، ص73 .

[4]– علي بن إبراهيم النملة، مرجع سابق، ص30 .

[5]– نفســـــه، ص29 .

[6]– – سعد بوفلاقة، مرجع سابق، ص134.

[7]– محمود حمدي زقزوق، الإسلام والاستشراق ...، مرجع سابق، ص82 .

ويتعجب الإنسان لماذا يصر البعض من الباحثين العرب و المسلمين أن يعلنوا وفاة الاستشراق أو انقراضه مع أن الأمر يحتاج إلى دراسة و تمحيص قبل إصدار مثل هذه الأحكام، و لعل فيما سقناه في هذا الفصل لدليل على هذا الذي نقوله، و عليه فمن واجب علمائنا و مفكرينا و مثقفينا أن يبينوا صحيح كلام المستشرقين من زيفه، كل في تخصصه وحسب استطاعته و قدرته، حتى ينشأ جيل صالح يتربى على المنهج العلمي الصحيح ولا نقابل الإساءة بمثلها, والذي يطلع على كتب المستشرقين وما سطروه في كتبهم من المواقف المجانبة للصواب يرى لزاما علينا أن نعيد النظر في كل ما سطره هؤلاء المستشرقون , خاصة لأن كتبهم أصبحت في متناول أيدي الشباب الإسلامي في بلادنا ولأنها مست كافة المجالات, والذي سنراه في الفصل الموالي له خير دليل على ما نقول .

الفصــــل الثالـــث :

أهم المستشرقين الذين تكلموا عن الإسناد وخلاصة مؤلفاتهم .

لقد أخذ الحديث النبوي حيزا لا بأس به في دراسات المستشرقين من جوانب مختلفة، كانت أهمها التأليف في نقله و تدوينه و نسبته إلى الرسول صلى الله عليه و سلم من عدمها، و كان هذا هو الباب الواسع الذي دخل منه المستشرقون، و حاولوا إقناع الرأي العام و خاصة المسلمين أن الحديث النبوي و نظام نقده و ما يتعلق بسنده لا جدوى منه، و هو إضافة من الجيل الأول الذي لحق بالنبي صلى الله عليه و سلم، و من هنا نشأ تطور الحديث، و إنكاره كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي، و كان حامل راية هذا التيار ثلة من المستشرقين البارزين، و ها نحن نتناول ترجمة لأهم المستشرقين الذين تكلموا عن نظام الحديث النبوي و كيفية نقله و تدوينه ونظام سنده، و نتعرض لأهم مؤلفاتهم .

المبحث الأول : أهم المستشرقين الذين تكلموا على الإسناد .

غولد زيهر IGNAZ GOLDZIHER (1850-1921م) :

ولد" زيهر" في عام (1850م) بمدينة "أشتو لفيسنبرج" في بلاد المجر، و أسرته أسرة يهودية ذات مكانة و قدر كبيرفي قومه[1]، أما دراسته فقد قضى السنين الأولى منها في بودبست في مدينة "ألام" (شتو هلفا يسنجر) و تلقى إلى جانبها ثقافة تلمودية، و كان زيهر الشاب أول تلميذ "لهرمان نامترجر"، و تلقى ثقافته الفارسية و التركية على يديه دون أن يحثه أحد على ذلك علما بأن اهتماماته كانت منصبة على الموضوعات اليهودية بشكل رئيسي[2]، تلقى زيهر منحة دراسية في برلين عام 1868م و درس اللّغات السامية على يد كل من" روديجرو ديتريشي[3]"، و بإشراف "هيمان شتاينتهال"(1832-1894م) الذي كان يمثل العلوم اللغوية عامة، تعلم مناهج نفسية الشعوب أو ما يسمى بعلم الباليونتولوجيا[4]، ثم انتدبته الحكومة للقيام برحلة إلى

1- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقن، ط3، دار الكتب للملايين، 1993م، ص197-198 .

2- يوهان فوك، مرجع السابق، ص237 .

3- ديتريش فريدريك: مستشرق ألماني ولد في برلين, عين أستاذا للعربية في جامعة برلين ومن آثاره المنشورة : "خلاصة الوفا باختصار رسائل إخوان الصفا" , ونشر بمقدمة لطه حسين, و كتاب" شرح ابن عقيل على ألفية مالك" (نجيب العقيقي,ج2,ص 374) .

4- يوهان فوك، مرجع السابق، ص237 .

سوريا عام 1873م فصحب فيها الشيخ "طاهر الجزائري" ـ المحدث المشهور صاحب "كتاب توجيه النظر في علم الأثر" ـ مدة ثم تركها إلى فلسطين و مصر (1873-1874م)، حيث تضلع من العربية على شيوخ الأزهر و لا سيما الشيخ محمد عبده، متزيبا بزيهم تضلعه في اللغات السامية، و اشتهر بتحقيقه في تاريخ الإسلام و علوم المسلمين و فرقهم و حركاتهم الفكرية تحقيقا فريدا في بابه، فعُد من أعلام المستشرقين و اعترف له عظماؤهم بطول الباع و صدق النظر و البعد عن الهوى[1]، تلقى على "فلاتشير"[2] القواعد المدرسية الراسخة[3]، وعين أستاذ كرسي في الجامعة سنة 1905م، و برغم عدم الارتياح الذي كانت تسببه العلاقات الخارجية، فقد ألف في السنوات الثلاث عشرة (13) كبريات أعماله ابتداءً من الظاهريين وانتهاءً بمحاضرات حول الإسلام .

منهجه في العمــل :

يقول سعد الساموك :" كان حاقدا على الإسلام و نبيه صلى الله عليه و سلم و على القرآن"[4]، كما نجد من الكتاب من غالى في مدح منهجه و نتائج بحثه يقول عبد الرحمن بدوي:" و من وراء مكتبه في مدينة بودبست ظل زيهر أكثر من ربع قرن شمسا ساطعة إستمرت ترسل في عالم البحوث الإسلامية ضوءً يبدد قليلا ما يحيط بنواحي الحياة الدينية من ظلام، و ينير السبل أمام الباحثين في الوثائق التي سجلت فيها تلك الحياة، و ينمو على حرارته جيل ضخم ممن كانوا بالأمس القريب أئمة المستشرقين، فقد كان لديه نوع من التجربة الروحية الباطنة، استطاع عن طريقها أن ينفد في النصوص و الوثائق التي يكشف من ورائها الحياة التي تعبر عنها هذه النصوص، و تبين التيارات والدوافع الحقيقية التي استترت خلف قناع الكلمات" ، ثم يضيف الكلام على منهجه الغريب قائلا " و هو ذا أمام الحديث فليس ذلك كي يتبين أنه

1- نجيب العقيقي، مرجع سابق، ص41 .

2-فلاشير: مستشرق ألماني (1801-1888م) ولد في" شاندوا", عرف بعلو كعبه في العلوم والمعارف, من آثاره المنشورة " تاريخ العرب قبل الإسلام "و"زوال الترح بمنظومة ابن فرح" لابن عبد الهادي, نشر منها مصطلح الحديث بلغة ألمانية (نجيب العقيقي ج2, ص363) .

3- يوهان فوك، مرجع سابق، ص237 .

4- سعدون محمود الساموك، مرجع سابق، ص91.

موضوع أو غير موضوع، و إنما لكي يدرك الميول المختلة و الأهواء المستوردة التي يعبر عنها أصحابها فيما يصنفون أو يروون من حديث ... و كان ينظر إلى هذا المذهب أو ذلك في الفقه و التفسير و رواية الحديث و العقائد على أنه كائن حي سواء بسواء يولد و ينمو و ينضج ثم يبدأ في الإنحلال و يستمر في الذبول حتى يفنى و يزول، من أجل هذا كله كان يعتمد على بصيرته و عمق وجدانه الذي ميزه بميزتين أنه كان ينهج في أبحاثه منهجا استدلاليا لا منهجا استقرائيا، و لكن غولد زيهر و الحق يقال كان شديد الإحتياط في استخدام هذا المنهج، و كان في كل خطوة يخطوها يتكئ على النصوص و يعتمد عليها كل الإعتماد و يسوق الشواهد العديدة تأييدا لأقواله و تأكيداته " و يتكلم بدوي عن رأيه فيقول عن هذه النصوص و الحجج و الشواهد و الأقوال و التأكيدات:" أراها تسير وراء تأكيداته خفيفة نشيطة إلى حد كبير, و لو أنا نراها في بعض الأحيان تسير بخطى متثاقلة, و نجدها مرهقة تنوء بحمل ما يريد أن يحملها من معان, إلا أن هذه الأحيان ليست كثيرة على كل حال، و كان يعتمد على الوجدان و البصيرة، و كان بارعا في كل ما يتصل بالمقارنات براعة عظيمة، و كان مرهف الإحساس بما بين المذهب الواحد و المذهب الآخر، و أكثر إرهافا و لطفا في الحس بها بين هذا الدين و الدين الآخر من متشابهات و صلات و بما عسى أن يكون للواحد من تأثير في الآخر لذا نرى فضله الأكبر في هذه المقارنات التي عقدها و الصلات التي كشف عنها و الفروق الدقيقة التي استطاع أن يتميز بها "[1] .ولا شك أن هذا إطراء ليس في محله, وهذا ما سيتبين من مواقف هذا المستشرق اتجاه الإسلام عامة والحديث النبوي خاصة في جميع طروحاته.

<u>مؤلفاتــــه</u> :

لقد نضج هذا الفتى الذي أحدث ضجة فيما بعد في عالم المناهج و الذي اعتبره الكثير من أقرانه بل حتى شيوخه الذين أعجبوا به أحد العلماء البارزين، و لقد دخل حلبة الصراع و قد نضج و كان ذا موهبة و سنه لا يتجاوز الإثني عشر ربيعا[2] ليدلي برأيه في الجوانب العلمية، و لقد بلغت مؤلفاته زهاء 592 مؤلفا .

1- عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص197-202 ، بتصرف .

2- يوهان فوك، مرجع سابق، ص236 .

فقد ألف في هذا السن (أي 14 سنة) بحثا في الصلاة تقسيمها و أوقاتها[1]، و في سنة 1870م ظفر على الدكتوراه على يد فليشر أحد المستشرقين النابهين[2]، و كان عنوانها (تنخوم أورشليمي)[3] نسبة للقدس[4]، و من أول أبحاثه القيمة الخطيرة " الظاهرية مذهبهم و تاريخهم" الذي ألفه سنة 1884م، و هو الذي أكسبه شهرة بصفته باحثا في العلوم الإسلامية، و ناقش منه تاريخ هذه المدرسة حتى زوالها، و هذا الكتاب خطط له لأن يكون فاتحة لسلسلة من الدراسات التي تتناول تاريخ تطور الديانة المحمدية، يعين على فهم الفكر الإسلامي، و استؤنفت هذه السلسلة في عمله النوعي "دراسات محمدية" في مجلد ثان عام 1889-1890م، و من جملة هذه المناقشات كان بحثه حول تطور الحديث[5]، و كان كتابه" دراسات إسلامية" في جزئه الأول سنة 1889م أهم منه و أخطر من الجزء الثاني، ففي الجزء الأول تجد أعظم بحث كتب في الحديث و الجزء الثاني يخص تاريخ تقديس الأولياء في الإسلام و طبيعة هذا التقديس، ثم نشر كتابـــه "المعمرين لأبي حاتم السجستاني" سنة 1899م، و كتب مقدمة "التوحيد لمحمد بن تومرت" سنة 1903م و نشره "لوسياني"[6] في الجزائر و أعظم كتاباته و أكثرها نضوجا "محاضرات في الإسلام" سنة 1910م .

ثم بعده ترجمة لكتاب "رد الغزالي على الباطنية" سنة 1916م, و يأتي كتابه القديم "مذاهب التفسير الإسلامي" سنة 1920م الذي تعرض فيه لتاريخ تفسير القرآن الكريم من بداياته الأولى و حتى العصر الحديث، بحيث أن كثيرا من التأملات و الإنطباعات التي عبر عنها غولد زيهر

1- عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص202 .

2- نفســـــه، ص197 .

3- سعدون محمود الساموك، مرجع سابق، ص91 .

4- يوهان فوك، مرجع سابق، ص237 .

5- عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص202، و انظر:
- سعدون محمود الساموك، مرجع سابق، ص91 .
- يوهان فوك، مرجع سابق، ص239 .

6- لوسياني(1851-1932م): مستشرق فرنسي من علماء القانون ,عمل مدة في شمال أفريقيا, من آثاره المنشورة :كتـــاب الوصية والبيوع من صحيح البخاري , وكتاب البيوع من الموطأ , (نجيب العقيقي, ج1, ص210).

في أعماله انصهرت في بوتقة واحدة، و بعد عام من صدور هذا الكتاب الذي وصفه "غولد زيهر" بأنه فلذة كبده[1] .

وفاتـــه :هلك غولد زيهر بسبب إصابته بالتهاب رئوي سنة 1921م .

جوزيف شاخت (1902-1969م) :

مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي، ولد سنة 15 مارس 1902م في "أرايتبور" "سيليزيا الألمانية"، و درس الفيلولوجيا الكلاسيكية و اللاّهوت و اللّغات الشرقية في جامعة "برسلاو" و"ليبتسك" و حصل من جامعة" برسلاو" على الدكتوراه الأولى في عام 1923م[2] .

المناصب التي تقلدها : عين أستاذا بجامعة فرايبورج سنة 1925م و في جامعة كونسبرج عام 1932م و في الجامعة المصرية من عام 1934 إلى 1939م يدرّس اللغة العربية و السريانية، و محاضرا للدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد عام 1948م، و أستاذا للأحداث العلمية في جامعة الجزائر عام 1952م، و أستاذا في جامعة ليدن عام 1954م، و أستاذا زائرا في جامعة كولومبيا عامي 1957-1958م، و أثناء إقامته في إنجلترا تزوج سيدة إنجليزية، و في 1947م تجنس بالجنسية البريطانية و لم يعد إلى وطنه الأصلي ألمانيا إلا بعد انتهاء الحرب في 1945م، و عاد و حصل على الماجستير عام 1948م، و على الدكتوراه عام 1952م من جامعة أكسفورد، و ترك بريطانيا في سنة 1954م و استمر أستاذا في جامعة كولومبيا إلى وفاته أول أغسطس من عام 1969م .

و ينقسم إنتاجه إلى أبواب، فقد نشر عدة نصوص فقهية منها :

كتاب الخصاف، كتاب الحيل و المخارج عام 1923م و كتاب الشفعة للطحاوي و كتاب اختلاف الفقهاء للطبري عام 1933م، و الميدان الحقيقي الذي برز فيه شاخت هو تاريخ الفقه الإسلامي، و أهم ما له في هذا الميدان كتابه الرئيسي بداية الفقه الإسلامي " THE ORIGIN

---

[1]- يوهان فوك، مرجع سابق، ص241، و انظر:
– عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص202 .

[2]– نجيب العقيقي، مرجع سابق، ج2، ص469– 471 . و انظر:
– عبد الحميد صالح حمدان، مرجع سابق، ص151–154 .

MUHAMMADAN JURISPRUDANCE"، عام 1950م و يقع في 350 صفحة و أعيد طبعه، و قد دَرَس فيه خصوصا مذهب الشافعي استنادا إلى الرسالة للإمام الشافعي، و أما عن دراسته الرصينة التي كتبها فقد نشرها في المجموعات و المجلات العالمية و دائرة المعارف الإسلامية و غيرها، و من أشهرها مقالات إسلامية وافرة (دائرة المعارف الإسلامية) و الفقه الإسلامي، محمد الشافعي[1].

دوزي رنْهَرت (1820–1883م) :

مستشرق هولندي ... منحدر من أسرة أصلها من" فالنسين" في فرنسا و تصاهرت مع أسرة "اسخو لتنس"[2] ولد سنة 1820م في ليدن في أسرة فرنسية عرف أكثرها بحب الإستشراق، و منذ صباه الباكر أولع دوزي باللغات و تعلم مبادئ العربية في المنزل[3]، و دخل جامعة ليدن في 1838م فأبدى تفوقا ظاهرا على أقرانه في اللغات و الآداب الحديثة [4]، و كان دوزي إلى جانب تضلعه باللغات السامية يكتب باللاتينية و الفرنسية و الإنجليزية و الإسبانية و الألمانية و الهولندية و يوقع بالعربية، و قد لقي شهرة واسعة عادت عليه بأوسمة و ألقاب و عضوية مجامع علمية وافرة و عده أعلام المستشرقين أول فاتح للدراسات الأندلسية[5] .

أهم مؤلفاتــه : اشتهر دوزي خصوصا بأبحاثه في تاريخ العرب في إسبانيا[6]، و اتفق أن اقترحت جامعة ليدن رسالة في ملابس العرب فتطوع لها و هو طالب لم يتجاوز الثانية و العشرين من عمره و أحرز الجائزة و دفعه فوزه إلى الكتابة في المجلة الأسيوية .
و ظهر له معجم سنة 1845م تحت عنوان " معجم مفصل بأسماء الملابس عند العرب " و قد كتبه باللغة الفرنسية التي هي لغته الأولى فيما كتب من أبحاث و كتب.

---

[1]- عبد الحميد صالح حمدان، مرجع سابق، ص152–154 .

[2]- عبد الحميد صالح حمدان، مرجع سابق، ص45 . و انظر :
- نجيب العقيقي، مرجع سابق، ج2، ص308–310 .

[3]- نجيب العقيقي، مرجع سابق، ج2، ص308 .

[4]- عبد الحميد صالح حمدان، مرجع سابق، ص43 .

[5]- نجيب العقيقي، مرجع سابق، ج2، ص309 .

[6]- عبد الحميد صالح حمدان، مرجع سابق، ص43 .

و في الوقت نفسه أشار عليه أستاذه "فايزر" بموضوع كتابه "أخبار بني عباد عند الكتاب العرب" و كان مجهولا من قبل، و قد استعان فيه" بالذخيرة" "لابن بسام" الذي عثر عليه في" ألمانيا" و نسخ الجزء الثاني منه في" إنجلترا" في سنة 1846م، و جعل من الست ملازم الأولى من كتاب أخبار بني عباد موضوعا لدراسة الدكتوراه في الآداب، فحصل على الدكتوراه في أول مارس عام 1844م على رأي عبد الحميد حمدان، و لا يزال بحثه عن ملوك بني عباد أوسع بحث في مجلداته الثلاث عن ملوك إشبيلية[1]، و في سنة 1850م عين أستاذا بجامعة ليدن حتى سنة 1878م، و كتب عن بن رشد و الرشدية و عن رحلة بن بطوطة، و له كذلك تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، و كتاب المعجب في أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، و نقله للفرنسية فانيان في الجزائر سنة 1893م، كما نشر لأول مرة البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى المراكشي مع مقدمة و تعليقات، و معجم في جزأين ما بين فترتي 1848–1851م، كما كلف بعمل فهرس للمخطوطات العربية في مكتبة ليدن فقام بهذه المهمة و صدر الجزآن الأول و الثاني بعنوان فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة أكاديمية جامعة ليدن و ذلك عام 1851م، و صنف كتابا بعنوان تاريخ المسلمين في إسبانيا إلى الفتح المرابطي لها، في أربعة أجزاء من 1460 صفحة، تناول الأول الحروب الصليبية و الثاني النصارى و المرتدين و الثالث الخلفاء و الرابع ملوك الطوائف، و قد ألف هذا الكتاب طوال عشر سنوات و يمتد طبعا من بداية فتح الأندلس حتى مجيء المرابطين[2]، و يعد كتاب تاريخ المسلمين في إسبانيا من أكبر الأعمال التاريخية التي كتبها المستشرقون، و له تاريخ الإسلام من فجره حتى عام 1863م كتبه بالهولندية، و نشر الجزء الخاص بإفريقيا و الأندلس من" نزهة المشتاق" للإدريسي، و له "تاريخ العرب السياسي و الأدبي في الأندلس" من جملة تواريخ و لا سيما من "الحلة السيراء" لابن الآبار، و ذلك في كتابه تعليقات على بعض المخطوطات العربية .

و له ثبَت شارح للكلمات الهولندية المأخوذة من العربية و العبرية و الكلدانية و الفارسية و التركية عام 1868م، أما كتابه المشهور الثاني هو تكملة أو ملحق المعاجم العربية

[1]– عبد المجيد صالح حمدان، مرجع سابق، ص44 .

[2]- عبد الرحمان بدوي, موسوعة المستشرقين, مرجع سابق, ص262.

"SUPLEMENT AUX DICTIONAIRES ARABES" وهو معجم مفيد للغاية خصوصا في فهم النصوص التاريخية والجغرافية, أما مقالاته فعديدة[1] و كانت وفاته سنة 1883م .

المبحث الثاني: خلاصة شبه المستشرقين حول نظام الإسناد والرد عليها:

المطلب الأول : شبه المستشرقين حول السند .

بالرغم من اهتمام المسلمين الأوائل بإسناد الحديث كما رأينا من قبل[2]، و مع أن الذي نقلناه من أقوالهم في الإسناد غيض من فيض و قطرة من بحر، نرى المستشرقين و في مقدمتهم "غولد زيهر" و "شاخت" و" روبسون" و "كايتاني", يدّعون أن القسم الأعظم من الأسانيد اختلقه المحدثون في فترة متأخرة، يقول الدكتور توفيق يوسف الواعي:" أصيب المستشرقون بالحمى فصاروا يَهْذون و يضعون ضد الإسلام و رسالته و نبيه و كتابه لوثات عقلية فكرية مقززة، بجهل منهجي و علمي فاضح، و بحقد و تجن و كراهية غريبة يحملون وزرها في التاريخ و أمام البحث العلمي النزيه وأمام الضمير الإنساني الباحث عن الحقيقة في ركام المبادئ و الأهواء و الشطحات، ونحن في عرضنا لهذه اللوثات العقلية المسماة بالطعون، بقدر ما نكتشف من جهل و حمق و تضليل، نُظهر كذلك مقدار الأحقاد الكامنة ضد الحق و ضد المسلمين عند مدعي الحضارة و البحث العلمي و مخترعي المنهجيات الحديثة"[3]، ولقد دأب قوم في السنوات الأخيرة بتوجيه الإتهامات إلى مصادر السنة و رجالها، وقد كتب هذه الأمور مستشرقون لهم ولاء سياسي و ولاء ديني مخالف و معارض للإسلام و المسلمين، واعتمدوا في ذلك على خيوط جمعوها من فكر المعتزلة و غلاة الشيعة و حكايات الأدب التي كان مؤلفوها موضع شبهة في أمرهم و تخريجهم للحقائق، فكانت لأبرز مقالاتهم الإعتماد على كتب النوادر من المحاضرات و الحكايات التي لم تؤلف لتأريخ الرجال، ولم تضف للتحقيق العلمي و التي جمعت من المجالس و كانت مادة التفكه و التسلية، وهذه لا يمكن أن تؤخذ منها الشواهد و قد صدق من قال:" إن علم الحديث لا يؤخذ من كتب الفقه، وعلم التفسير لا يؤخذ من كتب اللغة, لأن لكل علم مصادره التي تؤخذ منها حقائقه و قضاياه، أما الإعتماد على حياة الحيوان

1- عبد الرحمان بدوي, موسوعة المستشرقين, مرجع سابق, ص263 .

2- أنظر الفصل الأول ص9-16 .

3-توفيق يوسف الواعي، مرجع سابق، ص138.

للدميري أو ثمار القلوب للثعالبي أو مقامات بديع الزمان للهمداني للفصل في قضايا السنة، فذلك هو التزييف الشديد "[1] .

و لذا يشير الباحثون في هذا المجال إلى أن الحملة على السنة كانت قديمة و أن الذين جددوها من دعاة التغريب و من المستشرقين، لم يزيدوا أن أعادوا ترديد الشبهات القديمة التي رددها المجوسية و الشعوبية و دعاة التأويل و الشبه المتاجرون بالشبهات و المفتريات منذ القديم[2].

لذا سنتعرض لأهم شبه المستشرقين البارزين في حقل الإستشراق و ننقل الرد عليهم بالحجة و البينة، ليكون في هذا ردا على من اتبعهم من أبناء المسلمين.

إن التشكيك بصحة الأحاديث المروية بتوجيه الطعون إلى روّاتها، ولو كانوا من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم، و التشكيك في القرآن أيضا بتوجيه المطاعن المفتراة إلى نَقَلَتِه و تدوينه و القراءات الثابتة فيه، إلى غير ذلك من الأمور التي لا تعد و لا تحصى، أساسها جميعا الرغبة في إبطال الحق بغضا و إتباعا للهوى[3]، و كان كثيرٌ من المستشرقين ممن خاضوا موضوعات القرآن الكريم و الفقه و السيرة قد وقعوا في أخطاء في تقديراتهم أو بالغوا في تصوراتهم إلى حد خرجوا فيه عن الحقيقة خروجا تاما لا يتوافق مع منهجهم العلمي الدقيق، و قد عاد ذلك بالضرر على سمعتهم الفكرية، حيث شككوا في القرآن الكريم و أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

و كان بعضهم أكثر سوءًا حيث تجاوز منهجه العلمي في دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم و وضع تلك السيرة العطرة و المشرفة موضعا لا يليق بها[4]، مع العلم أن الأحاديث النبوية لم يتجه إلى دراستها إلا عدد قليل من المستشرقين، و الذين كان لهم نتائج في هذا الميدان لا يتجاوز عددهم أصابع اليد، و مع ذلك لم تكن بحوثهم ناضجة ومناهج بحثهم لم تكن علمية و تمثل ذروة هذه الدراسة كتابات شاخت التي أصبحت من المصادر الأساسية لكُتَّاب الغرب، بل

---

[1]- أنور الجندي، معلمة الإسلام ...، مرجع سابق، ص4 ، ص9-10 .

[2]- نفســـــه، ص7 .

[3]- الميداني، أجنحة المكر الثلاث ...، مرجع سابق, ص123 .

[4]- عادل الألوسي، مرجع سابق، ص97-98 .

و لكثير من كتاب الشرق أيضا[1]، و لقد أنفق المستشرقون وقتا غير قليل في الدراسات الأدبية و التاريخية و غيرها من الموضوعات، لكنهم لم يتجهوا إلى دراسة الأحاديث النبوية إلى في وقت متأخر[2]، و لم تنشر بحوث في السنة بأقلام المستشرقين في غضون ثلاثة أرباع قرن ما عدا هاذين الكتابين إلا عدة مقالات و بعض كتب أخرى تعالج موضوع الحديث النبوي من بعيد، و هناك كتاب واحد "لألفرد غيوم"[3] المسمى بـــ" أحاديث الإسلام " و هو يعتمد اعتمادا كليا على "جولد زيهر" و ليس فيه جديد في الموضوع، حتى البروفسور "روبسون" أصبح هو الآخر مسحورا بكتابات "شاخت"[4] .

و نحن نجد أن كل الذين حملوا لواء الشبهات حول السنة النبوية قد اعتمدوا على مصدر أساسي، و هو كتاب غولد زيهر العقيدة و الشريعة في الإسلام، الذي ترجم و طبع بتوجيه "طه حسين" [5]، و كتاب البروفسور" شاخت" الذي انصبت نظرياته على أسس الفقه الإسلامي، و وضع كتاب " المدخل في الفقه الإسلامي"، و من أشهر مؤلفاته على الإطلاق " أصول الشريعة المحمدية " و الذي تمتع بتقدير و احترام الجميع في العالم الأكاديمي الغربي، و لقد أتى عليه البروفسور" جب" قائلا:" سيصبح أساسا في المستقبل لكل دراسة عن حضارة الإسلام و شريعته على الأقل في العالم الغربي "[6] .

يقول الدكتور مصطفى السباعي:" و لعل أشد المستشرقين خطرا و أوسعهم باعا و أكثرهم خبثا و إفسادا في هذا الميدان, هو المستشرق اليهودي غولد زيهر, فقد كان واسع الإطلاع على المراجع العربية[7]، حتى اعتبر بحق شيخ المستشرقين في الجيل الماضي, و لا تزال كتبه و

[1]– مصطفي الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي و تاريخ تدوينه، ط3، ج1، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، العمارية الرياض، 1981م، المقدمة ص ل .

[2]– مصطفي الأعظمي، دراسات في الحديث ...، مرجع سابق، ج1، المقدمة ص ي .

[3]- ألفرد غيوم(1888–1962م): مستشرق إنجليزي, تخرج من جامعة "أكسفورد" , وعمل في فرنسا ومصر إبان الحـــرب العالمية الأولى, ومن مؤلفاته : "مدخل إلى علم الحديث" مذيل بمعجم , و"أثر اليهودية في الإسلام" وله ترجمة لكتاب القـــدر من صحيح البخاري ,(نجيب العقيقي, مج2, ص117–118م)

[4]– مصطفي الأعظمي، دراسات في الحديث ...، مرجع سابق، ج1، المقدمة ص ي .

[5]– الجندي، معلمة الإسلام ...، مرجع سابق، ص5 .

[6]– يحيى مراد، مرجع سابق، ص 235–236 .

[7]– مصطفى السباعي، السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، دط ، دت، ص189 .

بحوثه مرجعا أساسيا و خصبا للمستشرقين في هذا العصر و قد كان له أثر كبير في التشكيك بالسنة النبوية[1] .

موقف غولد زيهر من السنة :

يضرب المستشرق غولد زيهر مثلا عن سند الحديث فيقول:" و المثل الحسن لذلك (أي لسند الحديث) هو المثل المعروف في الأدب العالمي للأعمى الذي كان يحمل كسيحا بسوق فاكهة الأشجار، و هو مثال للمسؤولية المشتركة بين الجسم و الروح، و هذا ما يظهر في الإسلام متمثلا في الحديث وسنده المتصل أبو بكر بن عياش عن سعيد البقال عن ابن عباس ...[2]، و يظهر من قوله أن الأسانيد الحديثية قد سيقت اعتباطا، إذ أن المُسنِد فيها بمثابة الأعمى الذي لا يعلم عمن أسند الحديث فيقوم الآخر بتلقيه دون أي علم بأدنى شروط التلقي و يضيف قائلا:" و كل هذه الأحاديث سواء ذلك فيما تعلق بالأحكام الفقهية أو الأمور الخلقية التهذيبية، يرجعها أصحابها إلى الرسول بواسطة سلسلة متصلة إلى الصحابي الذي سمع هذه الأقوال من الذي رآه يعمل بهذه العادات "[3] .

فهو يرى أنه كلما أعجب الناس شيئا جعلوه حديثا للنبي صلى الله عليه و سلم، لأن سلسلة الإسناد أصبحت سندا لكل من يريد أن يخترع ما شاء من الأحاديث التي توائم هواه، يتهم أصحاب المذاهب أنهم هم الذين وضعوا المذاهب رغم اختلافها فيقول:" و قد يبقى إلى يومنا هذا الإعتقاد السائد بأن الأعمال المخالفة للمذاهب الفقهية يجب الإعتراف بها بأنها كلها مستحقة للتصديق على التساوي، ما دامت ترجع إلى تعاليم الأئمة و أعمالهم "[4]، بل وصلت به الجرأة أن ادعى أن السنة كالقانون المقدس الذي اتخذه المسلمون وراء القرآن كما هي الحال عند اليهود[5].

1– عمر سليمان الأشقر، أضواء على الذين رفضوا الإحتجاج بالسنة النبوية كلها أو بعضها، مجلة الشريعة العدد 6، الكويت سبتمبر 1406هـ/ 1986م، ص26 .

2– غولد زيهر، العقيدة و الشريعة، ص43.

3– نفســـه، ص45 .

4– نفســـه، ص50 .

5– نفســـه، ص41 .

فهو هنا يساوي بين سند الحديث الصحيح و سند الحديث الضعيف ليتسنى له القول بأن السنة ليس لها أصل و يستنتج في الأخير أن حال المسلمين مع السنة لا يختلف عن حال اليهود مع التلمود.

لا شك أن عدم اتباع المنهج العلمي السليم المبني على صحة المقدمات و النتائج يؤدي بصاحبه إلى التناقض و الإنحراف كما حدث لغولد زيهر، حيث نجده لا يثبت الإسناد و يستدل به حين يريد و يرده حين يريد، فيقول:" و يمكننا أن نقرر بلا ريب بصفة عامة ميل النبي صلى الله عليه وسلم إلى النساء ميلا كان مضطردا في الزيادة، وذلك حقيقة تاريخية مدعمة بالأدلة و الأسانيد "[1]، كما أنه يتجرأ أحيانا على نقد الحديث بهواه فيقول:" فقد روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال[2]:"حبب إلي من دنياكم النساء و الطيب " مع حذف هذه الإضافـــة " و جعلت قرة عيني في الصلاة "[3]، كما أنه يوهم أحيانا أن ديدنه الإستدلال بالحديث فهو رائده حيثما يَمَّمْ و حيثما توجه فيقول:" و لتبرير هذا الترف أستعين كما جرت العادة بحديث مروي عن النبي صلى الله عليه و سلم: " إن الله إذا أنعم على عبد نعمة يحب أن يرى أثر نعمته على عبده [4]"[5]، كما أنه يضعف إذا شاء بهواه بلا بينة و لا برهان فيقول:" و هم يقصون من محيط فكرهم أن يعيش المرء بمستقبله أو يرعى شؤونه و حاجاته و يسوقون للتدليل على صحة دعواهم حديثا يتجلى فيه الوضع وهو" إن الحكمة لتنزل من السماء فلا تدخل قلبا فيه همٌّ الغد "[6].

1- غولد زيهر، العقيدة والشريعة، مرجع سابق، ص128 .

2- والحديث صحيح, انظر: صحيح الجامع الـصغير وزيادتـه, محمـد ناصـر الـدين الألبـاني, ط3, ج1, المكتـب الإسلامي1988بيروت, ص599 .

3- غولد زيهر، مرجع سابق، ص128 .

4- الطبراني, المعجـم الكبيـر, تحقيق عبد المجيد السلفي,ط2, ج18, مكتبة العلوم والحكم, 1983, الموصل , العـراق, ص135 .

5- غولد زيهر, مرجع سابق، ص129 .

6- نفســـه، ص134 .

زيهر و شبهة السنـــد :

يروّج زيهر في بحوثه أن الوضع في الحديث كان تحت غطاء السند فيقول:" فإنه لا توجد مسألة خلافية سياسية أو اعتقادية إلا و لها اعتماد على جملة من الأحاديث ذات الإسناد القوي، فالوضع في الحديث و نشر بعضه و أو اضطهاد بعضه بدأ في وقت مبكر "، هذا من تناقضاته العجيبة، فكيف يدعي فيما سبق أن نظام الإسناد لا أساس له من الصحة و أن حجيته لا تثبت في مراحل سنده الأولى، و مع هذا نجده يقول بأن صحة الحديث شكلي فقط، كما ينقل عنه السباعي ذلك فيقول:" و قد شعر المسلمون في القرن الثاني بأن الاعتراف بصحة الأحاديث النبوية يجب أن يرجع إلى الشكلي فقط، وأنه يوجد بين الأحاديث الجيدة الإسناد كثير من الأحاديث الموضوعة ..." و هذا افتراء منه عليهم، و هم لم يقولوا بذلك قطعا، و كيف يعترفون بأن هناك كثير من الأحاديث الموضوعة هي جيدة الإسناد[1]، و الذي نجزم به أن هذا المستشرق رغم وصفه بشيخ المستشرقين وإطلاعه الكبير على مؤلفات المسلمين لم يصل إلى شيء من حقيقة المنهج الذي اتبعه المحدثون في تصحيح الروايات و تضعيفها، و كلام كهذا يدل على شيئين إما أنه يعلم الحقائق و يقلبها عمدا للوصول إلى نتائجه المزيفة، و إما أنه لا يعلم شيئا من قوانين الرواية و قبولها و ردها عند علماء الحديث، و كلا الأمرين يوصل إلى نتائج خاطئة و بعيدة كل البعد عن الحق.

و من الغريب بعد كل هذا أن نجد غولد زيهر يعترف بقيمة السند و رواية الحديث فيقول:" و لم يستطع المسلمون أنفسهم إخفاء هذا الخطر من أجل هذا وضع العلماء علما خاصا له قيمته, وهو علم نقد الحديث لكي يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة[2]، مع أنه يقول فيما مضى أن هناك أحاديث كثيرة موضوعة جيدة الإسناد, فلا يعرف من أين أخذ هذا المنهج من عند علماء الحديث في أساليب نقدهم وتقويمهم للأحاديث المختلفة .

[1]- مصطفى السباعي، السنة و مكانتها ...، مرجع سابق، ص232-234 .

[2]- نفســـــه، ص41 .

طعن غولد زيهر في رواة الحديث :

من كمال الخطة الواسعة التي استعملها المستشرقون في التشكيك في الحديث النبوي الذي يعتبر الدستور الثاني بعد القرآن الكريم، توجيه الطعن إلى رواة السند في طوره الأول و المتمثل في الصحابة الكرام، فكان الراوي الذي طالته يد المستشرق غولد زيهر الصحابي الجليل "أبو هريرة" رضي الله عنه، فقد شككوا فيه لكثرة روايته و اتهموا حفظه لكونه أكثر الصحابة رواية للحديث، حيث بلغت مروياته: خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا, المتفق في البخاري ومسلم منها : ثلاثمائة وستة وعشرون, وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين حديثا, وانفرد مسلم بثمانية وتسعين حديثا[1] , و في ذلك يقول زيهر :" قد شجعته ملازمته للنبي أن يروي عنه بعد وفاته من الأحاديث أكثر مما رواه عنه غيره من الصحابة "، و طَعْن المستشرقين فيه يستهدفون به النيل من الإسلام و تقويض أركانه، و قد علموا كثرة مروياته فخرجوا و أثاروا الشبه من حوله كي يرفعوا الثقة عن جميع ما روي، من هنا يفقد الإسلام حصيلة عظيمة من حديث النبي صلى الله عليه و سلم[2]، كما طعن المستشرقون في الإمام الزهري، فقد إتهمه المستشرق زيهر بالوضع، فحاول أن يلصق به تهما و أباطيل إن صحت أذهبت الثقة بهذا الإمام الجليل و مروياته، و بهذا تذهب الثقة بكتب السنة كلها[3] .

موقف شاخت من السنة :

لقد وصل شاخت في نتيجة بحوثه أنه لا يوجد حديث صحيح خاصة الأحاديث الفقهية, وصار هذا الكتاب منذ ذلك الحين إنجيلا ثالثا في عالم الاستشراق, وفاق "شاخت" سلفه" غولد زيهر", في نظرته التشكيكية في صحة الأحاديث إلى نظرة متيقنة في عدم صحتها, فذهب هو و

1- شمس الدين الذهبي, سير أعلام النبلاء, تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط, دط, مؤسسة الرسالة, دت, ج2, ص632 .

2- محمد حامد الناصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد و ميادين التغريب، ط1، مكتبة الكوثر، الرياض1417هـ/1996م، ص-115.

3- مصطفى السباعي، السنة و مكانتها ...، مرجع سابق، ص225 . و انظر :

- محمد حامد الناصر، مرجع سابق، ص116 .

"ليون كايتاني"[1] إلى أن القسم الأعظم من الأسانيد اختلقه المحدثون في فترة متأخرة, وأن الأسانيد المتصلة متأخرة وضعها أصحاب المذاهب رغبة في إرجاع آثارهم إلى الصحابة[2], وكافة الباحثين في الغرب أثنوا على كتاب شاخت ثناءً عطرا، و أولوه من الإهتمام أكثر مما يستحق، لكن ما أولوه من مدح لم يكن صادرا عن نظرة فاحصة مدققة للمنهج الذي سار عليه "شاخت" ولم يقارنوا النتائج التي توصل إليها بالنصوص التي اعتمد عليها لمعرفة ما مدى المطابقة بينهما ليعرف بذلك ما تتمتع به تلك النتائج من صحة أو بطلان[3] .

ينقل الدكتور" يحي مراد" خلاصة ما توصل إليه" شاخت" في دراسة نقلها عن "مصطفى الأعظمي" تحت عنوان(المستشرق شاخت و السنة النبوية) قائلا :" إن أكثر جزء من الأسانيد اعتباطي ....، و معلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي و وصلت إلى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ....، و كانت الأسانيد كثيرا ما لا تجد أقل اعتناء و أي حزب يريد نسبة أرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات و يضعها في الإسناد "[4]، و يضيف قائلا:" لهذا الغرض اخترع المحدثون بيانات مفصلة أو أحاديث و ادعوا أنها من مرئيات أو مسموعات أقوال النبي صلى الله عليه و سلم و أفعاله و تقريرا ته، و أنها وصلت إلينا شفهيا بأسانيد غير منقطعة و عن طريق رواة موثوقين، ومن الصعوبة بمكان أن نعتبر أي حديث منها خاصة فيما يتعلق بالأحاديث الفقهية صحيحا موثوقا به[5]، و يسوق لنا يحي مراد عن الأعظمي أمثلة ذكرها شاخت للتدليل على صحة دعواه، فيقول في الرواية الأولى : أخبرنا الشافعي قال:" أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سئل عن الضب فقال :" لست بآكله ولست بمحرمه".

أما في الرواية الثانية فيقول: أخبرنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمرعن النبي صلى الله عليه و سلم مثله .

1– الأمير ليون كايتاني(19869–1926م): مستشرق إيطالي ولد في روما وتخرج من جامعتها, رحل إلى الهند وإيــران ومصر و لبنان, وعد الأمير أكبر مستشرق في التاريخ, من أثاره: انتشار الإسلام, تطور الحضارة, تاريخ الإســلام مــن القرن الأول إلى 922هـ،(نجيب العقيقي، ج1, ص429) .

2–علي نايف بقاعي, مرجع سابق, ص66 .

3 – مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث ...، مرجع سابق، المقدمة ص" ك".

4 – يحي مراد، مرجع سابق، ص247–248 .

5 – نفســــه، ص 247.

و الرواية الثالثة : عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أن رجلا نادى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : يا رسول الله ما ترى في الضب ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" لست بآكله و لست محرمه".

و الإعتراض عن هذا الحديث هو أن مالك رواه مرة عن عبد الله بن دينار عن عمر و مرة أخرى قال: عن نافع عن ابن عمر، وهذا هو قوله سابقا أن المحدثين كان يلتقطون الأسماء حسب ما يحلوا لهم و الأمر ليس كذلك لأن الحديث رواه عبد الله بن دينار عن نافع عن ابن عمر و كذلك روته جويرية عن أسماء، و الشيء الذي يرد هذا الإدعاء هو رواية ابن عيينة لأنه اختار الاسم نفسه، و الحل الوحيد هو أن مالك سمعه عن نافع و عبد الله بن دينار فرواه عن هذا مرة و عن الآخر مرة أخرى[1]،وهذا ليس غريبا في عمل المحدثين ولا يخفى إلا على غِرٍّ في علم الحديث النبوي .

لقد أمضى شاخت وقتا غير قليل بل ربما أكثر من عشرة أعوام– كما قيل– في البحث و التنقيب في مصادر الأحاديث الفقهية و نشر نتيجة بحوثه في كتابه الشهير (أصول الديانة المحمدية(THE ORIGINS OF MUHAMMADAN JURISPRUDANCE) حتى يخرج بهذه النتائج، و هذا الكلام فيه تحامل شديد وهو لا يستحق الرد عليه و لا النظر فيه، ورغم ذلك فقد انبرى الأستاذين الفاضلين أكرم ضياء العمري و مصطفى الأعظمي للرد على هذه الشبه، و قد خلص الأعظمي إلى أن استعمال الإسناد بدأ وقت النبي صلى الله عليه و سلم، و عندما وقعت الفتنة أصبح استعمال الإسناد أكثر أهمية من ذي قبل [2] .

و نجد أن لدى شاخت عدة أخطاء منهجية أهمها أنه انتخب مادة علمية من كتب الفقه و الحديث لا تصلح لدراسة الأسانيد كمن يريد أن يعرف عقائد فرقة ما فعليه أن يرجع إلى الكتب

---

[1]– محمد ابن إدريس الشافعي, الأم, تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب, ط1, ج3, دار الطباعة للنشر والتوزيع, المنصورة, 2001, ص646–647.

[2] – مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث ...، مرجع سابق، ص62.

المتخصصة لذلك الغرض، أما إذا رجع إلى كتب الأدب و القصص و الرّوايات فلن يحصل على بغيته بل يخرج بأفكار مشوشة [1] .

في حين هذه الفرضية – اختلاق الأسانيد– مقبولة لو كان الخلاف في القضايا الفقهيه كبيرا يستدعي مثل هذا الاختلاق و تركيب الأسانيد، و الواقع خلاف ذلك لأن المسائل المجمع عليها أكثر من المسائل المختلف فيها[2]، بل إن للسند قيمته التي لا تنكر في ميزان النقد و هي الخصوصية التي اختص الله بها النقد الإسلامي على مناهج النقد في الدنيا... فإن هذا السند لا ينقل كلاما عاديا عن شخص عادي بل ينقل عن صاحب الوحي الذي يبلغ عن الله تعالى ... و إننا نعتز بعناية علمائنا بنقد الأسانيد، بل بتقديم نقد الأسانيد عن المتون في كثير من المواضع[3]، و من أجل أهمية السند في تلقي السنة الصحيحة رحل المحدثون المسافات البعيدة على بعد المشقة طلبا للأحاديث و بحثا عن الأسانيد بل عن إسناد الحديث الواحد، و أثر الرحلة في كون الرواة ينتمون إلى أكثر من موطن، جمعت الرحلة في طلب الحديث شتاتهم و قربت بينهم حتى تسلسلوا في قرن واحد و في سند الحديث الواحد[4]، كما يزعم "شاخت" أن الأسانيد كانت تلصق اعتباطا، ثم يقول :" ومن الأمثلة على ذلك حديث المسح على الخفين هو الحديث الذي يعرفه "مالك"، وهو بإسناد ذي أخطاء حتى أن الزرقاني يتهم مالك بارتكاب خطئين، و يتهم يحي بن يحي بخطأ آخر لكن هذا هو الشكل الصحيح للإسناد، أما التطور الذي حصل و غيّر الجزء العلوي للإسناد حتى أنه لا يمكن التعرف عليه فقد حدث مؤخرا " و من المستغرب أن شاخت بتر كلام الزرقاني لأن الشافعي بيّن وهم مالك في هذا الحديث كما وضحه الزرقاني نفسه، إضافة إلى أن الباحثين عندما قارنوا رواية مالك مع رواية زملائه السبعة الآخرين

---

1 – يحي مراد، مرجع سابق، ص 268.

2 – حاكم عبيسان المطيري، تاريخ تدوين السنة و شبهات المستشرقين، ط1، مجلس النشر العلمي لجنة التأليف و التعريب و النشر، الشويخ– الكويت، 2002م، ص 173.

3 – نور الدين عتر، السنة المطهرة و التحديات، مجلة بحوث السنة و السيرة، العدد الثالث 1408هـ–1988م، ص 164–165.

4– محمد لقمان السلفي، الإسناد و أهميته في نقد الحديث النبوي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد3، 1405هـ/1985م، ص226 . و انظر :

– الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، حققه و علق عليه نور الدين عتر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1395هـ/1975م، ص109، 119، 128، 132، 148 .

وجدوا أن مالكا خالفهم في الرواية[1]، فكان من السهولة كشف خطأ مالك و هذا يثبت لنا أنه من المتعذر وجود أسانيد خيالية[2], وأما القول بأن تأخر الإسناد يدل على اختلاق الأسانيد في القرن الثاني وتركيبها لنصوص مختلفة و نسبتها إلى شخصيات عظيمة و مراجع عليا لقبولها فالجوب عنها من وجوه:

– أولا : إذا ثبت بالأدلة التاريخية أن الحديث كتب و دون بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز في القرن الأول فهذا القدر من الأحاديث لا يحتاج إلى إسناد أصلا، لأنها صحف أصبحت محفوظة بالكتابة و التدوين، و الصحف المعروفة كصحيفة همام أو سليمان اليشكري أو نافع مولى ابن عمر لا تحتاج إلى إسناد أصلا، وأصبحت جزءً من المؤلفات في القرن الثاني، وعند رواية العلماء لها ليس قصدهم من ذلك إثبات صحتها من ضعفها و إنما لإثبات سماعها من شيوخهم، والأسانيد هنا كالشهادات العلمية بأن هذا التلميذ درس هذا الكتاب على يد هذا الأستاذ لا غير.

– ثانيا: الرواية الشفوية لا تعني عدم وجود الكتابة لأن المحدثين يستعملون لفظة "حدثنا" عندما يقرأ الشيخ عليهم و لفظة "أخبرنا" عندما يقرؤون على الشيخ[3] و كلا الكلمتين تدل على اتصال السند و هذا أهم من قضية الكتابة عندهم, ولأن التعبير بهذه الألفاظ حادث .

– ثالثا: و على فرض عدم وجود إسناد إلا في القرن الثاني و لم يكتب أحد شيئا فهذا لا يمنع من وجود أحاديث صحيحة خاصة إذا وافق عليها آخرون مما يزيدها صحة و يقينا، و العلماء اشترطوا السند من أجل الاحتياط في حفظ السنة و تشددوا في شروطهم التي يشترطونها في قبول الحديث لعدالة الراوي و ضبطه و إتقانه و حفظه وسماعه ومن تقبل روايته ومن ترفض وما يتعلق به[4].

---

[1]– موسوعة شروح الموطأ, تحقيق عبد الله بن عبد الحسن التركي ط1, ج3, 2005, القاهرة, ص130 .

[2]– يحي مراد, مرجع سابق, ص 270 بتصرف .

[3]– جلال الدين السيوطي, تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي , دط, دت, مكتبة الإيمان, المنصورة, ج2, ص10 .وانظر :

- أحمد بن علي العسقلاني, نزهة النظر في شرح منظومة الأثر , دط, تعليق محمد الأدلهي, شركة الشهاب, دت, الجزائر, ص77 .

[4] – أنظر في هذا الباب:– جلال الدين السيوطي وكتابه تدريب الراوي , ص241–278 , فإنه مهم في بابه وانظر :

– حاكم عبيسان المطيري، مرجع سابق، ص154–156.

و بهذا أصبح الإسناد للحديث مثل الأساس للبناء كما لا يمكن تصور البناء دون أساس، و بفضل ما وصل إلينا من جهود المحدثين بصدد الإسناد و تهذيبه و تقعيد قواعده و تأصيل أصوله يمكنني أن أذكر بعض آثار السند في نقد الحديث و تنقيحه و تمييز الصحيح من المكذوب و الموصول من المنقطع و المرفوع من الموقوف و المرسل فأقول :

1- ترتيب أسماء الرواة حسب القوة والضعف مما يسهل الحكم على قبول الحديث أو رده حسب سلسلة الإسناد .

2 – لم يحتجوا بالحديث الذي فيه رجل مجهول أو مجروح.

3 – أخذوا الحديث عن أهل السنة و تركوا أهل البدعة.

4 – نقلوا الحديث عن أهل الثقة المشهور بالصدق و الأمانة حتى نهاية أخبارهم، عرفوا الأحفظ فلأحفظ و أكثر مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة ثم كتبوا الحديث من عشرين وجها و أجروا عملية المقارنة بين الروايات حتى وصلوا إلى نتيجة صحيحة و دقيقة .

5 – وضعوا أصول و قواعد لاستعمال السند استعمالا دقيقا للوصول إلى صحة الحديث و ضعفه و قسموا الإسناد إلى أقسام و وضعوا مراتب و درجات القبول و الرد كذلك، و نجد أيضا أوهى الأسانيد و سلاسل الذهب و سلاسل الكذب[1].

و الذى وجب أن يُتفطن له أن الذاكرة الوقادة لا الكتابة كانت الوعاء الأساس لحفظ المعرفة في القرن الأول فإن كتابة الأحاديث في صحف عرفت آنذاك و الصحف المذكورة آنفا لهي من أوثق الحفظ للإسناد[2].

وعلى فرض صحة هذا الادعاء الذي يرى أن الأسانيد تم اختراعها و تركيبها للمتون، فكيف نفسر وجود كثير من القضايا الفقهية التي تختلف فيها المذاهب، فلماذا لم يتم اختراع أسانيد لها كما تم اختراع أحاديث لغيرها، ولماذا يحتجون بالقياس وأقوال الصحابة أو بقاعدة المصالح، زيادة على تضعيف أحاديث تأيد مذهبهم وما فائدة الكتب التي لا حصر لها التي جمع فيها آلاف الرواة ونقدهم وتقويمهم وإن كانوا من أهل السنة فضلا عن غيرهم، بل حتى نجد أن علي بن

---

1 – محمد لقمان السلفي، مرجع سابق، ص227-229 بتصرف.

2 – علي نايف بقاعي، مرجع سابق، ص65.

المديني يضعّف أباه في رواية الحديث[1], وهل هناك أشد سذاجة ممن يختلق ويفتري أخبارا يُركّب لها أسانيد ثم يعود فينقد هذه الأسانيد وهؤلاء الرجال الذين أخترعهم ويحكم على هذه الأخبار التي اختلقها بأنها غير صحيحة[2]، وبهذا نعرف قيمة الحديث بالنسبة إلى الدين كما عرفناها بالنسبة إلى العلم, فالعجب ممن يثير الشبهات حول حجيته أو رجاله وسنده، وقد رأينا فيما يرجع إلى السند كيف أن عمل المحدثين في التحري له والتثبت منه وإخضاعه للنقد العلمي التحليلي كان مثار الإعجاب حتى من الأجانب عن الإسلام[3]، فلم يقف أئمة الحديث عند حدود رواية الحديث بالسند فحسب، بل عرفوا أن رواية الحديث بسنده من غير بحث في قيمة هذا السند لا تفيد الاطمئنان الذي يستشرفون إليه للاعتماد على الحديث، فاجتهدوا في معرفة أحوال الرجال وصفاتهم ومن يحمل عنه ومن لا يحمل عنه... وكان من نتيجة البحث في الأسانيد شيئين أساسين لا يستغنى عنهما في تصحيح الأحاديث وتضعيفها والحفاظ على السنة النبوية وهما :

1- وضع قواعد للجرح والتعديل.

2- التصنيف في تراجم الرجال[4].

وهنا يتبين أن المحدثين والفقهاء يشترطون في صحة الحديث شروطا تعود إلى كل من صحة السند والمتن فصحة الحديث عندهم مصطلح يقوم على أمرين كما توضحه المعادلة التالية: صحة الحديث = صحة السند + صحة المتن.

من هنا نشأ عند المحدثين قاعدة مهمة هي لا تلازم بين الإسناد والمتن صحة وضعفا[5], مما ألزمهم وضع شروط للسند والمتن كلا على حدة .

و على فرض صحة هذه الدعوى أنه لا توجد هناك أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن أقوال الصحابة و فتاواهم و فهمهم للقرآن هي حجة كافية عند الفقهاء لأنهم

1- الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني, تهذيب التهذيب, ط1، ج5, دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1404هـ/1984م، ص153.

2- حاكم عبيسان المطيري, مرجع سابق, ص163-165, بتصرف.

3- عبد الله كنون, الحديث و قيمته العلمية و الدينية، المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية, مجلة البحوث الإسلامية، الأزهر، أكتوبر 1996, ص78.

4- علي نايف بقاعي، مرجع سابق, ص66.

5- عبد الكريم إسماعيل الصباح, مرجع سابق, ص224.

تعلموا على يد رسول الله صلى الله عليه و سلم و شاهدوا التطبيق، و أما الإدعاء أنه لا يثبت شيء فهذه مكابرة لا يستطيع أحد ادعاءها[1]، و في هذا كفاية لأن يسكت كل من "شاخت" و "كيتاني" و "غولد زيهر" و أتباعهم من بني جلدتهم و يدحض ادعاءهم أن القسم الأعظم من الأسانيد اختلقه المحدثون في فترة متأخرة، و لكن لا يمنع من وجود أسانيد اختلقها أعداء الإسلام إلا أنها لم تخف عن الجهابذة من محدثي المسلمين[2]، و من هنا تتبين أهمية الإسناد عند المسلمين و تسقط كل الإدعاءات الجريئة التي تهدف إلى فصل السنة عن القرآن، والطعن في أهم خصيصة من خصائص المسلمين وهي الإسناد.

<u>المطلب الثاني</u> :

تطور الحديث في منظور المستشرقين :

إن المتتبع لشبه المستشرقين حيال الحديث النبوي الشريف يجد أن بعضها آخذ برقاب بعض، فلا تكاد تبطل شبهة من شبههم إلا و تتابعت الشبه الأخرى في البطلان كحبات الخرز المتتابعة، فعندما طعن المستشرقون في السند و عدم الجدوى من قيمته، لا بد و أن تظهر شبهة أخرى و هي ظاهرة اختلاق الحديث النبوي بوصف الحديث بأنه مؤامرة على الإسلام، و من هنا نشأت فكرة تطور الحديث عند المستشرقين خاصة غولد زيهر، و لقد تولى الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله الرد على هذه الفرية ردا مقنعا فكفى و شفى، فصار كتابه كما قال محمد طاهر الجوابي مرجعا لمن بعده[3]، يقول غولد زيهر:" إن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور السياسي و الإجتماعي للإسلام في القرنين الأول و الثاني " و الغريب من هذا المستشرق أنه يتلاعب كما يشاء بعقول القارئين لمؤلفاته فنجده من جهة يعترف اعترافا بينا أن الحديث و كيفية روايته و البحث عنه لم يكن عملا سهلا و لا عديم الفائدة، ثم يخرق ما قاله بعد سطور فيدعي أن الفقه قد تطور ولم يثبت على ما كان عليه وقت النبي عليه الصلاة و السلام فيقول:" ولم يكن النظر في الحديث النبوي و البحث عنه و روايته مجرد عمل نظري من أعمال التقوى، و لكنه كان ذا أهمية عملية كبيرة و ذلك بأنه لم تكن تأسس أمور الفقه والعبادات على

---

[1] – حاكم عبيسان المطيري، مرجع سابق، ص174.

[2] – علي نايف بقاعي, مرجع سابق، ص65.

[3] – محمد طاهر الجوابي، <u>جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي</u>، دط، مؤسسة الكريم عبد الله، دت، ص 447.

ذلك فقط بل على شكل الدولة، ثم القضاء في كل أمور العملية فضلا على وجوب توافق النظم الوطنية الأولية وطلبات الفقه الديني و ذلك كله كان من الواجب استنباطه و القيام به بغاية الدقة و الكمال و كان من هذا تطور و وضعه إلى أن جاء وقت الفقـــه والفقهاء "[1] .

يدعي زيهر أن القسم الأكبر من الأحاديث ليست إلا نتيجة للتطور الديني و السياسي و الإجتماعي للمسلمين، حيث يقول:" إن التأثير الأدبي للتعاليم الإعتقادية ترقى بتطور الحديث و سأذكر هنا مثالا واحدا له أهميته لتقدير الأفكار الدينية في الإسلام، فحسب مذهب القرآن في التوحيد يعد الشرك الأكبر أكبر الذنوب و لا يغفره الله (سورة لقمان الآية 13- سورة النساء الآية 116) في تطور هذا التصور الإعتقادي الأول كما يظهر في الحديث أرى أنه لا يدل على الشرك و تشويه عقيدة التوحيد فقط بل كذلك كل ضرب من العبادة يتسم منها أن تمجيد الله غير مقصود لذاته، و كذلك أضيفت إلى هذه الدائرة جملة من النقائص و المعاصي، مثلا الرياء في الأعمال الدينية أن يقصد بها كسب إعجاب الناس نوع من الشرك، لأنه وضع فيها بإزاء التفكير في الله التفكير في مراعاة الناس فالرياء لا يتفق مع التوحيد، و كذلك الكبر نوع من الشرك الأصغر أو الشرك الخفي الكامن في أعماق النفس، و أن يسع هذا المعنى لدائرة واسعة، و هكذا وضعت غاية الحياة الدينية وضعا أرقى مما كانت عليه في الإسلام الأول"[2].

و يقول في موضع آخر:" و هكذا صار الحديث إطارا للأفكار الدينية و الخلقية في الإسلام و تطوراته القديمة، و فيه ظهر تطور المبادئ الأخلاقية التي وجدت أسسها في القرآن، ففيه نرى هذه الحركات الخلقية السهلة اللطيفة التي لم يكن الإسلام في العصر الأول مستعدا لها "[3]، ففي نظره و حسب رأيه أن الحديث كان عرضة للإضافة و الزيادة و الوضع حسبما تقتضيه الظروف الحياتية، و هو بهذا يشبهه بما جرى للديانتين اليهودية و النصرانية، بل يذهب أبعد من هذا حين شكك في وجود صحف على عهد النبي صلى الله عليه و سلم حتى وصل به الأمر إلى القول بالوضع و الإختلاق، و أحيانا يذهب إلى أن الوضع كان بنية حسنة حتى يظن القارئ أنه يدافع عن السنة و الأمر بخلاف ذلك، يقول بأن بعض الرجال كانت لهم نية صالحة في

1 – غولد زيهر، مرجع سابق، ص49.

2– نفســـــه، ص44-45 .

3– نفســـــه، ص43 .

وضع هذه الأحاديث النافعة و نشرها بين الناس، كما اعترف كثير من الأتقياء عند وفاتهم بلا تردد عما لهم من فضل في وضع أحاديث كثيرة[1]، و من الأحاديث التي يرى زيهر أنها موضوعة، حديث إنما الأعمال بالنيات حيث ارتفع شأن هذا الحديث إلى أن صار فكرة تسيطر على كل الأعمال الدينية، و هو حديث متأخر ظهر كصدى لإقناع المؤمنين بذلك و علامة على قيمة الأعمال الدينية[2]، و لا ندري على أي أساس اعتمد زيهر لمعرفة أن الحديث موضوع، إلا إتباع الهوى و العقل و التخير من أقوال النقاد المسلمين على سند الحديث ما يوافق هواه .

و بالنسبة للفقه و تطوره عند زيهر فإنه جاء بناءً على الحاجة الضرورية في الحياة العامة مباشرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم، و أن الأحاديث الموضوعة فيه لا تقتصر على الأجيال المتأخرة بل هي ترجع إلى عهد النبي صلى الله عليه و سلم أو من عمل رجال الإسلام القدامى، و قد يخترع أصحاب المذاهب النظرية و العملية أحاديث لا يرى عليها شائبة في ظاهرها و يرجع بها إلى الرسول و أصحابه، فالحق أن كل فكرة و كل حزب و كل صاحب مذهب يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل[3]، و يقول و هناك وجهة نظر أخرى جاءت بهذه الظاهرة، و هي أن الفقهاء في المشرق أعملوا ذكاءهم ليحدّوا من دائرة تحريم المسكرات الذي يتسع لأشربة أخرى و ذلك بواسطة التفسير: فمن جهة سعوا أن يستنتجوا أنه فيما عدا خمر العنب لا تحرم الأشربة الأخرى في نفسها، بل فقط عندما يحصل منها الإسكار، و وضعوا لذلك أحاديث مثل حديث عائشة " إشربوا و لا تسكروا "[4] و تحت هذا الدليل لم يقتصر حتى بعض الأتقياء على الماء القراح و سعى المتشددون للتدليل على " ما أسكر كثيره فقليله حرام "[5][6]، ففي نظره أن الفقهاء كلما اضطروا إلى تحليل محرم اخترعوا حديثا ليستدلوا منه على ذلك و هذا لا يقول به من درس الفقه و تعمق فيه بل و لا من شم رائحة الفقه الصحيح، و يسير"

---

[1]– غولد زيهر، المصدر السابق، ص40 .

[2]– نفســــه، ص44 .

[3]– نفســــه، ص37، ص41 .

[4]- البيهقي, السنــن الكبــرى, كتاب الأشربة,ط1, دائرة المعارف الهند, 1344هـــ , بــرقم:17869. والحــديث ضـــعفه الألباني موقوفا في ضعيف الجامع الصغير للسيوطي .

[5]– نفســــه، ص61 .

[6]-وهو حديث صحيح, انظر: صحيح الجامع الصغير, مرجع سابق, ج2 ص970 .

شاخت" على نفس المنهج، لأنهما من مدرسة واحدة، فقد نقل العاني عنه قوله أن ما ينسب إلى الفقه الإسلامي من نصوص مستمد في معظمه من شرائع اليهود و النصارى و ديانات أخرى[1]، و الغريب في أمر المستشرقين أنهم لا يجدون مثل هذه القوانين و الأنظمة و هذا التشريع الكامل في الإسلام نظريا و تطبيقيا، لا في التوراة و لا في الإنجيل و لكنه الحقد و الغل و النية السيئة في محاولة تحطيم أركان الإسلام بالمساس بالأصل الثاني بعد القرآن الكريم و هو السنة النبوية .

يقول السباعي ردا على دعاوى غولد زيهر و من على شاكلته: "إن هذا محض افتراء، فكيف يكون الحديث نتيجة للتطور مع أن الثابت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد تمام الدين، و أكبر شاهد على ذلك قوله تعالى:" **اليوم أكملت لكم دينكم** "[2] مع أمره صلى الله عليه و سلم بكتابة الحديث و تدوينه، كما أن المسلمين موحدون على اختلاف بقاعهم و أزمانهم في العقيدة و العبادة و المعاملات و العادات في الغالب و هو دليل على أن المسلمين لم يغادروا الجزيرة حتى اكتمل الدين، فلو كان الحديث نتيجة التطور لما اتحد المسلمون على هذا النحو"[3]، و أيضا هل يمكن القول باختلاف الحديث على كثرة العلماء في الأمصار في مكة و دمشق و الكوفة و البصرة و مصر و أمصار الإسلام الأخرى، و كذلك كثرة العلماء، فهل تشاركوا في الوضع؟ و كيف تم ذلك؟ و أين هذا المؤتمر الذي ضمهم حتى اتخذوا فيه قرار الوضع؟ و كيف سكت العلماء على الوضع؟ و كيف نقلوا أحاديث الوضع؟[4]، و أما بالنسبة للفقه فلا ترى قولا لإمام من أئمة المذاهب في القرنين الثاني و الثالث إلا و قد سبقه إليه صحابي أو تابعي و ذلك قبل أن يتطور الدين- كما زعم هذا المستشرق- تطورا بالغ الأثر و هذا ما يقضي على الشبهة من أساسها[5]، و أما عن قول زيهر أن العلماء وضعوا الحديث عن حسن نية فإنه لم و لن يصل إلى السمو الذي يتصف به علماؤنا الأثبات، و لا المدى

---

[1]- عبد القهار العاني، الإستشراق و الدراسات الإسلامية، ط1، دار الفرقان-عمان، 2001م، ص147.

[2]- سورة المائدة، الآية3 .

[3]- مصطفى السباعي، السنة و مكانتها ...، مرجع سابق، ص196 . و انظر:

- محمد عبد السلام و آخرون، دراسات في الثقافة الإسلامية، ط5، مكتبة الفلاح-الكويت، 1987م، ص260-261 .

[4]- محمد عبد السلام و آخرون، دراسات في الثقافة ...، مرجع سابق، ص199-200 .

[5]- مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص197 .

الذي وصلوا إليه في الترفع عن الكذب حتى في حياتهم العادية، و لا مبلغ الخوف الذي استقر في نفوسهم بجنب الله خشية و رهبة و لا مدى استنكارهم الكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم، حتى قال من قال منهم بكفر من يفعل ذلك و قتله و عدم قبول دعوته، إن هذا المستشرق معذور إذا لم يفهم عن علمائنا هذه الخصائص لأنه لا يجد لها ظلا في نفسه و لا فيما حوله [1]، و بذلك يتضح أن السنة حجة على جميع المسلمين و أصل من أصول الدين، أما ما أثاره المغرضون حول السنة لم يثبت أمام البحث العلمي، إنما أصبح كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف[2]، و بالتالي فإن الحديث لم يتطور بالمفهوم الذي ذهب إليه زيهر و غيره و إنما تطوره كان عن طريق الإجتهاد و استنباط الأحكام الفقهية والقياس والمصالح المرسلة وغيرها من مصادر الشريعة الأخرى التي أخذ بها علماءنا رحمهم الله .

مطلب الثالث :

شبه المستشرقين حول الوضـــــع و الرد على ذلك :

ادعى المستشرقون أن معظم الأحاديث التي تنسب إلى النبي صلى الله عليه و سلم موضوعة، و استدلوا على ذلك بأقوال اعتبروها عند أنفسهم أدلة مقنعة، بل و جعلوا منها منهجا يحكمون به على الأحاديث صحة و ضعفا، جاعلين وراء ظهورهم منهج علماء الإسلام في التعامل مع الأحاديث، و أكبر من ذكر هذه الشبهة وروج لها في كتبه "غولد زيهر" وتبعه على ذلك "شاخت" وآخرون, ولنلقى نظرة على مجمل أقوالهم أو بالأحرى شبهاتهم ورد العلماء عليهم بالبرهان, وتصحيح أخطائهم في هذا الموضوع المثير.

لقد ادعى "زيهر" أن القسم الأكبر من الحديث النبوي وضع نتيجة للتطورات التي حدثت في المجتمع الإسلامي، و اتهم بالوضع من سماهم رجال الإسلام القدامى و يعني بهم الصحابة و التابعين، و يضيف" شاخت" على هذا أنه لا يوجد حديث واحد يصح نسبته إلى الرسول صلى الله عليه و سلم، و هو بهذا يوافق زيهر فيما ذهب إليه، و يقول عن كلام زيهر:" و قد أصبح هذا الإكتشاف اللامع حجر الزاوية لكافة البحوث الجادة للقانون و الفقه

1– مصطفى السباعي، السنة و مكانتها ...، مرجع سابق، ص201 .

2– نفســـــه، ص262 .

المحمدي في عهده المبكر"، بل أكثر من ذلك يصف هذا الرجل علماء المسلمين كافة خلال القرون الثلاثة الأولى أنهم كانوا كذّابين و ملفقين غير أمناء، و قد رد المحققون على هذه الفرية أن الدين الإسلامي إكتمل بموت النبي صلى الله عليه و سلم و انتقاله إلى الرفيق الأعلى، و قد نظمت حياة كل مجتمعات البلدان المفتوحة بنفس العقيدة و العبادة و الأخلاق و أحكام المعاملات المالية و الإجتماعية، و حدثت في المجتمع قضايا جديدة تطلبت أحكاما إجتهد فيها المجتهدون و استنبطوا أحكاما من القرآن و السنة الثابتة[1]، ثم ماذا نقول عن الآلاف من الأحاديث المتصلة السند إلى النبي صلى الله عليه و سلم؟ ومن أين أتت؟ ثم ماذا عن المكتبات الضخمة التي تضم الألوف من الكتب في الفقه و السنة النبوية وكذا الكتب المصنفة في الجرح والتعديل ورحلات أهل العلم في البحث عن الأحاديث وعلو سندها؟[2]، و ماذا نقول إزاء حرص الصحابة و التابعين في حفظ الحديث و نقله و جمعه و تنقيته و تتبع الكذابين و الوضاعين؟[3] فهل يختزل كل هذا في ظل دعواهم الخاطئة؟.

يقول زيهر:" وقد وجدت مفتريات الورع في وضع الأحاديث تساهلا عاما عندما تتناول الأحاديث الخلقية أو المتعلقة بفضائل الأعمال، ولكن علماء الدين الأقوياء كانوا يقابلون ذلك بعين الجد حينما يبنى حكم شرعي على مثل هذه الأحاديث "[4]، فهو هنا كمن يلعب على حبلين بحيث يستعمل ألفاظا رنانة تطرب آذان السامع والقارئ وفي الوقت نفسه يحاول تمرير شبهته, فهو هنا يدعي أن الأحاديث في فضائل الأعمال تساهل العلماء فيها وبالتالي فمعظمها موضوع والدليل الذي يتكئ عليه هو تشديد العلماء الذي وصفهم بالأتقياء في الأحاديث التي ينبني عليها حكم شرعي, ولنا أن نستنتج أن باقي الأحاديث في فضائل الأعمال موضوعة وهو هدفه فيما يظهر, فمن خلال هذا القول يمرر رأيه أن أحاديث الفضائل موضوعة وهو هنا لا يأتي بدليل علمي يبني عليه حكمه هذا, بل إن العلماء بينوا

---

[1]- أنظر: - محمد طاهر الجوابي، مرجع سابق، ص448-449 .

- نذير حمادو، موقف المستشرقين من السنة النبوية، مجلة المعيار، العدد6، جوان2003م، ص79-80 .

- أنور الجندي، السنة النبوبية...، مرجع سابق، ص13 .

[2]- مصطفى الأعظمي، المستشرق شاخت و السنة النبوية، مبحث مأخوذ من كتاب يحي مراد، إفتراءات المستشرقين...، مرجع سابق، ص236-237، ص245 .

[3]- أنور الجندي، السنة النبوبية...، مرجع سابق، ص13 .

[4] - غولد زيهر, مرجع سابق, ص46-47 .

الأحاديث الصحيحة من الحسنة والضعيفة والموضوعة في كتبهم ولم يتركوا حديثا في الفضائل ولا غيرها إلا بينوا حكمه .

ويقول في موضع آخر:" ونظرا لأن ما وقع في أيديهم –أي العلماء– من ذلك لم يكن ليسعفهم في تحقيق أغراضهم, أخذوا يخترعون من عندهم أحاديث رأوها مرغوبا فيها ولا تنافي الروح الإسلامية، وبرروا ذلك أمام ضمائرهم بأنهم إنما يفعلون هذا في سبيل محاربة الطغيان والإلحاد والبعد عن سنن الدين "[1]، فهو هنا يتهم العلماء رحمهم الله بالوضع, ثم تظاهر بالدفاع عنهم بقوله برروا ذلك أمام ضمائرهم وكأنه كان حاضرا معهم, وحاشاهم أن يكذبوا وهذه كتب التراجم تشهد على أنهم صادقون, بل ينفرون من الكذب في حياتهم اليومية فما بالك بالكذب في الأحاديث وهم يعلمون عقوبة ذلك, يقول السباعي:" بل كانوا يترفعون عن الكذب في حياتهم العادية, ورأوا أن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم جريمة كبيرة حتى قال منهم من قال بكفر من يفعل ذلك, وقتله وعدم قبول توبته, فسعيد بن المسيب مثلا ضرب وأهين ونكل به حتى لا يبايع بيعتين في وقت واحد ويخالف بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم, فكيف يقال عنه أنه يستبيح الكذب ليدافع عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم "[2] .

و جهود العلماء في محاربة ظاهر الوضع معلومة و خير دليل على ذلك هذه المؤلفات التي تملأ الرفوف في المكتبات و إليك بعضها:

– ترتيب الموضوعات، لابن الجوزي، تصنيف محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، اعتنى به و علق عليه كمال بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1415هـ/1994م .

– في الكلام على القصاص، أحمد عبد الحليم بن تيمية، تحقيق عبد الحميد شانوحة، دار المطبوعات الحديثة–جدة، 1407هـ .

– أحاديث القصاص، أحمد عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ .

1 – مصطفى السباعي، السنة و مكانتها ...، مرجع سابق، ص201 .

2 – نفســـه, ص201, بتصرف, وانظر:

– محمد طاهر الجوابي, مرجع سابق ص 449.

– المنار المنيف في الصحيح و الضعيف، لابن القيم، حققه عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتبة المطبوعات الإسلامية–حلب، مكتبة الرشد–الرياض، 1403هـ .

– اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بالتذكرة في الأحاديث المشتهرة، لبدر الدين الزركشي، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1406هـ .

– كشف الخفاء و مزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، حققه أحمد القلارش، ط2، مؤسسة الرحالة–بيروت، 1399هـ .

– الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمان بن يحيى المعلمي، ط2، أشرف على طبعه زهير الشاويش، بيروت، 1392هـ .

– الجد الحثيث في ببيان ما ليس بحديث، أحمد عبد الكريم الغزي، تحقيق أبو زيد، دار الزين، 1412هـ .

– الجليس المتين شرح تذكرة الطالبين في بيان الموضوع و أصناف الوضاعين، محمد بن علي ابن آدم الإثيوبي المولوي، ط2، دار علماء السلف، 1410هـ .

– الوضع و الوضاعون في الحديث النبوي، أبو بكر عبد الصمد بن بكر بن إبراهيم بن عابد، دار الفضيلة–القاهرة، دار البخاري–المدينة المنورة، 1410هـ .

– أثر الأحاديث الموضوعة و الضعيفة في العقيدة، عبد الرحمان عبد الخالق، مكتبة ابن تيمية–الكويت، 1406هـ .

– دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة و الحديثة، محيى الدين عطية و آخرون، ط1، دار ابن حزم بيروت، 1416هـ/1995م .

– الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة و الموضوعة، عبد الحليم عبد العظيم، ط1، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، 1420هـ/1999م .

– الوضع في الحديث، عمر بن حسن عثمان فلاتة، أطروحة دكتوراه بجامعة الأزهر، مكتبة الغزالي–دمشق، مؤسسة مناهل العرفان–بيروت، 1397هـ .

– الوضع في الحديث و آثاره السيئة على الأمة، نهاد عبد الحليم عبيد، رسالة ماجستير بإشراف محمد عبد المنعم القيعي، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية– جامعة أم القرى، 1401هـ .

فهذه كتب قليلة جدا مما ألفه علماؤنا في هذا الباب ولو أردنا أن نسردها كلها لضاق بنا المقام هنا[1]، و لا أظن أن "غولد زيهر" قد اطلع على هذه الكتب أبدا .

ثم ينتقل زهير إلى شبهة أخرى ألا وهي اتهامه للأمويين بوضع الحديث حيث قال: " أنه لا توجد مسألة خلافية سياسية أو اعتقادية إلا ولها اعتماد على جملة من الأحاديث ذات الإسناد القوي "[2] .

هذا هو دليله على أن الحكومة الأموية دعت إلى وضع الحديث, ولا شك أن اختلاف الحديث له عدة أسباب بيّنها العلماء منها تعدد وقوع الفعل من النبي صلى الله عليه وسلم في الحادثة الواحدة إشارة إلى جواز هذا وهذا, ومنها اختلاف الصحابة في فهمهم مراد النبي صلى الله عليه وسلم من الحديث, ومنها أن يسمع الصحابي حكما جديدا ناسخا للحكم الأول ولا يسمعه الثاني, وغير ذلك من الأسباب التي تحدث خلافا بين الفريقين والتي بيّنها العلماء, كما بينوا الأحاديث الموضوعة وصنفت عدة كتب في هذا الفن ومن أشهر من ألف في هذا الشافعي, وابن قتيبة والطحاوي وغيرهم[3].

وفي هذا الموضوع –أي اتهام الأمويين بالوضع– يقول زيهر بأن معاوية قال للمغيرة بن شعبة: "لا تهمل في أن تسب عليا وأن تطلب الرحمة لعثمان وأن تسب أصحاب علي وتضطهد من أحاديثهم, وعلى الضد من هذا أن تمدح عثمان وأهله وأن تقربهم وتسمع إليهم " ثم يقول زيهر:" على هذا الأساس قامت أحاديث الأمويين ضد علي "[4]، فهو هنا ينقل كلاما لأهل العلم و يريد أن يستل منه ما يوافق هواه، و أصل الكلام عند الإمام الطبري هو هكذا " قال معاوية للمغيرة ... و لست تاركا إيصاءك بخصلة لا تتحم (أي تتورع) عن شتم علي و ذمه و الترحم على عثمان و الاستغفار له، و العيب على أصحاب علي و الإقصاء لهم و ترك الاستماع منهم، و بإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليهم و الإدناء لهم و الاستماع

[1]– و قد ساق أحمد عبد الكريم بعضا منها أنظر :

– أحمد عبد الكريم العربي، الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، تحقيق أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيـروت–لبنـان، 1418هـ/1998م، ص8–10 .

[2] مصطفى السباعي، السنة و مكانتها ...، مرجع سابق، ص203 .

[3] –نفســه, ص203–204, وانظر:

– نذير حمادو, مرجع سابق, ص80.

[4] – نفســه، ص205 .

منهم "[1]، فانظر كيف حرف هذا المستشرق لفظ (و الإقصاء لهم) بلفظ (و تضطهد من أحاديثهم)، فإن كلمة أحاديثهم لا وجود لها في أصل النص، أفرأيت كيف تكون أمانة العلماء)؟ ولو فرضنا أنها واردة فلا معنى لأحاديثهم هنا إلا كلامهمم و محاوراتهم و مجالسهم، لا الأحاديث بمعنى الأقوال المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم[2].

ثم يزيد زيهر الطينة بلة، و يجعل الكذبة أكاذيب حين يتهم علماء السنة الذين ينعتهم بالأتقياء بأنهم كانوا يضعون الأحاديث لمدح آل البيت، قاصدين من وراء ذلك الاستنقاص من الأمويين و مهاجمتهم و يجعل هذا الأمر عاما في القرن الأول الهجري، و مما يدل على كذبه أن الشيعة هم أول من تزيدوا في الأحاديث و وضعوا أخرى في فضائل آل البيت مما جعل علماء السنة يقاومون هذا الأمر حتى قال ابن سرين:" لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سمّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم و ينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم "[3]، و إذا رجعنا إلى التاريخ نجد أنه بعد استشهاد علي رضي الله عنه نشأت الفرق و الأحزاب، و حاول كل منهم أن يدعم ما ذهب إليه بالقرآن و السنة، مما جعل بعضهم يتأول القرآن و يحمّل الأحاديث ما لا تحتمله، حتى وصل بهم الأمر إلى الوضع، مما دفع العلماء إلى تحقيق هذه الأحاديث و تبيين صحيحها من سقيمها[4] .

و مما يزيد الأمر وضوحا أن "زيهر" تعمد الكذب أن يعترف عالم شيعي كابن أبي الحديد بأن الشيعة هم أول من كذبوا في الحديث و زادوا في فضائل أهل البيت، ويأتي زيهر فيلصق بأهل السنة بأنهم أول من فعل ذلك، أليس هذا إمعانا في تحريف حقائق التاريخ إلى حد لا يصل إليه إلا باغ أثيم[5].

---

1 – محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف– القاهرة، ص253–254 .

2 – مصطفى السباعي، السنة و مكانتها...، مرجع سابق، ص205.

3– محيى الدين النووي، شرح صحيح مسلم ...، مصدر سابق، ج1، ص 86 .

4– محمد إبراهيم الفيومي، منهج التوثيق ...، مرجع سابق، ص28 . و انظر:

– نذير حمادو، مرجع سابق، ص81 .

– أنور الجندي، السنة النبوية...، مرجع سابق، ص14 .

5 – السباعي، السنة و مكانتها...، مرجع سابق، ص203،202.

و يمكن تلخيص أسباب الوضع فيما يلي :

- الأحزاب السياسية الناتجة عن الخلافات السياسية: الشيعة، الخوارج، المرجئة... .
- التزلف إلى الحكام و الرغبة في إرضائهم .
- أعداء الإسلام الزنادقة الذين يقصدون تشويهه .
- الخلافات المذهبية و الفقهية و الكلامية .
- التفرقة العنصرية، التعصب القبلي و التعصب المذهبي .
- القصاص و الوعاظ .
- الترغيب و الترهيب لحث الناس على الخير ومحاربة جهل بالدين .
- التوصل إلى الأغراض الدنيوية .
- أن يقع الوضع في حديث الراوي من غير تعمد و قصد لذلك[1] .

و يضيف زيهر اتهاماته للأمويين بأن الحكومة الأموية لم تقف موقف المتفرج لما يفعله علماء السنة من الاستنقاص من شأنها بل وضعت أحاديث توافق رأيها أو تدعوا إلى وضع أحاديث لصالحها[2] وكأن الأمر لعبة، يختلق الرجل ما شاء من الأحاديث و ينشرها و كأنه لا وجود لمنهج حديثي يكشف هذا الاختلاق، بل إن علماءنا رحمهم الله اعتادوا ألا ينقلوا حديثا إلا بسنده، و هاهي أسانيد الأحاديث الصحيحة محفوظة في كتب السنة ولا نجد في حديث واحد من آلافها الكثير في سنده عبد الملك أو يزيد أو الوليد أو أحد عمالهم كالحجاج و خالد بن عبد الله القسري و أمثالهم، فأين ضاع ذلك في زوايا التاريخ لو كان له وجود ؟ وإذا كانت الحكومة الأموية لم تضع بل دعت إلى الوضع فما الدليل على ذلك؟[3].

ثم يتهم زيهر علماء المدينة بوضع الحديث لمقاومة الأمويين، و السؤال المطروح هل وافق علماء الإسلام في مكة و دمشق و الكوفة و البصرة و مصر وسائر الأمصار الإسلام علماء

---

[1]- محمد إبراهيم الفيومي، مرجع سابق، ص28 . و انظر :
- نذير حمادو، مرجع سابق، ص83-86 .
- محمد لقمان السلفي، مرجع سابق، ص228 .

[2]السباعي، السنة و مكانتها...، مرجع سابق، ص203 . .

[3]- نفســـه، ص199، 203 .

المدينة على الوضع ؟ و كيف تم ذلك ؟ و أين هذا المؤتمر الذي ضمهم؟[1]، و لماذا لم تذكر كتب التاريخ مثل هذا الأمر .

ولكي يبرر زيهر هذا الإتهام للأمويين، يتهم الإمام الزهري لمساندته لهم و أنهم استغلوه بدهائهم، غير أن الذي يقرأ ترجمة الإمام الزهري يتبين له أنه رجل ثقة ثبت[2]، أما عن صلته بالأمويين فمن باب النصح و التذكير، و ذكر السباعي قصتين رد فيهما الإمام الزهري الخليفة إلى الحق حيث قال الزهري قولته المشهورة :" أنا أكذب؟ لا أبا لك فو الله لو نادى مناد من السماء أن الله قد أحل الكذب ما كذبت "، ثم أن الزهري كان زاهدا في المال و المنصب و الجاه فلماذا يكذب على النبي صلى الله عليه و سلم؟، ثم لماذا لم يرُد عليه علماء عصره، و هب أنهم ستروا عليه، فكيف وثقه علماء العباسيين كأحمد بن حنبل و يحي بن معين و البخاري و مسلم و ابن أبي حاتم وغيرهم[3].

و مما اتهم به الزهري أنه ذكر أن إبراهيم بن الوليد الأموي طلب من الزهري أن يأذن له بنشر أحاديث في صحيفة كانت عنده، على أنه سمعها منه فوافق الزهري بلا تردد، إلا أنه خفي عن هذا المستتشرق أن الزهري شيخ لإبراهيم كما نقل ذلك العلماء، و أن إجازته لما في الصحيفة هو ما يسمى في اصطلاح المحدثين عرض المناولة و هي معروفة عند علماء الحديث[4]، أضف إلى ذلك أن إبراهيم هذا لم تذكره كتب الجرح و التعديل لا في الثقات و لا في الضعفاء و لا في المتروكين، كما أنه لا وجود لهذه الصحيفة في كتب الحديث[5].

و يستمر في عدائه للزهري فينقل عن الزهري قوله:" إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث"، ثم يعلق عليه بأنه يُفهم من هذا استعداد الزهري لأن يكسو رغبات الحكومة باسمه المعترف به عند الأمة الإسلامية، إن أمانة الزهري و جرأته تمنعه من الرضوخ لأي كان،

---

1 – السباعي، السنة و مكانتها...، مرجع سابق، ص200.

2 – و قد ساق السباعي ترجمة وافية له: انظر:

– السباعي، مرجع سابق، ص206 –213 .

– محمد حامد الناصر، مرجع سابق، ص117–118 .

3– مصطفى السباعي، السنة و مكانتها ...، مرجع سابق، ص214 ،216 بتصرف.

4– انظر : – ابن حجر العسقلاني, نزهة النظر..., مرجع سابق ,ص79 .

5 – نفســـه، ص 220– 221، و انظر :

– أنور الجندي، السنة النبوية ...، مرجع سابق، ص18.

كما أن في هذا النص تحريف ظاهر حيث أن الزهري لم يكن يملي الحديث حتى يعتمد الناس على حفظهم، فلما أصر عليه هشام على أن يملي على ولده ليمتحن حفظه، فأملى عليه حوالي أربمائة حديث، ثم خرج من عند هشام و قال بأعلى صوته:" يأيها الناس إنا كنا منعناكم أمرا قد بذلناه الآن لهؤلاء، و أن هؤلاء أكرهونا على كتابة الأحاديث فتعالوا حتى أحدثكم بما حدثتهم به" فحدثهم بالأربعمائة حديث، فالمؤرخون نقلوا قول الزهري أكرهونا على كتابة الأحاديث فلما حذفت (ال) من الأحاديث انقلبت الفضيلة رذيلة "[1]، فهذا هو منهج زيهر و هذه هي أمانته في نقل كلام العلماء، وهذا هو حسن ظنه بالعلم و العلماء.

و كان مما ساق أيضا أمرا في غاية الغرابة حيث اعترف بمنهج النقد عند المسلمين إلا أن نظرتهم في نقد الأحاديث تختلف عن نظرة الغربيين في تصحيح الأحاديث، فكثيرا مما صححه النقاد المسلمون لم يقبله المستشرقون، و من ثم طعن في الكتب الصحاح الستة، و العجيب في أمره كيف رد مقاييس المسلمين الصحيحة التي صانت السنة عن العبث، و يريد من خلال ذلك أن ينشر حولها التشكيك و حول منهج النقد حتى يتحقق له إبطال السنة جملة[2]، و لعل ما يفسر لنا منهج نقد الغربيين ما نقله الجندي من اعتمادهم في نقولهم على فكر المعتزلة و غلاة الشيعة وحكايات الأدب ...، كما اعتمدوا على كتب النوادر و الحكايات التي وضعت للتسلية ككتاب حياة الحيوان للدميري و ثمار القلوب للثعالبي و مقامات بديع الزمان للفصل في قضايا السنة، و قد صدق من قال إن علم الحديث لا يؤخذ من كتب الفقه و علم التفسير لا يؤخذ من كتب اللغة، لأن لكل علم مصادره التي تعرف منها حقائقه و قضاياه، هذا هو المنهج العلمي الذي قدمه المستشرقون و أتباعهم لتزيف المفاهيم[3]، فهل يعقل أن يصلح منهج الهوى منهجا بدل منهج مبني عن علم؟ فلو قام بنقد منهج المسلمين بعلم لنظرنا في ذلك، و لكن كيف وهو يرد منهج المحدثين بالذوق والهوى .

و يتفق "شاخت" مع "غولد زيهر" في كثير من الشبهات و يضيف أخرى أيضا، و أهم ما ركز عليه "شاخت" أنه قال لا يصح نسبة حديث واحد في الفقه إلى النبي عليه الصلاة و

---

[1] – مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص221–222.

[2] – محمد طاهر الجوابي، مرجع سابق، ص 449.

[3] – أنور الجندي، السنة النبوية ....، مرجع سابق، ص9. و انظر :

– أنور الجندي، المستشرقون ....، مرجع سابق، ص222 .

السلام، و أنها مختلقة منذ منتصف القرن الثاني و ركبت لها أسانيد، لكن يأبى عليه التاريخ ذلك حيث أن العلم كان منتشر منذ عهد الصحابة، و بالرغم أنهم افترقوا في الأمصار إلا أنهم اتفقوا في معظم المسائل العلمية، كما أن حفظ القرآن إلى الآن دليل ضبطهم، فكيف فشلوا في حفظ السنة[1]، ثم إذا كانت هذه الأحاديث موضوعة كما يزعم "شاخت" فكيف نفسر محنة الإمام أحمد حين دعي إلى القول بخلق القرآن فقال:" ايتوني بآية من كتاب الله أو حديث من أحاديث النبي عليه الصلاة و السلام أقول به، و رغم وجود الكثير من العلماء في بلاط العباسين آنذاك، و وجود أساطين المعتزلة و أهل الكلام و القضاة و غيرهم، إلا أنهم عجزوا أن يأتوا بحديث واحد في ذلك[2]، فهل عجزوا عن تلفيق حديث واحد على رأي "شاخت" و "زيهر" و غيرهما؟ أم أنهم لم يستطيعوا ذلك لأن السنة محفوظة بحفظ الله و يستحيل أن يزاد فيها مع وجود منهج علمي يحول دون ذلك؟ .

و لقد وصل شاخت إلى نتيجة مفادها أن الشريعة في الإسلام تقع خارج نطاق الدين، و رغم أن كثير من المستشرقين لم يوافقوه على ذلك من أمثال" فيزجيرالد" و "كولسن" و "جويتائن"[3] و غيرهم[4]، إلا أنه في القرآن نفسه ما يرد على ادعاء هذا القائل بلا بينة، منها قوله تعالى :"**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**"[5].

وقوله تعالى:" **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**"[6]، وقوله كذلك:" **وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمُ وَ مَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا**"[7]، وغير ذلك من الآيات التي تحث على اتباع النبي عليه

---

[1] – مصطفى الأعظمي، المستشرق شاخت ....، مرجع سابق، ص 237، ص245، و انظر:
– حاكم عبيسان المطيري، مرجع سابق، ص 145–153.

[2] – نفســـــه، ص 157.

[3]- جويتاين(؟ –1900): مستشرق من أصل مجري, يهودي, ولد في برجكونشتات, هاجر إلى فلسطين ودرس فـــي حيفـــا أربعة سنوات, وعني بالمجتمع اليهودي في مصر والشام في العصور الوسطى, من إنتاجه العلمي : دراسات حول العبادات في الإسلام, وكتابه اليهود والعرب,(عبد العظيم بدوي موسوعة المستشرقين,مصدر سابق , ص 211) .

[4] – نفســـــه، ص 242–243. و انظر:
– محمد حامد الناصر، مرجع سابق، ص120.

[5] – سورة الحشر، آية 7.

[6] – سورة النساء، آية 80.

[7] – سورة الأحزاب، آية:36.

الصلاة و السلام و أن أوامره ونواهيه من الدين[1]، ثم يدعي شاخت أن المدارس الفقهية حاربت السنة النبوية، و ذلك باعتمادها على أثار الصحابة و تفضيلهم إياها على السنة فيقول في ذلك:" لقد قاومت المدارس الفقهية القديمة كافة الأحاديث النبوية في بادئ الأمر مقاومة شديدة، لأنها كانت عنصرا أجنبيا يشوش على منهج المدارس الفقهية القديمة "، و يعتمد في ذلك على ما قاله صالح بن كيسان:" اجتمعت أنا و الزهري و نحن نطلب العلم فقلنا نكتب السنن، قال و كتبنا ما جاء عن النبي عليه الصلاة و السلام قال: ثم قال نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة، قال: قلت: إنه ليس بسنة فلا نكتبه، قال: فكتب و لم أكتب، فأنجح و ضيعت"، فكيف يفهم من هذا النص أنهم كانوا يحاربون سنة الرسول عليه الصلاة و السلام، ثم إنه لما استدل بهذا فلا بد أن الرواية الصحيحة عنده، إذا كيف يدعي أن السنة كتبت بعد منتصف القرن الثاني للهجرة، و هذه الحادثة تعود إلى الربع الثالث من القرن الأول لأن الزهري ولد في خمسينات هذا القرن[2]، فيتبين من هنا أن أقوال و أفعال المستشرقين لا تعدوا أن تكون مواقفا لا تمت إلى المنهج العلمي بصلة .

ثم يقول "شاخت":" و أحسن طريق لإثبات حديث ما لم يكن موجودا في الوقت الفلاني، هو إثبات أن الحديث لم يستعمل بين الفقهاء في مناقشتهم العلمية، إذ لو كان ذلك الحديث موجودا لكانت الإشارة إليه أمرا ضروريا"، فأول شيء نود الإشارة إليه و هو ما سبق أعلاه أن "شاخت" ينفي نفيا مطلقا وجود الأحاديث أصلا ثم يثبتها بعد ذلك كما هو الحال هنا فهذا تلاعب ظاهر، ثم هل عهدنا أن الفقهاء يستدلون بكل الأحاديث في مناقشاتهم؟ و هل عدم الاستدلال بالحديث في حادثة معينة معناه أنه لا وجود له؟ و إذا استدل به بعد ذلك فمعناه أنه موضوع؟ إن هذا لا يقوله عاقل فضلا عن عالم .

ثم إنه يستدل على ما ذهب إليه بكلام من كتاب الأم رد فيه الشافعي قولا لأهل المدينة وافق بعضه قول أبي حنيفة في مسألة تعويض العبد المصاب لأنهم لم يأتوا بآية و لا بحديث، قال

---

[1] – راجع في هذا :

– محمد حبيب بن خوجة، السنة النبيوية في العصر الحديث بين أنصارها و خصومها، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد9، 1416هـ/1995م، ص33-35.

[2] – مصطفى الأعظمي، المستشرق شاخت ...، مرجع سابق، ص255-256. و انظر:

– نذير حمادو، مرجع سابق، ص 81 .

الأعظمي ردا على هذا:" بأن نقاش الشافعي للمدنيين لا يوجد فيه إشارة لا إلى القرآن ولا إلى السنة و لا إلى أثر من آثار الصحابة و التابعين، و المسألة من أولها إلى آخرها تتعلق بآراء أبي حنيفة الإجتهادية حول دفع التعويضات لعبد مصاب، و قد وافق أهل المدينة أبا حنيفة رحمه الله في بعض الحالات واختلفوا معه في حالات أخرى, وهذا من عجائب القول وغرائب الفهم أن يستدل شاخت من هذا على وضع الحديث[1]، ومن منهجه أيضا أنه إذا لم يجد الحديث في مصدر متقدم و وجده في مصدر متأخر, حدد تاريخ الوضع في بين هذين المصدرين، و إننا نرى أن الحديث موجود بالإسناد الكامل عند مالك المتوفى سنة 179هـ و الذي هو أكبر من أبي يوسف و الشيباني ما يقارب عشرين سنة و خمسة و أربعين سنة على التوالي، فما دام الحديث موجودا في مرجع أقدم فلا يجوز له بناءً على منهجه أن يقول بوضع الحديث بين كذا وكذا لأنه يخالف المنهج الذي و ضعه بنفسه[2]، فبأي منطق نتعامل معه نحن مع هذا التلاعب الظاهر و المصطنع .

و إذا كان "زيهر" ركز في عدائه على الإمام الزهري فإن "شاخت" ركز على الإمام الأوزاعي رحمه الله، حيث اتهمه بأنه يميل أن ينسب تعامل المسلمين المستمر في عصره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإعطائه السلطة النبوية سواء كانت لديه أحاديث نبوية تؤيده أم لا، و هو يتفق في صنيعه هذا مع العراقيين، و بعبارة صريحة أنه وضع تعامل المسلمين الموجود في عصره في فم النبي صلى الله عليه و سلم زورا و بهتانا، و استند في دعواه على كتاب أبي يوسف في رده على الأوزاعي، حيث ناقش أبو يوسف الأوزاعي في خمسين قضية تقريبا كان الاوزاعي قد اعترض فيها على أبي حنيفة من قبل، و الغريب في الأمر أنه لم يتهم الأوزاعي بهذا الإتهام حتى خصمه أبو يوسف، وهنا نجد "شاخت" يلجأ إلى الكذب و ينسب إلى الأوزاعي الكذب على المصطفى صلى الله عليه وسلم زورا، و الدليل على ذلك الكتاب نفسه و قد ساق الأعظمي ملخص تلك القضايا و ما أسنده إلى النبي صلى الله عليه و سلم و ما أسنده إلى الصحابة و ما أسنده إلى غيرهم، ثم ساقها الأعظمي، و ذكر اتفاق أبي

1- مصطفى الأعظمي، المستشرق شاخت ...، مرجع سابق، ص 259 .

2 – نفسه، ص 265 .

يوسف مع الأوزاعي في ثمانية عشر قضية و اختلافه معه في خمس منها، و على الرغم من اتفاقه مع الأوزاعي في هذه القضايا فإنه يختلف معه في الإستنتاج الفقهي منها في أغلبها.

و يتبين هنا كذب ادعاء شاخت بأن الأوزاعي كان ينسب كل ما وجده في عهده من عمل المسلمين إلى النبي صلى الله عليه و سلم، كما يكذبه أيضا موافقة أبي يوسف للأوزاعي، إذن فمنهج شاخت في هذه النقطة الهامة هو الكذب و يكفيه ذلك منهجا له، و ما قيل عن شاخت في تهمته للسوريين يقال نفسه في تهمته للعراقيين[1] .

هذا بعض ما ساقه المستشرقون من شبهات حول منهج المسلمين في تعاملهم مع السنة و قد نقل الجندي عن السباعي أنه لخّص أهداف المستشرقين على النحو التالي :

– إخضاع النصوص الفكرية التي يفرضونها حسب أهوائهم .

– تحريف النصوص في كثير من الأحيان تحريفا مقصودا .

– إساءة فهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف .

– تحكمهم في المصادر التي ينقلون عنها من الكتب غير المتخصصة في السنة ليحكموا به على السنة[2].

و في الأخير بعد هذه الجولة مع زيهر و شاخت و شبهاتهم حول الوضع و رد العلماء عليهم بالحجة و البيان، و بعد أن ثبت في حقهم الكذب و تحريف الكلام عن حقيقته أيحق لأي قارئ عاقل منصف أن يأخذ على مثل هؤلاء أو يركن إليهم أو أن يتخذ من طريقهم منهجا و أن يدافع عليه؟ بل إني أظن أن هذا الكلام لو اطلع عليه غير المسلمين من الباحثين المنصفين المتحررين من قيود الهوى أن يتبرأ من هذا المنهج الذي أساسه الهوى و التعصب و عدم الأمانة العلمية بل و الإدعاء الكاذب، و حري بنا نحن المسلمون أن نتبع منهج علمائنا رحمهم الله الذي ما بلغ معشاره المستشرقون ولا يكادون .

---

[1]– الأعظمي، المستشرق شاخت ...، مرجع سابق، ص 266–267 .

[2]– أنور الجندي، المستشرقون و السنة ...، مرجع سابق، ص221–222 . و انظر:

– محمد حامد الناصر، مرجع سابق، ص105 .

– خليل أحمد النظامي، عهود متعددة لأفكار المستشرقين و نظرياتهم، الندوة العلمية عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1،عالم المعرفة جدة، المملكة العربية السعودية، 1405هـ/1985م، ص112–113 .

المطلب الرابع :

شبه المستشرقين حول تدوين الحديث و الرد على ذلك :

أقبل المستشرقون منذ بدء الاستشراق على دراسة العلوم الإسلامية بنهم كبير، مركزين في الغالب على ثغرات- في نظرهم- يوجهون منها طعونهم لتضعيف قيمة هذه العلوم و توهين منهج المسلمين فيها، و عرفوا من خلال ممارستهم لأمهات الكتب الإسلامية أن للحديث النبوي أثرا فعالا في تقنين حياة المسلمين وتنظيمها و توجيهها الوجهة الصائبة، وأنه المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم و أنه وثيق الصلة به ...، و قد عرف المستشرقون ذلك فسعوا إلى التقليل من القيمة التشريعية للسنة، و إلى إضعاف مناهجها للتشكيك في طريقة تبلغيها[1].

لذا توجهت سهامهم نحو بدأ تدوين الحديث حتى إذا فرغوا منه تسهل لهم الطريق نحو شبه أخرى كشبهة الوضع ومنهج نقد الحديث و غيرهما، و من أهم شبههم زعم غولد زيهر أن الألوف من الأحاديث النبوية من صنع علماء الإسلام في الطبقات التالية لعصر الصحابة، و هذا يعني أن شيئا منها لم يدون في زمن النبي صلى الله عليه و سلم، و هذا الزعم يردده من المستشرقين أمثال "شبرنجر"[2] و "دوزي"[3]، كما يذهب" شاخت" نفس المذهب فيقول كما نقل ذلك محمد حامد الناصر:" لا صحة لأي حديث مسند إلى النبي صلى الله عليه و سلم، و إن أقدم ما بين أيدينا من أحاديث الأحكام ليَرْجع إلى مائة هجرية ليس إلا "[4]، و يرى نفس الرأي "غولد زيهر" و" شبرنجر" و "دوزي" فإنهم يرون أن تأخر تدوين الحديث الذي بدأ في المائة الثانية

---

[1] – محمد طاهر الجوابي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي، د.ط ، مؤسسة الكريم عبد الله 1406هـ/1986م، ص445 .

[2]– شبرنجر ألويس(1813–1893م): مستشرق نمساوي, رحل إلى لندن و تجنس بالجنسية البريطانية, نال الدكتوراه في الطب في ليدن, ولته الحكومة البريطانية رئاسة الكلية الإسلامية في دلهي, ومن منشوراته البرهان في علوم القرآن للسيوطي، وله سيرة محمد, ونشر كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر .(نجيب العقيقي, المستشرقون, ج 2, ص277–278) .

[3]– نذير حمادو، مرجع سابق، ص5–66.

[4]– محمد حامد الناصر، مرجع سابق، ص114–115.

للهجرة قد أعطى فرصة للمسلمين ليزيدوا أو ينقصوا في الحديث، و وَضْع أحاديث لخدمة أغراضهم[1].

كما ذهب شبرنجر إلى أن السنة انتقلت عن طريق المشافهة[2]، و قد شك زيهر في صحة وجود صحف كثيرة في عهد النبي صلى الله عليه و سلم راميا من وراء ذلك إلى إضعاف الثقة باستظهار السنة و حفظها في الصدور، و هو يرمي أيضا إلى وصف السنة أو أغلبها بالإختلاق و الوضع على ألسنة المدونين، و هو يزعم أن المدونين لم يجمعوا من الأحاديث إلا ما يوافق هواهم، و أما المستشرق "دوزي" فهو ينكر نسبة هذه التركة المجهولة – كما يسميها – من الأحاديث إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أن أصح كتب السنة عند المسلمين لم تسلم من الأحاديث الباطلة المكذوبة[3]، كما استقر رأي "زيهر" على أن القسم الأكبر من الحديث ليس وثيق الصلة بالإسلام في عهده الأول و لكنه أثر من آثار جهود المسلمين لعصر النضوج، فالقسم الأكبر من الحديث في نظره ليس إلا نتيجة للتطور الديني و السياسي و الإجتماعي للإسلام في القرن الأول و الثاني[4].

و لا شك أن دعوى هؤلاء المستشرقين و زعمهم أن الأحاديث النبوية لم تدون في عهد النبي صلى الله عليه و سلم و إنما دونت في عهود متأخرة (أول القرن الهجري الثاني) يؤدي إلى نتائج خطيرة، منها عدم الإطمئنان لصحة ثبوت الأحاديث بل إنعدام هذه الصحة في بعض الأحيان، و ذلك باختراع الوضع و توسيع أبوابه، و من ثَمَّ سقوط الثقة بما جاء عن النبي صلى الله عليه و سلم، أو على الأقل يصبح باب وضع الأحاديث و افترائها على النبي صلى الله عليه و سلم مفتوحا على مصراعيه، و هذا يؤدي بدوره إلى بطلان الإحتجاج بالسنة كمصدر تشريعي، و هذه النتائج كلها هي مراد هؤلاء المستشرقين الحاقدين من سوق مزاعمهم، و تشكيكهم في تدوين السنة و هذه النتائج باطلة جملة و تفصيلا[5] .

---

[1]– أنور الجندي، معلمة الإسلام ...، مرجع سابق، ص07 .

[2]– أنور الجندي، السنة النبوية في مواجهة الإستشراق، مجلة البحوث و الدراسات الإسلامية، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة و السنة النبوية الدوحة، ج2، منشورات المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، محرم 1400هـ، ص13 . و انظر:
– عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص26 .

[3]– أنور الجندي، معلمة الإسلام ...، مرجع سابق، ص07 .

[4]– عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص26 .

[5]– نذير حمادو، مرجع سابق، ص66 .

يقول الدكتور مصطفى الأعظمي:" السبب الرئيسي في نظري الذي دعا الباحثين إلى القول بتأخير تدوين السنة مدة مائة عام أو أكثر، كان مرجعه الأخذ بقول ذاع و اشتهر عندهم و الإعراض أو عدم الإطلاع على الأخبار الكثيرة التي تتعلق بالتدوين المبكر "[1]، و مما ينبغي أن نشير إليه قبل الشروع في رد هذه الفرية وجوب التفريق بين المصطلحات التالية، التدوين، التأليف، التصنيف و الكتابة، و أنه لا تلازم بينهم، كما أشار إلى ذلك الدكتور المطيري بأن هناك فرقا كبيرا بين كلمة التدوين و التأليف و التصنيف من جهة و كلمة الكتابة من جهة أخرى في اللغة العربية، فالكلمـــات الأولى عند الإطلاق تفيد أن هناك كتابا تم تأليفه بين دفتين، حيث يشمل على مجموعة من الأوراق تشكل بمجموعها كتابا واحدا، و التأليف هو جمع مادة مفرقة و ضمها إلى بعض بحيث تصبح كتابا واحدا هو المُؤَلَف، و التصنيف هو التمييز و الترتيب بحيث يكون الكتاب المصنف مقسما على أبواب أو فصول، و أما الكتابة فهي عند الإطلاق لا تفيد إلا مجرد الخط أو الرقم على ورقة أو لوح أو جدار، فيطلق على الورق أو الصحيفة أو الرسالة المكتوبة، فينبغي فهم هذه الألفاظ فهما دقيقا ليسهل معرفة مراد كثير من العلماء القدماء الذين تكلموا في هذا الموضوع[2] .

مما لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه و سلم قد نهى عن كتابة ما يقوله كما ثبت أنه أجاز الكتابة، و أن بعض الصحابة كان يكتب على عهده، فلا بد و الحال هذه من أن يكون النهي عن الكتابة والإذن فيها أسباب ومقاصد[3]، و من خلال طَرْق هذا البحث و الرد على هذا الكلام نرى من خلال الآثار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أن تدوين الحديث مرّ بمراحل منتظمة[4]حققت حفظه و صيانته عن العبث، و قد تظافرت الذاكرة و الأقلام و كانا جنبا لجنب

1- محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي و تاريخ تدوينه، ط3، ج1، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، العمارية الرياض، 1981م، ص72.

2- حاكم عبيسان المطيري، مرجع سابق، ص8-9 . و انظر :

- عبد القهار العاني، مرجع سابق، ص121 .

3- نذير حمادو، مرجع سابق، ص66 .

4- راجع في هذا السياق :

- المطيري، مرجع سابق، ص35-108 .

- نذير حمادو، مرجع سابق، ص76-77 .

في خدمة الحديث الشريف[1]، و كما هو معلوم فإن تدوين أي علم من العلوم إنما يكون بعد وجود هذا العلم، فالتدوين للعلوم مرحلة لاحقة تأتي بعد نشأتها، فالعرب مثلا تعرف قواعد لغتها بالسليقة قبل تدوين النحو... و مبادئ الدستور البريطاني معروفة عند رجال القضاء البريطاني و رجال القانون و الساسة و إن لم يكن الدستور مكتوبا، هكذا علماء الحديث الذين بدءوا التأليف لم يكن هدفهم إثبات أدلة تشريعية، و إنما هدفهم حفظ و جمع الأدلة التي كانت موجودة خوفا من الضياع، كما قام الصحابة بجمع القرآن الكريم في مصحف واحد[2] .

و مما تجدر الإشارة إليه و عمي عنه المستشرقون ما لخصه الدكتور الأعظمي بخصوص النشاط الثقافي في الجزيرة العربية و خاصة في الحجاز صدر الإسلام، أنه كانت هناك مدارس في الجزيرة في العصر الجاهلي يمارس فيها التعليم، و على نطاق ضيق في مكة و الطائف و المدينة و الأنبار و الحيرة و دومة الجندل، وكانت تعقد الكتاتيب للمدرسة و لكن على مستوى بسيط جدا[3]، يقول ابن خلدون: "و قد رأيت في كتاب التكملة لابن الأبار عند التعريف بابن فروخ القيرواني الفاسي الأندلسي من أصحاب مالك رضي الله عنه، و اسمه عبد الله بن فروخ بن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبيه قال: قلت لعبد الله بن عباس يا معشر قريش خبروني عن هذا الكتاب العربي هل كنتم تكتبونه قبل أن يبعث الله محمدا تجمعون منه ما اجتمع و تفرقون منه ما افترق، مثل الألف و اللام و الميم و النون؟ قال: نعم، قلت: و ممن أخذتموه، قال من حرب بن أمية، قلت: و ممن أخذه حرب؟ قال: من عبد الله بن جدعان، قلت: و ممن أخذه بن جدعان؟ قال: من أهل الأنبار، قلت: و ممن أخذه أهل الأنبار؟ قال: من طارئ عليهم من أهل اليمن، قلت: و ممن أخذه ذلك الطارئ؟ قال: من الخلجان بن القسم كاتب الوحي لهود عليه السلام"[4]، و عندما انبثق نور الرسالة المحمدية كان من قريش تسعة عشر رجلا كلهم يكتبون و هذا ما استبعده مصطفى الأعظمي، و ذلك بالنظر إلى موقع مكة الجغرافي و التجاري

---

[1]- أحمد بن عبد العزيز آل مبارك، المنهج العلمي في تدوين الحديث النبوي، ط1، ج3، البحوث المقدمة للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة و السنة النبوية، منشورات المكتبة العصرية الدوحة، 1400هـ/1981م، ص262 .

[2]- المطيري، مرجع سابق، ص30 .

[3]- مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث ...، مرجع سابق، ص44 .

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة، و هي مقدمة لكتابه المسمى العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، دار الكتب العلمية، 1993م، ص329-330 .

و مركزها الديني، يعني أن عددهم كان يفوق ذلك بكثير، و مما يسترعي الإنتباه وجود عدد من النساء الكاتبات منهن أم المؤمنين حفصة و أم كلثوم بنت عقبة و الشفاء بنت عبد الله و عائشة بنت سعد و كريمة بنت المقداد، و يضاف إلى هذه القائمة أم المؤمنين عائشة و أم سلمة فقد كانتا تقرآن و لكنهما لا تكتبان على الأغلب[1]، و المتصفح لكتب السنة و دواوينها الكبيرة يجد كثيرا من الصحف كانت متداولة بين أيدي الصحابة رضوان الله عليهم، و لا شك أن الكتابة انتشرت في عهد النبي صلى الله عليه و سلم أوسع مما كانت عليه في الجاهلية لأن القرآن حثهم على العلم و التعلم[2]، و على الرغم من هذا فقد كان الصحابة رضي الله عنهم أصحاب ذاكرة متوقدة لاعتمادهم على ملكاتهم في الحفظ و قوة شأنهم فيه، و اعتبر ذلك بحالهم في الجاهلية، فقد حفظوا أنسابهم و مناقبهم و أشعارهم و خطبهم ... و كأن الله تعالت قدرته هيأ لهذه الأمة العربية هذا الاستعداد الهائل إرهاصا لنبوة محمد صلى الله عليه و سلم، و كانت هذه الصدور الحافظة مهدا لآي الذكر الحكيم، و كانت هذه القلوب الواعية أوعية لأحاديث النبي صلى الله عليه و سلم[3]، و ذلك أن الحفظ لا يكون في الغالب إلا مع الفهم و إدراك المعنى و التحقق منه، حتى يستعين بذلك على عدم نسيان اللفظ، ثم إنه يحمل المرء على مراجعته مع حفظه و استذكاره حتى يأمن من زواله، ثم إن محفوظه يكون معه في صدره في أي وقت و مكان، و لا يكلفه ذلك إعمال المؤن و لا المشقة، بخلاف الكتابة فإنها كثيرا ما تكون بدون فهم المعنى عاجلا و آجلا أو سببا في عدم الفهم في الحال اعتمادا على ما سوف يفهم فيما بعد، و قد تضيع عليه الفرصة في المستقبل بضياع المكتوب أو عدم وجوده معه عند الحاجة، و مما يرشدك إلى ما قررنا قول إبراهيم النحغي:" لا تكتبوا فتتكلوا "، و قول الخليل بن أحمد :

ما العلم ما حوى القمطر   ما العلم إلا ما حواه الصدر

و قول منصور الفقيه :

1– مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث ...، مرجع سابق، ص47 .

2– أحمد بن عبد العزيز آل مبارك، مرجع سابق، ص260 .

3– محمد أبو الزهو، الحديث و المحدثون، دار الكتاب العربي، 1984م، ص49–50 . و انظر :

– مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث. . .، مرجع سابق، ص74 .

– المطيري، مرجع سابق، ص11–12 .

– أحمد بن عبد العزيز آل مبارك، مرجع سابق، ص259–260 .

– علي نايف البقاعي، مرجع سابق، ص65.

علمـــي معـــي حيثمـــا يممـــت أحمله   بطنـــي وعاء لـــه لا بطـــن صنـــدوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي   أو كنت في السوق كان العلم في السوق[1]

فكيف و أن الحقيقة أن الذاكرة تظافرت مع الأقلام لحفظ سنة المصطفى صلى الله عليه و سلم و كانا جنبا لجنب في تدوين الحديث النبوي و تدوينه[2] .

و قد اختلف العلماء في جواز الكتابة و عدم جوازها بناءً على الأحاديث التي بدت متعارضة في ذلك، فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه و سلم نهى عن الكتابة في أول الأمر، وبرر الحافظ ابن حجر عدم التدوين و الترتيب أن الصحابة نُهوا عن ذلك خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن الكريم، و ثانيها لسعة حفظهم و سيلان أذهانهم و لأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة، ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار و تبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار[3]، و ينبغي حمل كلام ابن حجر على ما مضى في مبحث التفريق بين مصطلحات المحدثين و كذا الفروق اللغوية المعروفة بين التدوين و الكتابة و التصنيف[4]، و يستبعد أن يعزب عن ذهن الحافظ ابن حجر وجود الكتابة و صحف كثيرة في أيدي الصحابة، رغم ذلك نجد الدكتور الأعظمي يميل إلى أن الراجح من كلام ابن حجر إنكار الكتابة إلى أواخر عصر التابعين، كما هو الظاهر من كلامه آنفا فيقول أن هذا لا يمكن قبوله البتة[5]، و هذا بعيد جدا و إن كان ذلك المتبادر إلى الذهن من كلامه رحمه الله[6].

فإذا استعرضنا الأحاديث التي نهت عن كتابة الحديث نجدها تعد على أصابع اليد، و لم يسلم منها حديث من طعن أو تأويل، و كل هذه الروايات المانعة أو المبيحة لكتابة الحديث أوردها الخطيب البغدادي في كتابه الفذ تقييد العلم[7]، و الذي اكتشف هذا الكتاب المستشرق الألماني

---

[1]– عبد الغني عبد الخالق، حجيـــة السنـــة، ط1، دار القرآن الكريم ألمانيا الغربية–شتوتغارت، 1986م، ص405–407 .

[2]– أحمد بن عبد العزيز آل مبارك، مرجع سابق، ص262 .

[3]– ابن حجر العسقلاني، هدي الســـــاري، و هي مقدمة كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري، عن الطبعة التي حقق أصلها عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبها و أبوابها و أحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، دار التقوى، مكتبة العلم– القاهرة، 2000م، ص6 . بتصرف.

[4]– المطيري، مرجع سابق، ص73 .

[5]– مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث ....، مرجع سابق، ص73 .

[6]– راجع : – ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ....، مصدر سابق، ج1، ص255 .

[7]– الخطيب البغدادي، تقييـــد العلـــم ....، مصدر سابق، ص16، ص29 –57. و انظر :

"شبرنجر" SPRENGER عام 1855م، فعقد مقالا موسعا نقل فيه نصوصا منه يثبت أن الحديث كتب منذ عصر الرّسول صلى الله عليه و سلم، و قد تكلم الأعظمي على هذه الروايات فأفاد و أجاد[1]، و لم يصح من هذه الأحاديث إلا الذي يرويه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:" لا تكتبوا عني و من كتب عني غير القرآن فليمحه و حدثوا عني و لا حرج و من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "[2]، و أما أحاديث إباحة الكتابة فهي كثيرة جدا منها ما رواه البخاري عن أبي جحيفة قال قلت: لعلي هل عندكم كتاب؟ قال: لا إلا كتاب الله أو فهم يعطاه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة، قال قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل و فكاك الأسير و لا يقتل مسلم بكافر"، و منها حديث أبي هريرة فجاء رجل من أهل اليمن فقال: أكتب لي يا رسول الله، فقال:" أكتبوا لأبي فلان " أي كتابة الخُطبة التي سمعها من رسول الله، و منها إرادة كتابة النبي صلى الله عليه و سلم كتابا للمسلمين قبيل وفاته، و قول أبي هريرة رضي الله عنه:" ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثا مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب و لا أكتب "[3]، و الصحيفة التي عقدتها قريش ضد بني هاشم[4]، و الكتاب الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه و سلم في عقد الألفة بين المهاجرين و الأنصار و موادعة اليهود[5]، و كتاب الصدقات الذي فصّل فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم مقادير الزكاة، و صحيفة عمرو بن حزم نحو ثلاثة أوراق فيها تفاصيل دقيقة عن الجنايات و الديات[6]، هذا غير الكتب التي كتبها رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى ملوك الآفاق يدعوهم إلى الإسلام[7]، إضافة إلى وجود عدة صحف أخرى كانت بأيدي الصحابة

– السيوطي، تدريب الراوي ....، مرجع سابق، ص25 .

1– مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث ....، مرجع سابق، ص76 .

2– شرف الدين النووي، المنهاج ....، مصدر سابق، ج9، ص425 . و انظر :

– الخطيب البغدادي، تقييد العلم ....، مصدر سابق، ص30 .

3– انظر : – ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ....، مصدر سابق، مج1، ص250–255 .

– الخطيب البغدادي، تقييد العلم ....، مصدر سابق، ص65–86 .

4– إسماعيل بن كثير، البدايـــة و النهايـــة، ط1، مج3، مكتبة الصفا، 2003م، ص79 .

5– نفســه، مج3، ص181 .

6– المطيري، مرجع سابق، ص36–37 .

7– إسماعيل بن كثير، مصدر سابق، مج4، ص216–225 .

رضي الله عنهم و تناقلت عنهم و ذابت في مؤلفات متأخرة[1]، من أشهرها الصحيفة الصادقة التي كانت عند عبد الله بن عمرو[2]، و التي تحتوي على أكثر من ألف حديث، و صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري التي يقول فيها قتادة بن دعامة أنه يحفظها و يعتني بها أكثر من غيرها[3]، و صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة [4]، و كان لأنس و عبد الله بن عباس و عبد الله بن مسعود صحائف، فإذا جمعت هذه الصحف في مجاميع كونت العدد الأكبر من الأحاديث التي جمعت في المجاميع و المسانيد و السنن في القرن الثالث[5].

و اختلف العلماء في التوفيق بين أسباب النهي عن الكتابة و إباحتها، لذا ذهبوا مذاهب شتى في التوفيق بينها، مع اتفاقهم على أن الكتابة كانت موجودة على عهد النبي صلى الله عليه و سلم، و لا يهمنا كثيرا أن نجتهد في بيان هذه الأسباب بل نشير إليها إشارة عابرة، لأن مبتغانا هو إثبات أن الكتابة و التوثيق للسنة النبوية كان في عصر مبكر، عكس ما ذهب إليه المستشرقون بأنه لم يدون إلا في النصف الثاني من القرن الثاني كما ذهب إليه شاخت و موير*، أو أن الأسانيد تم اختلاقها في القرن الثاني و تم تركيبها لأحاديث مختلفة و نسبت لشخصيات و مراجع عليا لترويجها[6]، فملخص ما ذهب إليه علماؤنا رحمهم الله :

– النهي خاص بنزول القرآن خشية التباسه بغيره .

---

[1]– الجندي، السنة النبوية ...، مرجع سابق، ص14–15 .

[2]– الخطيب البغدادي، تقييد العلم ...، مصدر سابق، ص84 .

[3]– عبد القاهر العاني، مرجع سابق، ص121 .

[4]– طبعت عدة مرات بتحقيق حميد الله، وترجمت إلى اللغة الإنجليزية ونشرت أول ما نشرت من قبل المجمع العلمي العربي بدمشق . أنظر :

– مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث ...، مرجع سابق، ص99 .

[5]– الخطيب البغدادي، تقييد العلم ...، مصدر سابق، ص64 . وانظر:

– عبد القاهر العاني، مرجع سابق، ص92–117 .

– الجندي، السنة النبوية ...، مرجع سابق، ص14–16 .

*– – موير (1819–1905): مستشرق و مبشر إنجليزي، ولد في غلاسغوا عني بالتاريخ الإسلامي و كان شديد التعصب للمسيحية، نشر عدة مقالات في مجلة كلكتا تناول فيها تاريخ العرب قبل الإسلام و مصادر السيرة النبوية و حياة النبي قبل الهجرة، وكلها كتبها بروح متعصبة خالية من الموضوعية لأجل أهداف تبشرية، و من كتبه حياة محمد، تاريخ الإسلام، حوليات الخلافة، القرآن تأليفه و تعاليمه، الجدل مع الإسلام، أنظر :– عبد الحميد صالح حمدان، مرجع سابق، ص203.

[6]– المطيري، مرجع سابق، ص11 . و انظر :

– الخطيب البغدادي، تقييد العلم ...، مصدر سابق، ص93–94 .

- النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد و الإذن في تفريقهما .
- النهي متقدم و الإذن ناسخ عند الإلتباس .
- النهي خاص بمن خشي الإتكال على الكتابة دون الحفظ، و الإذن لمن أمن منه ذلك.
- أن حديث أبي سعيد موقوف عليه كما قال البخاري[1].
- المشقة الكبيرة في تدوين كل السنة و أن النهي فيه تيسير على الصحابة .
- لو دونت السنة مع القرآن لفتح باب عريض للتشكيك في القرآن[2] .
- قلة الكتّاب دعت إلى اعتنائهم بالكتاب بدل السنة من باب تقديم الأهم على المهم[3].

و الذي يهدي إليه النظر في هذه المسألة أن الكتابة لا ينهى عنها لذاتها لأنها ليست من القضايا التعبدية التي لا مجال للنظر فيها، و على هذا فلا بد من علة يدور عليها الإذن و المنع في آن واحد، و العلة في اختيار المحققين هي خوف الإنكباب على درس غير القرآن، و ترك القرآن اعتمادا على ذلك، و الذي نصر هذا القول الرامهرمزي و الخطيب البغدادي و بن قتيبة الدينوري و أحمد شاكر[4]، ثم زال ذلك الخلاف و أجمع المسلمون على تسويغ الكتابة و لو لا تدوينه في الكتب لدرس في العصور الأخيرة[5]، و بذلك يمكن أن يقال أن ما ثبت من الأحاديث و ما احتوت عليه مجاميعها و مسانيدها قد كتب و دوّن في عصر الصحابة قبل أن يدوّن الموطأ و الصحاح بكثير، و لم ينتصف القرن الثاني حتى نشطت حركة تدوين الحديث على يد علماء ذلك العصر[6]، و إن كان بعض العلماء يُرجعون التدوين الرسمي للسنة بأمر عمر بن عبد

1- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ....، مصدر سابق، ج1، ص255 .

2- أحمد بن عبد العزيز آل مبارك، مرجع سابق، ص261 .

3- عبد الغني عبد الخالق، مرجع سابق، ص428 .

4- الخطيب البغدادي، تقييد العلم ....، مصدر سابق، ص93-94 . و انظر :
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ....، مصدر سابق، ج1، ص255 .
- أنور الجندي، معلمة الإسلام ....، مرجع سابق، ص8 .
- نذير حمادو، مرجع سابق، ص75 .

5- أبو عمرو عثمان بن الصلاح الشهرزوري، المقدمة في علوم الحديث، تحقيق مصطفى البغى، دار الهدى عين مليلة- الجزائر، ص104 .

6- أحمد بن عبد العزيز آل مبارك، مرجع سابق، ص275-276 . و انظر :
- نذير حمادو، مرجع سابق، ص77-78 .

العزيز للزهري على رأس المائة، و كما لم تضف المصاحف التي كتبها عثمان للأقاليم شيئا جديدا لأن المسلمين كانوا يحفظون القرآن، فكذلك تدوين عمر للسنة لم يضف شيئا جديدا[1].

و بهذه الأدلة و الأقوال مجتمعة لا يبقى لدى المستشرقين مقال في أن السنة النبوية لم تدون إلا في عهود متأخرة أي حظ من دليل ثابت أو حجة قوية، و من ثمة فإن ما راموا إليه من التشكيك في الأحاديث و نسف أسانيدها مبني على غير أساس أو أثارة من علم[2]، و أخير فإن حركة التدوين كانت في الواقع حركة لإنقاذ العلم الإسلامي الذي لم يكن عند القوم غيره، وكانوا إنما يعتمدون فيه على الحفظ و الإستظهار، فلما أسرع الموت إلى رجاله و نقلته و خاف الخليفة الأول من جراء ذلك على هذا العلم على القرآن من الضياع لمّا استحر القتل في الصحابة فأمر بجمع المصحف[3]، و الأدلة على هذا متوفرة في كتب أهل العلم، ومن أراد الاستزادة فليرجع إليها في محلها .

<u>المطلب الخامس</u> :

شبه المستشرقين حول منهج النقد عند المسلمين والرد على ذلك:

هناك أمور جوهرية توسع هوة الخلاف بين نظر المستشرقين للدين الإسلامي و بين نظر علماء المسلمين، ففي حين أن المسلمين يعتقدون أن الإسلام رسالة إلهية أزلية أبدية، نجد المستشرقين يعتبرون الإسلام ظاهرة بشرية تخضع لما تخضع له الظواهر الإنسانية من نواميس و قواعد على اختلاف بينهم في تقدير عظمة هذه الظاهرة و مدى أصالتها و أثرها في تاريخ الإنسانية على اختلاف درجاتهم في الإحاطة بمادة الموضوع و فهمهم لها و استعابهم لمعانيها و أبعادها، و دقتهم في تناولها و أمانتهم في استنتاج النتائج منها[4]، و من الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون و متابعوهم جاءت من أنهم لم يستكنهوا الأمور و لم يصلوا إلى الأعماق و الجذور و لم يستشفوا ما وراء الظواهر، و لم يتمثلوا حق التمثل البيئة

1– المطيري، مرجع سابق، ص30 .

2– نذير حمادو، مرجع سابق، ص77 .

3 – عبد الله كنون، مرجع سابق، ص74.

4– محمد توفيق حسن، <u>الفرق بين منهج الغربيين و منهج المسلمين</u>، عالم الفكر، مج10، العدد1، وزارة الإعلام–الكويت، أفريل 1979م، ص243–244 .

و العصر و الملابسات التي جمعت فيها الأحاديث، و الصفات التي كانت من ملازمات أئمة الحديث من دين و علم و تثبت و حذر بالغ و أمانة فائقة و مراقبة لله في السر و العلن[1].

و عليه فإن ادعاء الإلتزام بالمنهج العلمي للمستشرقين قد خالفه الواقع الذي هم عليه، يقول الجندي نقلا عن إيتيان دينيه:" أنه من العسير أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم و نزعاتهم عندما يؤرخون حياة الرسول أو يدرسون سنته... و أنه من المستحيل أن يتحرروا من ذلك، و قد بلغ تحريف بعضهم لسيرة محمد صلى الله عليه و سلم مبلغا غطى على الواقع و أخفى الصورة الحقيقية و ذلك بالرغم مما يزعمه المستشرقون من اتباعهم لأساليب النقد البريئة و لقوانين البحث العلمي المحايد"[2]، و ما يؤكد قول دينيه نظرة بسيطة عن الأحكام التي يصدرها المستشرقون على الأحاديث النبوية، فمثلا يقول زيهر:" أن الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها وقف حيالها لا يحرك ساكنا، و لقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الإعتراف بالكتب الستة أصولا، وكان ذلك في القرن السابع الهجري، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجري أنواعا من الأحاديث كانت مبعثرة رأوها أحاديث صحيحة، و منها الصحيحان صحيح البخاري و صحيح مسلم، و هما المرجعان الصحيحان لسنة الرسول صلى الله عليه و سلم، وقد ضم إليهما أيضا كمراجع معتبرة سنن أبي داود و سنن النسائي و الترمذي و ابن ماجه، و إن تكن في ذلك قد لاقت بعض الإعتراضات، وكانت كتب مالك بن أنس التي بها عادات المدينة- وطن السنة- معتبرة، و لكن ذلك ليس من وجهة الحديث"[3]، و هو بهذا يريد أن يطبق نظرته على قبول الأحاديث و ردها، و أن علماء المسلمين جعلوا هذه الكتب مراجع دون تمحيص و تحقيق، بل أكثر من ذلك فإن المستشرق كايتاني الذي كتب على حياة الرسول صلى الله علية و سلم و كثير ممن تتلمذوا عليه كانوا يتبنون أفكارا مسبقة ثم يجيئون إلى وقائع التاريخ لكي يسلوا منها ما يؤكد فكرتهم و يستبعدوا ما دون ذلك، و كان" كايتاني" إذا أراد فكرة وضع رأيه قبل الشروع في تدوينها، فإذا شرع بها استعان بكل الأخبار التي ظفر بها ضعيفة كانت أو قوية و تمسك بها

1- أبو شهبة، مرجع سابق، ص7 .

2- أنور الجندي، السنة النبوية ...، مرجع سابق، ص12.

3- غولد زيهر، مرجع سابق، ص41-42 .

كلها و لا سيما ما يلائم رأيه[1]، و مما أوقعهم أيضا في الخطأ جهلهم باللسان العربي إذ أن معظمهم تلقوا تكوينهم بلغة أوروبية و رغم هذا فقد وجد منهم من يقول أنه سيقوّم لغة القرآن الكريم[2].

لقد اهتم المسلمون اهتماما بالغا بالسند باعتباره أساس الحديث، و كان اهتمامهم بالرواية و الراوي و المروي عنه، أن نظروا في أمرين هامين هما ركنا الرواية لا تتحقق إلا بهما، الأول تحمل الحديث والأمر الثاني أدائه، و لقد اشتمل هذا الإهتمام ما يكون من طرق التحمل و صيغة متعددة وكيفية ذلك كله, و إلى أي حد يكون القبول أو الرد, أما الأمر الثاني فطرق التحمل وإن كان أكثرها قد أصبح الآن ذا قيمة تاريخية فحسب, غير أنه يضع أيدينا على تلك الحلقة الأمينة من سلسلة العناية برواية الحديث الشريف والدقة في رسم المعالم لتحمله وتحديد الوجوه الممكنة لأدائها, ثم الحكم على كل صيغة يكون بهذا الأداء[3] .

كما زعم "غولد زيهر" أن للمحدثين قوالب جاهزة وهي ما يعرف بنظام الإسناد فقال:" نقد الأحاديث عند المسلمين قد غلب عليه الجانب الشكلي منذ البداية فالقوالب الجاهزة هي التي يحكم بواسطتها على الحديث بالصحة وغيرها...، لذلك فإني أشك في قيمة الإسناد"، كما ادعى الشكلية في طريقة دفع التعارض بين الأحاديث فقال:" إذا ما رويت أحاديث متناقضة بأسانيد صحيحة، فإن المحدثين يسعون إلى تضعيف سلاسل الإسناد ببعضها حتى لايبقى عندهم إلا حديث واحد يمتاز سنده بالصحة"، كما وصف طرق الترجيح بين الأحاديث ذات الأسانيد الصحيحة بالشكلية، وأنها ترجع إلى ذوق الناقد[4]، وللرد عليه لابد من إلقاء نظرة على قوانين ضوبط عند المسلمين.

<u>ضوابط المسلمين في الرواية</u> :

إن رواية الحديث في الأصل تكون باللفظ وقد تكون بالمعنى، وقد اختلف العلماء في جواز نقل الحديث بالمعنى، فقالت طائفة إن لم يكن عالما بما يرويه لم تجز له الرواية أبدا،

1- كما نقل ذلك: – توفيق يوسف الواعي، مرجع سابق، ص140 .

2- عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، <u>مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن</u>، مجلة الشريعة، العدد38، ص136 .

3- محمد أديب صالح، <u>لمحات في أصول الحديث</u>, ط5, المكتب الإسلامي– بيروت, 1988م, ص 340.

4- محمد طاهر الجوابي، مرجع سابق، ص450 .

وإن كان عالما بما يرويه فإن جمهور العلماء جوز ذلك، بشرط أن يكون الراوي أدى المعنى، و هذا هو الصواب الذي تقتضيه أحوال الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم في نقلهم القضية الواحدة بألفاظ مختلفة[1] .

و بالنسبة لرواة الحديث فإن الإمام الذهبي رحمه الله تعالى يجعلهم على ثلاث طبقات، المقبولون و المردودون ومن فيه قبول ورد، فأما العبارات المصطلح عليها في المقبولين فهي ثبت حجة، ثبت حافظ، ثقة متقن، وثقة ثقة، ثم صدوق، ولا بأس به، وليس به بأس، ثم محلة صدق، وجيد الحديث، و صالح الحديث، و شيخ وسط، و شيخ حسن الحديث، و صدوق إن شاء الله، و صويلح و نحو ذلك، و أما عبارات الجرح فهي دجال، كذاب أو وضاع يضع الحديث، ثم متهم بالكذب، و متفق على تركه، ثم متروك ليس بثقة، و سكتوا عنه، و ذاهب الحديث، وفيه نظر، وهالك، وساقط، ثم واه، ....، وليس بشيء، و ضعيف جدا، وضعفوه، ضعيف واه، ومنكر الحديث ونحو ذلك، وأما عبارات من جمع بين الضدين فيه مقال، تكلم فيه، لين، سيء الحفظ، لا يحتج به، اختلف فيه، صدوق لكنه مبتدع ونحو ذلك[2]، ونستطيع القول أن صحة الحديث مبنية على صحة السند، وثبوت قول الصحابي يتوقف على ثقة رجال السند إليه والعلم بثقتهم يتوقف على توثيق بعض أئمة الجرح و التعديل لكل منهم، و الإعتداد بتوثيق الموثق يتوقف على العلم بثقته في نفسه وأهليته ثم على صحة سند التوثيق إليه، وثقته في نفسه تتوقف على أن يوثقه ثقة عارف، وصحة سند التوثيق تتوقف على توثيق بعض أهل المعرفة و الثقة لرجاله و هلم جرا[3]، ولم يتوقف منهج

1– شرف الدين النووي، ما تمس إليه حاجة القارى لصحيح الإمام البخاري، تحقيق علي حسن عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ص 93.

2– شمس الدين الذهبي، ميزان الإعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، ج1، دار المعرفة بيروت لبنان، 1382هـ/1963م، ص3–4. و انظر:

– أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نزهة النظر ...، مصدر سابق، ص78–88.

– جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ألفية السيوطي...، مصدر سابق، ص113–114.

3– عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من أباطيل، ط2، ج1، المكتب الإسلامي، 1986م، ص 181– 182 وانظر:

–عزية على طه، صور من إفتراءات المستشرق جراهام على الأحاديث القدسية، مجلة الشريعة، العدد 21، ديسمبر 1993، ص 124.

العلماء في السند على هذا بل اشترطوا أيضا الأمانة في نقل أسماء الرواة فلا يزيد الراوي في نسب أو صفة على ما سمع من شيخه و إلا يكون كاذبا على شيخه، إلا إذا ذكره للتبيين كأن يقول حدثنا فلان –هو ابن فلان أو يعني ابن فلان– أو هو الفلاني وما أشبه ذلك[1]، ولو ذهبنا للتفصيل في الشروط التي وضعها العلماء لقبول رواية الراوي لطال بنا المقام، ومن ذلك أيضا أن الأحاديث الصحيحة التي تدور على الثقات الضابطين الذين ضعّفوا لأحد الأسباب، فإن لها ضوابط قد قسمها ابن رجب إلى ثلاثة أقسام، الأول من ضعف حديثه في بعض الأوقات دون بعض وهم الثقات الذين اختلطوا في آخر عمرهم وهم متفاوتون في تخليطهم وذكر منهم جماعة، الثاني من ضعف حديثه في بعض الأماكن دون بعض وهو على ثلاثة أضرب :

أ– من حدّث في مكان لم يكن معه فيه كتبه فخلط وحدث في مكان آخر من كتبه فضبط وذكر منهم جماعة.

ب– من حدث عن أهل مصر فحفظ حديثهم وحدث عنه غيرهم فلم يحفظ وذكر منهم جماعة.

ج– من حدث عنه أهل مصر فحفظوا حديثه وحدث عنه غيرهم فلم يقيموا حديثه وذكر منهم جماعة.

الثالث قوم ثقات في أنفسهم لكن حديثهم عن بعض الشيوخ فيه ضعف بخلاف حديثهم عن بقية شيوخهم ومنهم جماعة من الرّواة[2].

ومن صور مناهج العلماء في ضبط السند أن يتقيد الرّاوي بشروط الرواية وأن لا يحمله حرصه على الطلب في التساهل في السماع من أي كان، لأن شهوة السماع لا تنتهي ونهمة الطلب لا تنقضي والعلم كالبحار التي يتعذر كيلها والمعادن التي لا ينقطع نيلها[3]، كما أن كون رجال الإسناد من رجال الصحيح لا يلزم من كون الحديث الوارد صحيحا لاحتمال أن

1– النووي، ما تمس إليه حاجة القاري ...، مصدر سابق، ص97 .

2– ابن رجب، مصدر سابق، ج2، ص 552. وانظر:

– الأعظمي، مرجع سابق، ص107– 109.

3– محمد محمد السماحي، المنهج الحديث في علوم الحديث، ط1، المكتبة العصرية، بيروت–صيدا، ص272 .

يكون فيه شذوذ أو علة[1]، و أن السعي في توثيق رجل واحد بغير حق أو الطعن فيه بغير حق سعي في إفساد الدين بإدخال الباطل فيه أو إخراج الحق منه[2]، وعلى هذا فليس نقد الراوي بالأمر الهين لذا فقد قال أبو حاتم الرازي: " فإن الناقد لا بد أن يكون واسع الإطلاع على الأخبار المروية عارفا بأحوال الرواة السابقين وطرق الرواية خبيرا بعوائد الرواة ومقاصدهم وأغراضهم وبالأسباب الداعية إلى التساهل والكذب والموقعة في الخطأ والغلط، ثم يحتاج إلى أن يعرف أحوال الراوي متى ولد وبأي بلدة وكيف هو في الدين والأمانة والعقل والمروءة والتحفظ، ومتى شرع في طلب العلم ومتى سمع وكيف سمع ومع من سمع وكيف كتابه، ثم يعرف أحوال الشيوخ الذين يحدث عنهم وبلدانهم و وفياتهم وأوقات تحديثهم وعاداتهم في التحديث، ثم يعرف مرويات الناس عنهم ويعرض عليها مرويات هذا الراوي ويعتبر بها، إلى غير ذلك مما يطول شرحه، ويكون مع ذلك متيقظا مرهف الفهم دقيق الفطنة مالكا لنفسه لا يستميله الهوى ولا يستفزه الغضب ولا يستخفه بادر ظن حتى يستوفي النظر ويبلغ المقر، ثم يحسن التطبيق في حكمه فلا يجاوز ولا يقصر، وهذه المرتبة بعيدة المرام عزيزة المنال لم يبلغها إلا الأفذاذ، وقد كان من أكابر المحدثين وأجلهم من يتكلم في الرواة فلا يعول عليه ولا يلتفت إليه"[3]، فهل هذه الشروط التي جعلها العلماء لضبط رجال السند يقال عنها أنها إعتباطية و شكلية أم أنه علم قائم بذاته .

ومن الأمور المهمة جدا في ضبط أسماء رواة الحديث معرفة التاريخ الذي يعتبر من المهمات، والباحث الناظر في هذا الفن يحتاج إلى معرفة المواليد و الوفيات و من أخذوا عنه ومن أخذ عنهم، ومن فوائد معرفة التاريخ الأمن من تداخل المشتبهين في اسم أو كنية و نحو ذلك، فلا يشتبه عليه من اتفقت أسماؤهم وهم من طبقات عدة، و يمكن من خلاله أيضا الإطلاع على تبيين التدليس والإرسال الخفي بمعرفة من أدرك منهم من فوقه و من لم يدرك، كما نستطيع الوقوف على حقيقة المراد من العنعنة أهي محمولة على الإتصال أم هي مفيدة للإنقطاع؟ و يعرف من هم كبار الصحابة ومن هم صغارهم وكذلك يعرف التابعين

1- ابن حجر العسقلاني، النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق ربيع بن هادي، ط1، مج1، دار الراية، 1417هـ، ص274 .

2- عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، مرجع سابق، ص182 .

3- الرازي، الجرح و التعديل ...، مصدر سابق، ص5 .

وأتباعهم[1]، فأنت ترى هنا بعض الضوابط لمعرفة صحة السند من عدمها ويظهر جليا أنه منهج علمي محكم، إذ أن هذه القواعد المعقدة لقبول الحديث تمنع من دخول الكذب و إختلاطه بالحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه و سلم، و قد سئل الإمام ابن القيم عن إمكانية معرفة الحديث الموضوع من غير أن ينظر في سنده فقال:" إنما يعرف ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة و اختلطت بدمه ولحمه، وصار له فيها ملكة و اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ومعرفة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهديه فيما يأمر به و ينهى عنه و يخبر به و يدعو إليه و يحبه و يكرهه، و شرعه للأمة, بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه و سلم كواحد من أصحابه الكرام، فمثل هذا يعرف من أحوال الرسول صلى الله عليه و سلم و هديه وكلامه وأقواله وأفعاله وما يجوز أن يخبر عنه وما لا يجوز أن يخبر عنه مما لا يعرف غيره، وهذا شأن كل متبع مع متبوعه فإن للأخص به الحريص على تتبع أقواله وأفعاله من العلم بها والتمييز بين ما يصح أن ينسب إليه وما لا يصح"[2]، وذكر في موضع آخر أن هناك أمورا كلية لمعرفة كون الحديث موضوع أم لا، منها مجازفات في الوعد و الوعيد التي لا يقول مثلها رسول الله صلى الله عليه و سلم، و منها تكذيب الحس للحديث الموضوع، و منها سماجة الحديث تدل على وضعه و كونه مما يسخر منه، و منها مناقضة الحديث الموضوع للسنة الصحيحة، فكل حديث يشتمل على فساد أو ظلم أو عيب أو مدح باطل أو ذم حق أو نحو ذلك فرسول الله منه برئ، و منها أن الحديث الموضوع لا يشبه كلام الأنبياء و هو بكلام الأطباء والحكماء أشبه[3] .

إن المستقرئ لما ذكر أعلاه يستنتج أن علماء الإسلام إنما أولوا اهتماما كبيرا للحديث النبوي الشريف حفظا و تدقيقا و استقصاءً للمتن و السند على حد سواء، و نحن إنما سقنا بعض الصور من هذا المنهج و لو جئنا لمحاولة استقصائه و تتبع أقوال العلماء فيه لتطلب

1- محمد محمد السماحي، مرجع سابق، ص16-17 . و انظر :
- عزية طه، مرجع سابق، ص126 .
- أنور الجندي، معلمة الإسلام ...، مرجع سابق، ص8-12 .

2- ابن قيم الجوزية، نقد المنقول و المحك المميز بين المردود و المقبول، تصحيح حسن السماحي سويدان، ط1، دار القادري-بيروت، 1990م، ص32-33 .

3- نفســـه، ص40-57 .

الأمر كتبا ضخمة، و إن ما ألفه العلماء في هذا الميدان ليعطي صورة صادقة على اهتمامهم بهذا العلم الشريف و المحافظة عليه صافيا نقيا.

ومن هنا نعلم مدى دقة منهج علماء الحديث في نقد الراوي والمروي[1]، وشدة تحريهم في ذلك، وإلى أي مدى أخفقت زوبعة المستشرقين لأنها مبنية على مواقف مشحونة بالعداء للإسلام وأهله ولا تمت لمنهج البحث العلمي بصلة وثيقة, ورغم ذلك فقد أصاب غبار هذه الزوبعة بعض المفكرين المسلمين ممن تعرض لها دون علم راسخ متين وهذا ما سنتعرض له في الفصل القادم بإذن الله .

[1]– يراجع في هذا رسالة محمد طاهر الجوابي فإنها مهمة في بابها.

الفصــــل الرابع :

أهم المفكرين الذين تأثروا بشبه المستشرقين و نبذة عن حياتهم .

مبحث تمهيدي :

المبحث الأول: ضرورة إيجاد البديل عن كتب المستشرقين :

لقد تبين من الدراسات الواعية مدى خطر الإستشراق على الفكر الإسلامي و أنه يمثل استخفافا واضحا بماضينا و حاضرنا و مستقبلنا, ولقد قدّم المستشرقون كتابات أعطوها صفة العلم في مختلف المسائل الإسلامية تدرّس في بعض الجامعات على أنها صورة صحيحة لما جاء في الشريعة الإسلامية من أحكام و قواعد، مما جعل شبابنا المثقف وحتى بعض مفكرينا يتخذها نبراسا يستضيء به في شتى مجالات العلوم الإسلامية، مما أوقعهم في شرك التغريب الذي نصبه المستشرقون على اختلاف تخصصاتهم في دراسة دين الإسلام, ولقد ذكر المستشرقون في غير ما موضع أن هدفهم هو خلق أجيال تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية، ونحن نعرف حق المعرفة أن شخصيتنا تستمد قوتها و قيمتها من قيمنا الإسلامية, يقول أنور الجندي:" ولعل أخطر محاولات التغريب إنما ركزت على تفريغ العقل و القلب العربي الإسلامي من القيم الأساسية المستمدة من التوحيد و الأخلاق و الإيمان بالله، و دفع هذه القلوب و العقول عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم و الجراثيم عن طريق التعليم "[(1)] .

ولقد حاول هؤلاء المستشرقون وضع البديل في مواجهة الأصيل و العمل على تقديم بدائل سريعة ذات مظهر لامع تحوطها هالة من الضجيج على كل فكرة أصيلة في محاولة تحويل الرأي العام عنها في ظل طوابع من الإغراء و التزييف و تحت اسم البحث العلمي و العبارات البراقة الخادعة, فكان لزاما على كل من يحمل بين جنبيه بصيصا من العلم أن يسهم بما استطاع في إظهار زيفهم و تبديد جهودهم، و بالرغم من أن عددا كبيرا من كتاب الصحوة الإسلامية قد واجه كتابات المستشرقين و متعصبي الغرب و رد عليها أمثال "جمال الدين الأفغاني" و "محمد عبده" و "الأعظمي" و "السباعي" و "محمد رشيد رضا" و "عبد القاهر العاني" و "أنور الجندي" و "الغزالي" و غيرهم كثير، إلا أن هذا الجانب مازال فيه نقص كبير جدا, كما نرى انبهار شبابنا و مفكرينا ببريق الحضارة الغربية التي بنت شتاتها على حضارتنا .

[1]– أنور الجندي، معلمة الإسلام ...، مرجع سابق، ص 100 .

ويمكننا أن نحدد إلتقاء الغرب الأوروبي بالعالم الإسلامي بحوادث إحتلال الإنجليز للهند و فرنسا لمصر و لشمال إفريقيا و اتصال الدولة العثمانية بالغرب عن طريق التمثيل السياسي و العلاقات التجارية و البعثات الثقافية و قد كانت طرق و مواطن هذا الإلتقاء هي :

– البعثات في عهد العثمانيين و عهد محمد عبده في مصر و لاسيما البعثات التي تتخصص بأحد فروع العلوم الإنسانية لعظم تأثيرها التوجيهي و إيحاءاتها العقدية، و من هؤلاء المبعوثين تكونت طبقة المدرسين الأولين في المدارس الثانوية و البلدان الإسلامية و أساتذة الجامعات، فانتقلت معهم مباشرة الثقافة الغربية و مفاهيمها و كثير من عادتها و آدابها و نخص من هؤلاء من تتلمذوا على المستشرقين و تأثروا بنظراتهم في الإسلام و التاريخ الإسلامي .

– الأساتذة الذين استقدموا إلى المدارس و الجامعات في البلاد الإسلامية و لا سيما في أوائل تأسيسها[1]، و إنه لمن المؤسف حقا أن عددا غير قليل من العرب و المسلمين من كتاب و مؤرخين و علماء ممن تلقوا العلم في ديار الغرب و قل رصيدهم من الثقافة و العلوم الإسلامية من مصادرها الأصلية و منابعها الصافية, قد تأثروا بدراسات المستشرقين و خدعتهم أساليبهم عن حقيقتهم فأخذوا يرددون شبهات المستشرقين و أباطيلهم و يروجون لها على أنها حقائق علمية لا تقبل الجدل دون تمحيص لأقوالهم و عرضها على المصادر الأصلية, وانطلت الأباطيل على من قصرت همته عن تتبع الحق و الوقوف عنده و التزامه منطلقا و منهجا[2] .

و لقد كان لمؤلفات المستشرقين الأثر الكبير في كسب رأي هؤلاء المثقفين في صفهم، و إن أخطر ما يواجه المسلم في مجال الشرع و الأدب و التاريخ و الثقافة تعدد المصادر ذات الموارد المختلفة من عربية أصيلة و غربية وافدة، سواءً كانت مستقاة من مصادر منحرفة عربية أو أجنبية وهو إزاء إعداد بحثه, فيبحث عن المراجع فيجد أقربها إلى يده تلك المراجع العامة الغامضة الهوية، فلا يعرف إذا كانت مسلّمة و صالحة للبحث أم لا[3] .

---

[1]– محمد المبارك، بين الثقافتين , دار الفكر ، 1980م, ص74 .

[2]– خالد محمد علي الحاج, مرجع سابق, ص74 .

[3]– أنور الجندي، سموم الاستشراق ...، مرجع سابق, ص7 .

و قد كُتبت هذه المؤلفات لهدف واضح هو تغريب الفكر الإسلامي و تزييف مفاهيمه و إثارة الشبهات حول حقائقه وأهدافه[1], و إذا صلحت للبحث فهل توصل إلى الحقيقة؟ وهل تمثل جوهر المفاهيم الإسلامية الأصيلة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه الكريم؟ [2].

و لقد تم لبعض المستشرقين يهودا و نصارى تأليف دائرة كاملة للمعارف باسم الإسلام، حيث دسوا فيها كثيرا من المعلومات المغلوطة و الأوهام و الأباطيل التي ما أنزل الله بها من سلطان، ثم قاموا بتزويد المدارس و الجامعات و مراكز البحث العلمي بها, فأصبحت بحكم الواقع من أهم المراجع المعتمدة لبعض دارسي الدين الإسلامي و بخاصة باللغات الأجنبية[3], و من بين هذه الكتب قاموس المنجد و الموسوعة العربية الميسرة[4]، و التي أحصى عليها الأستاذ جواد علي ثلاثمائة و خمسة و سبعين خطأ تاريخيا[5]، و هي موسوعات زائفة من حيث أنها مقدمة بأقلام مستشرقين متعصبين، لبعضهم صفة الولاء الكنسي، و الآخرون لهم صفة الولاء الإستعماري الصهيوني الماركسي، و كسب للشباب العربي الذي يعدونه للعمل في الأقطار العربية لينوب وسيلة لعملهم في تشويه حقائق الإسلام و إلقاء السموم و إثارة الشبهات[6]، يقول أنور الجندي:" كُتبت الموسوعات الأوروبية في الشرق والغرب عن الإسلام، فانتحلت الكثير من الشبهات و الروايات الضعيفة، و حرفت جوانب أخرى من النصوص لأجل إضعاف و إتلاف الشخصية الإسلامية[7] .

و يقول رشيد رضا كما في دائرة المعارف:" إن في هذه الدوائر عيوبا علمية و تاريخية أهمها أنها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية و العلمية لذاتها بل لأجل بيان أدائهم و أهوائهم, و الإعلام بما سبق لهم ولعلمائهم فيها من بحث و طعن في كتبهم و رسائلهم المتفرقة "[8]، و جل

1– دائرة المعارف الإسلامية ...، مرجع سابق, ص16 .

2– أنور الجندي، سموم الاستشراق ..., مرجع سابق، ص7 .

3–عزّيه طه, من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة، عدد13، ص23.

4– دائرة المعارف الإسلامية, ...، مرجع سابق ص 16 .

5– أنور الجندي، معلمة الإسلام..., مرجع سابق، ص 620 .

6– دائرة المعارف الإسلامية ...، مرجع سابق ,ص 16.

7– أنور الجندي، سموم الاستشراق...، مرجع سابق، ص 8 .

8– دائرة المعارف الإسلامية...، مرجع سابق, ص 16 .

ما يستطيع فعله أعداء الإسلام هو اجتذاب أمثالهم من الذين اشتبهت عليهم الأمور و لو كانت ظاهرة الكذب و البطلان[1] .

و زاد من شراسة الهجمة ضد السنة بين أبناء المسلمين و تأثير المستشرقين عليهم، أن ذهب أبناؤنا للدراسة في معامل المستشرقين و دعوناهم أساتذة مربين في مدارسنا و جامعاتنا, فكان لهم الأثر البالغ في نفوس أبنائنا ومفكرينا[2], و أصبح الذي يقرأ في المدرسة الإبتدائية أو الإعدادية أو الثانوية أو الجامعة, أو الذي يقرأه القارىء العام معظمه مكتوب بأيدي المستشرقين أو تلامذتهم[3], فآل الأمر إلى أزمة طرح بدائل نيابة عما سطره هؤلاء الأساتذة أو تلامذتهم عن تاريخنا و ديننا, ولهذه الأزمة مظهر يهم موضوعنا و هو تأثير دراسات المستشرقين على الفكر الديني لدى شبابنا الجامعي الذي يتجه إلى المصادر الغربية حتى فيما يخص معارفه الإسلامية الشخصية[4] .

و أصبحت على السنة النبوية حرب من الداخل وكذلك من الخارج.

المبحث الثاني :أهم المفكرين الذين تأثروا بشبه المستشرقين ونبذة عن حياتهم:

في حقيقة الأمر إن كثيرا من المفكرين المسلمين و الذين ذاع صيتهم في البلاد الإسلامية، بل و جُعلوا في كثير من الأحيان مرجعا للثقافة الإسلامية قد انتحلوا منهجهم وأخذوا معلوماتهم من عند المستشرقين، بل جعلوهم قدوة لهم إما عن جهل منهم و إما عن قصد، ومن هؤلاء الكتاب نذكر "أحمد أمين" و "أبو رية" و "طه حسين" و آخرون، بل و مما يؤسف له أن هؤلاء المفكرين هم الذين روجوا لكتب المستشرقين و جعلوها مرجعا يعودون إليه، يقول الجندي:" و نحن نجد أن كل الذين حملوا لواء الشبهات حول السنة قد اعتمدوا على مصدر أساسي هو كتاب غولد زيهر " العقيدة و الشريعة في الإسلام "، الذي ترجم و طبع بتوجيه الكاتب المصري طه حسين، و لقد نقل أحمد أمين كثيرا من الشبهات عن

1– عبد الرحمن حبنكة الميداني، التحريف المعاصر في الدين، ط1، 1997م، دار القلم – دمشق، ص 10 .

2– عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص 27 .

3– محمد قطب، قضايا الفكر الإسلامي المعاصر, الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط2، ص 228 .

4– عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، مرجع سابق، ص 131 .

الحديث النبوي في كتابه " فجر الإسلام " و " ضحاه "، كما نقل عنه الدكتور علي حسن عبد القادر في كتابه نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي[1] .

و يقول محمد أحمد إسماعيل المقدم:" إن كثيرا ممن نعتبرهم اليوم دعائم النهضة الحديثة لم يصبحوا كذلك في أوهام الناس إلا بسبب الدعايات المغرضة التي أرادت أن تضعهم في هذه المنزلة لتحقق بذلك أغراضها في نشر مذاهبهم و التمكين لآرائهم، و لأن كثيرا من الآراء المنحرفة التي لم تكن تستطيع أن تجد طريقها إلى الفكر الإسلامي و إلى مجتمعاته قد أصبح قبولها ممكنا بنسبتها إلى هؤلاء الزعامات، و إلى هؤلاء الأئمة الذين لا يتطرق إلى الناس شك في إخلاصهم و علمهم[2] ولكن الخطأ جار على بني آدم, لذا حاولنا قدر المستطاع أن نقف على أخطائهم لكي يحذرها النشء الجديد كما تعرضنا لشيء من ترجمتهم .

المطلب الأول: ترجمة أحمد أمين ومدى تأثره بالمستشرقين.

و لنبدأ كلامنا على أحمد أمين، و موقفه من السنة النبوية، هو أحمد أمين بن الشيخ إبراهيم الطباخ، عالم بالأدب غزير الإطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب اشتهر باسمه "أحمد أمين" و ضاعت نسبته إلى الطباخ، مولده و وفاته بالقاهرة، ولد أحمد أمين (1295هـ–1878م)، قرأ مدة قصيرة في الأزهر و تخرج بمدرسة القضاء الشرعي، و درس بها إلى سنة 1921م و تولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، ثم عين مدرسا بكلية الآداب بالجامعة المصرية، و انتخب عميدا لها سنة 1939م, و عين مديرا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية سنة 1947م، و استمر إلى أن توفي سنة (1373هـ/1945م)، و كان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق و مجمع اللغة بالقاهرة و المجمع العلمي العراقي ببغداد و منحته جامعة القاهرة سنة 1948م لقب "دكتور فخري"، و هو من أكثر كتاب مصر تصنيفا و إفاضة، و من أعماله إشرافه على لجنة التأليف و الترجمة و النشر مدة ثلاثين سنة، وكان رئيسا لها، و بلغت مقالاته في المجلات و الصحف و لا سيما مجلتي " الرسالة " و " الثقافة " عشر مجلدات جمعها في كتابه فيض الخاطر في ستة أجزاء، و من تآليفه

---

[1]– أنور الجندي، سموم الاستشراق ...، مرجع سابق، ص10–11 .

[2]– محمد أحمد إسماعيل المقدم، عـودة الحجـاب، ط11، مج1، دار طيبة للنشر، 1417هـ، ص04 .

المطبوعة فجر الإسلام، ضحى الإسلام، ظهر الإسلام، يوم الإسلام، و النقد الأدبي في جزأين، و زعماء الإصلاح في العصر الحديث، و إلى والدي، و حياتي، و قاموس العادات، و الصعلكة، و الفتوة في الإسلام، و مبادىء الفلسفة مترجم[1].

و أما عن تعلمه اللغة الإنجليزية فيذكر إبنه حسين أنه لم يشرع في تعلم لغة أجنبية إلا بعد أن تجاوز الخامسة و العشرين، و قد اختار الإنجليزية (و لم يعرف غيرها) فأتقنها قراءة و إن لم يتقنها كتابة أو حديثا، و كان بقية عمره كثير القراءة فيها، و لكنه اقتصر على قراءة أبحاث المستشرقين و كتب الإجتماع و المنطق و الفلسفة، وكان يفضل بن الرومي و بن العلاء على سائر الشعراء متبعا في ذلك العقاد و طه حسين .

أما مذهب المعتزلة فيفضله على سائر المذاهب لاعتقاده أن مدرستهم أكثر المدارس الإسلامية إلتزاما بالعقلانية و المنطق و حرية الفكر[2].

أما عن المرحلة الجامعية فقد تعلم أحمد أمين منذ السنة الأولى في الجامعة لأن مهمة الجامعة أن تكشف المجهول من العلم، و هي تنتقد ما وصل إليه العلم و تعدله و تحل جديدا محل قديم و تهدم رأيا و تبني مكانه رأيا، تعلم ذلك من مخالطته لبعض المستشرقين الذين تعرف عليهم، و من قليل من الأساتذة المصريين الذين يتبعون خطتهم و يسيرون على منهجهم[3] .

لا شك أن هذا الذي تعلمه في الجامعة قد أثر في حياته و على كتاباته، خاصة و أن المرحلة الجامعية مرحلة أساسية و مهمة في حياة أي شخص، إذ أنها تساهم في تحديد منهجه و توجيه أفكاره، و لهذا نرى عامر العقاد قال فيه:" و اتخذ حرية الفكر منطلقا و منارا لا يأبه إلا بالحقيقة التي كان يبحث عنها في بحثه و تأليفه، و قد رافقته هذه الحرية على الرغم من كل هجوم عليه أو افتراء، و كان الدين و الحياة من أخطر الموضوعات التي تعرض لها أحمد أمين في كتاباته الإجتماعية"[4].

---

[1]- خير الدين الزركلي، الأعــلام، ط7، مج1، دار العلم للملايين، 1986م، ص101 .

[2]- حمدي السكوت، مارسدن جونز، أعلام الأدب المعاصر في مصر، ط1، ج4، دار الكتاب المصري، القاهرة-مصر ،1401هـ،1981م،ص11 .

[3]- نفســـــه، ج4، ص42 .

[4]- عامر العقاد، أحمــد أميــن، منشورات المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ص78، ص80 .

و على كل حال فإن ما يجب الإشارة إليه و إبرازه هو أن أحمد أمين قد تأثر تأثرا بالغا بالمستشرقين و من والاهم، بل وقد أصبحت كتبه تفوح بالاستشراق، و قد أشار إلى هذه الحقيقة السباعي حيث قال:" و كان من أثر ذلك -أي تأثر العرب بالمستشرقين- أن أصبحت بحوثهم و كتبهم مرجعا للمثقفين منا ثقافة غربية و الملمين باللغات الأجنبية، و قد خدع أكثر هؤلاء المثقفين ببحوثهم و اعتقدوا بمقدرتهم العلمية و إخلاصهم للحق، و جروا وراء آرائهم ينقلونها كما هي، و منهم من يفاخر في أخذها عنهم، و منهم من يلبسها ثوبا إسلاميا جديدا، و لا أريد أن أضرب لك الأمثال فقد رأيت من صنيع الأستاذ أحمد أمين في فجر الإسلام مثلا لتلامذة مدرسة المستشرقين من المسلمين[1]، بل لو وقف الأمر عند هذا الحد لهان الخطب، حيث يستطيع العاقل أن ينقد و يناقش هذه الأفكار مع أصحابها أو مع الحاملين لها بالأدلة العلمية و المنهج السليم، و لكن إذا تعدى الأمر إلى نقل أفكار المستشرقين و إلباسها لباسا إسلاميا حتى ينطلي على عامة المسلمين و خاصتهم, فإن هذا بحق حيدة عن المنهج القويم، يقول السباعي:" لما دار النقاش في الأزهر حول الزهري عام1360هـ قال الأستاذ أحمد أمين للدكتور علي حسن عبد القادر، و هو الذي أثيرت الضجة حوله:" إن الأزهر لا يقبل الآراء العلمية الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسبا من أقوال المستشرقين لا تنسبها إليهم بصراحة، و لكن ادفعها إلى الأزهريين على أنها بحث منك و ألبسها ثوبا رقيقا لا يزعجهم مسها، كما فعلت أنا في فجر الإسلام و ضحى الإسلام، قال السباعي هذا ما سمعته من الأستاذ علي حسن نقلا عن أحمد أمين، فإذا نقدنا آراءه و بينا ما فيها من التشكيك و التحريف فلا نكون من الذين يتصدون لإيقاع بريء في جريمة، بل ممن يجمعون الأدلة للتحقيق مع متهم أحيط بالشبهات و نسبت إليه أقوال في التهمة المنسوبة إليه[2].

و من خلال هذا الكلام يتضح جليا مدى ما وصل إليه أحمد أمين خاصة و أتباع المستشرقين عامة من الإتباع الأعمى دون نقد و تمحيص لما يفرزه المستشرقون من سموم تسري في عقول من تبعهم من المسلمين، و إذا ما استقرت فيها فإنها تخرب المنهج السليم الذي يوافق روح الإسلام السمحة و بالتالي فإنها تفرز سموما أشد فتكا بالمسلمين من سموم

1- أنور الجندي، سموم الإستشراق ...، مرجع سابق، ص07 .

2- أنور الجندي، نفســــه، ص237 .

المستشرقين لأنها نابعة من أبناء جلدتنا الذين نثق فيهم على أساس أنهم منا، و أنهم إنما تعلموا ليدافعوا عنا لا أنهم يسيرون في تيار التخريب الذي يمس جوهر الإسلام، يقول أبو شهبة:" و مما يؤسف له غاية الأسف أن بعض الذين يثقون بكل ما يرد عن الغربيين من آراء و مذاهب قد تلقوا هذه الشبهات و الطعون و نسبها بعضهم إلى نفسه زورا، فكان كلابس ثوبي زور، و البعض الآخر لم ينتحلها لنفسه و لكنه ارتضاها و جعل نفسه بوقا لترددها و من هؤلاء ممن ضَمَّن كتبه هذه الشبهات بل و قوى من أمرها، و ذلك كما فعل الأستاذ أحمد أمين رحمه الله في كتابيه فجر و ضحى الإسلام، و هو و إن كان جارى المستشرقين في كثير مما زعموا فقد خالفهم في بعض ما أحدثوا، و كان عفيفا في عبادته، مرفقا في نقده[1], كل إنسان يؤخذ من قوله ويترك ويُقوّم كلامه وينتقد إلا كلام المعصوم عليه الصلاة و السلام .

<u>منهج أحمد أمين في التعامل مع السنة :</u>

و لكي نستطيع فهم منهج أحمد أمين فما علينا إلا أن نستقرء كتبه حتى لا نكون كالمدعي دون بينة ولا برهان، و قد كفانا مؤنة هذا البحث بعض أهل العلم و منهم السباعي رحمه الله، فقد ذكر أن منهج أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام ما يلي:" أفرد الأستاذ أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام فصلا خاصا بالحديث استغرق نحوا من عشرين صفحة حاول فيه أن يؤرخ للسنة و تدوينها ....، و استظهر أن الكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم بدأ في عهده قبل وفاته، و أشار أن دخول شعوب في الإسلام كان له أثر كبير في الوضع الذي بلغ من الكثرة أن اختار الإمام البخاري صحيحه من ستمائة ألف حديث كانت شائعة في عصره ....، ثم ذكر جهود العلماء في مكافحة الوضع و أخذ عليهم أنهم لم يعنوا بنقد المتن عشر ما عنوا بنقد السند حيث يقول :" و قد وضع العلماء للجرح و التعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها، و لكنهم و الحق يقال عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن، فقل أن تظفر بنقد من ناحية أن ما نسب إلى النبي صلى الله عليه و سلم لا يتفق و الظروف التي قيلت فيه، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المألوف في تعبير النبي صلى الله عليه و سلم ....، و لم نظفر منهم في هذا

---

[1]– أبو شهبة، مرجع سابق، ص07 .

الباب بعشر معشار ما عنوا من جرح الرجال و تعديلهم، حتى نرى البخاري على جليل قدره و دقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية و المشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة، لاقتصاره على نقد الرجال كحديث " لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة "[(1)]، و حديث " من اصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة لم يضره سم و لا سحر ذلك اليوم إلى الليل[(2)].

هذا هو منهج أحمد أمين, رد الأحاديث بالمشاهدة و التجربة، رغم أن هذين الحديثين صحيحين، و الحديث الأول هو هكذا عند مسلم:" عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلّم قام فقال:" أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد " قال ابن عمر: فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه و سلم تلك فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، و إنما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" لا يبقى من هو اليوم على ظهر الأرض أحد يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن "[(3)].

و قد رد ابن قتيبة الشبهة عن هذا الحديث حيث قال:" قالوا حديث يكذبه العيان، قالوا: رويتم عن أبي سعيد الخدري و جابر بن عبد الله و أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: و ذكر سنة مائة " أنه لا يبقى على ظهرها يومئذ نفس منفوسة "، قالوا و هذا باطل بين للعيان و نحن طاعنون في سنة ثلاثمائة و الناس أكثر مما كانوا، قال أبو محمد: و نحن نقول إن هذا الحديث قد أسقط الرواة منه حرفا، إما لأنهم نسوه أو لأن الرسول صلى الله عليه و سلم أخفاه، فلم يسمعوه و نراه- بل لا نشك- أنه قال:" لا يبقى على الأرض منكم يومئذ نفس منفوسة "، يعني ممن حضر في ذلك المجلس، أو يعني الصحابة فأسقط الراوي (منكم)، و مما يشهد على ما أقول أن أبا كدينة روى عن مطرف عن المنهال بن عمرو أن عليا رضي

---

[1]– – محمد بن إسماعيل البخاري, الصحيح المسند, كتاب الأطعمة, باب العجوة, ط1, دار السلام, السعودية,1999م, برقم 5445 .

[2]– أنظر: أحمد أمين، فجر الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، 1929م، ص211 –217 .

[3]– محمد بن إسماعيل البخاري, مصدر سابق, كتاب العلم, برقم: 113. وانظر :

– المنذري، مختصر صحيح مسلم ...، مصدر سابق، ص460 . وانظر :

– الترمذي, الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل, كتاب الفتن, برقم: 2251.

الله عنه قال لابن مسعود: إنك تفتي الناس؟ قال: أجل و أخبرهم أن الآخر شر، قال: فأخبرني هل سمعت منه؟ قال سمعته يقول:" لا يأتي على الناس سنة مائة و على الأرض عين تطرف"، فقال علي أخطأت إستُك الحفرة، إنما قال ذلك يومئذ لمن حضره، و هل الرجاء إلا بعد المائة "[1].

و يقول السباعي في موضع آخر في الرد على هذه الشبهة:

أما السند فقد قدمنا لك ما اشترطوه في الراوي من العدالة و الضبط و الحفظ و السماع في كل راو في السلسلة إلى أن يصل إلى الصحابي، و يعتقد أن المؤلف و من سبقه من المستشرقين لا يستطيعوا أن يتهموا العلماء بالتفريط في نقد حال الرواة و وضع الشروط الدقيقة لقبول أخبارهم فهم مجمعون معنا على أن علماءنا رحمهم الله بلغوا في ذلك الشروط التي ليست بعدها غاية, و لا وراءها مطمع لناقد أو متثبت .

أما المتن فقد تقدم لك ما يرشدك إلى القواعد التي وضعوها لنقده و أهمها :

– أن لا يكون ركيك اللفظ بحيث لا يقوله بليغ أو فصيح[2] .

– أن لا يكون مخالفا لبديهيات العقول بحيث لا يمكن تأويله .

– أن لا يخالف القواعد العامة في الحكم و الإختلاف .

– أن لا يكون مخالفا للحس و المشاهدة .

– أن لا يخالف البديهي في الطب و الحكمة .

– أن لا يكون داعية إلى رذيلة تتبرأ منها الشرائع .

– أن لا يخالف المعقول في أصول العقيدة من صفات الله و رسله .

– أن لا يكون مخالفا لسنة الله في الكون و الإنسان .

– أن لا يشتمل على سخافات يصان عنها العقلاء .

– أن لا يخالف القرآن أو محكم السنة أو المجمع عليه أو المعلوم بالدين بالضرورة بحيث لا يحتمل التأويل .

– أن لا يكون مخالفا للحقائق التاريخية المعروفة عصر النبي صلى الله عليه و سلم .

---

[1]– أبي عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، صححه و ضبطه محمد زهري النجــار، دار الجيــل بيــروت، 1411هـ/1991م، ص99–100 .

[2]- أنظر السيوطي, تدريب الراوي ..., مرجع سابق, ج1, ص233 .

– أن لا يوافق مذهب الراوي الداعية إلى مذهبه .
– أن لا يخبر عن أمر وقع بمشهد عظيم ثم ينفرد راو واحد بروايته .
– أن لا يكون ناشئا على باعث نفسي حمل الراوي روايته .
– أن لا يشتمل على إفراط في ثواب عظيم على النفل الصغير و المبالغة في الوعيد الشديد على الأمر الحقير .

على هذه الأسس الرضية المحكمة جردوا أنفسهم بنقد الأحاديث و تميز صحيحها من سقيمها, و لا شك أنها أسس سليمة لا يستطيع المنصف أن يكابر في قوتها و عمقها و كفايتها، و لم يكتف علماؤنا بهذا بل نقدوا المتن بعد سلامته من العلل السابقة كلها، نقدوه من ناحية اضطرابه أو شذوذه أو إعلاله، كما بحثوا فيما يمكن أن يقع فيه من قلب أو غلط أو إدراج، و لكل ذلك أمثلة و شواهد محلها كتب القوم رحمهم الله[1].

و أما عن التفسير فقد نقل عن أحمد أمين أنه يضعف الأحاديث الواردة في التفسير، حيث اعتمد في ذلك على كلام نقله عن الإمام أحمد بن حنبل آخذا بظاهره دون تمحيص و دون الرجوع إلى أهل العلم و الاختصاص في ذلك، وإليك ما قاله كما نقل ذلك السباعي في رده على زلاته قال:" و حسبك دليلا على مقدار الوضع أن أحاديث التفسير التي ذُكر عن أحمد أنه قال لم يصح عنده منها شيء، و قد جمع فيها آلاف الأحاديث المكررة، قالوا إنه اختارها و صحت عنده من ستمائة ألف حديث كانت متداولة في عصره"[2] .

إن أحاديث التفسير لا يخفى على كل من طالع كتب السنة أنها أثبتت شيئا كثيرا منها بطرق صحيحة لا غبار عليها، فقد قال ابن تيمية: "يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه و سلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه لقوله تعالى:" لتبين للناس ما نزل إليهم" يتناول هذا و هذا"[3]، و قسم الزركشي القرآن إلى قسمين قسم ورد تفسيره بالنقل و قسم لم يرد[4]،

1– السباعي، تأثر العرب ....، مرجع سابق، ص282 .

2– أنظر : – أحمد أمين، مرجع سابق، ص199 .

3– أنظر كلاما في معناه عند: – تقي الدين ابن تيمية، التفسيـــر الكبيـــر، تحقيق و تعليق عبد الرحمان عميـــرة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ص119–122، ج2، ص6 .

4– أنظر كلاما في معناه عند :

– بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط2، دار الفكر، 1391هـ/1972م، ص13–16 .

و قد نقل الشافعي في مختصر البويطي أنه لا يحل تفسير المتشابه إلا بسنة النبي صلى الله عليه و سلم أو خبر من الصحابة أو إجماع العلماء[1].

أما قول أحمد في أحاديث التفسير فهو يشير إلى ما روي عنه من قوله" ثلاثة ليس لها أصل التفسير و الملاحم و المغازي" و في رواية ثلاثة كتب لا أصل لها "المغازي و الملاحم و التفسير" و الكلام من وجوه .

أولا العبارة في صحتها شيء لأن الإمام أحمد نقل في مسنده أحاديث كثيرة في التفسير و مقتضى العبارة أن يكون كل ما روي عن أخبار العرب و مغازي المسلمين مكذوبا و من يقول بهذا؟ .

الثاني نفي الصحة لا يستلزم الوضع أو الضعف، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه تخريج أحاديث الأذكار المسمى بنتائج الأفكار " أنه ثبت عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال لا أعلم في التسمية (أي التسمية في الوضوء) حديثا ثابتا، قلت (أي ابن حجر) لا يلزم من نفي العلم ثبوت العدم و على التنزيل لا يلزم من نفي الثبوت ثبوت الضعف لاحتمال أن يراد بالثبوت الصحة فلا ينفي الحسن" .

ثالثا أحمد لم يقل لم يصح في التفسير شيء إنما قال ثلاثة ليس لها أصل و الظاهر أن مراده نفي كتب خاصة لهذه العلوم الثلاثة، و هو ما فهمه الخطيب البغدادي حيث قال:" إن هذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة فأشهر كتابات الكلبي و مقاتل بن سليمان، و قال أحمد في تفسير الكلبي من أوله إلى آخره كذب لا يحل النظر فيه " .

رابعا و يحتمل أن يكون مراد الإمام أحمد في عبارته أن ما صح من التفسير قليل بالنسبة لما لم يصح، و على هذا حملها الكثير من أهل العلم قال ابن تيمية:" و أما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود في كثير من الكتب و الحمد لله و إن قال أحمد ثلاثة ليس لها أصل، و ذلك أن الغالب عليها مراسيل "[2]، و قال أيضا:" أما القسم الأول الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود فيما يحتاج إليه و لله الحمد، فكثيرا ما يوجد في التفسير و الحديث و المغازي أمور منقولة عن نبينا صلى الله عليه و سلم و غيره من الأنبياء صلوات

---

[1]- السباعي، تأثر العرب ....، مرجع سابق، ص242-244.

[2]- إبن تيمية، التفسير ....، مصدر سابق، ج2، ص12-14 .

الله عليهم و سلامه، و النقل الصحيح يدفع ذلك، بل هذا موجود فيما مستنده النقل و فيما قد يعرف بأمور أخرى غير النقل، فالمقصود أن المنقولات التي يحتاج إليها في الدين قد نصب الله الأدلة على بيان ما فيها من صحيح و غيره، و معلوم أن المنقول في التفسير أكثره كالمنقول في المغازي و الملاحم، و لهذا قال الإمام أحمد ثلاثة أمور ليس لها إسناد التفسير و الملاحم و المغازي، و يروى ليس لها أصل في الإسناد، لأن الغالب عليها مراسيل ..."[1]، و قال الزركشي في البرهان:" للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أهمها أربعة الأول النقل عن النبي صلى الله عليه و سلم ... لكن يجب الحذر من الموضوع فإنه كثير و لهذا قال أحمد ثلاثة ليس لها أصل... قال المحققون من أصحابه مراده أن الغالب ليس لها أسانيد صحاح متصلة و إلا فقد صح من ذلك كثير"[2]، قال السباعي و قصارى القول أن الاستشهاد بعبارة أحمد للتشكيك في أحاديث التفسير كلها غير صحيح[3].

هذا منهج أحمد أمين مع أحاديث التفسير خاصة، أما لو جئنا إلى تعامله مع الأحاديث النبوية عامة فلا نجده ينفك عما قد تشبع به من منهج المستشرقين الذين تتلمذ عليهم, و هو هجوم لا يبدو ظاهرا جليا كما هو حال فعل المستشرقين، بل هو أدهى و أمر من ذلك فهو يتستر بلباس العلم و البحث يقول السباعي:" و هذا لون آخر من ألوان الهجوم على السنة يقوم به فريق من المسلمين الذين تتلمذوا على المستشرقين، و هو هجوم لا يبدو واضحا سافرا كما بدت آراء المستشرقين من قبل، بل مقنّعا بلباس العلم و البحث متجنبا المصارحة مفضلا الحوارية و المخاتلة حتى لا يثير صاحبه عليه ثائرة الجمهور، و سنرى أن هذا اللون أخبث أثرا و أسوأ نتيجة و أقوى سلاحا و الله المستعان "[4]، و قد لخص مشهور حسن منهج أحمد أمين في كتابيه فجر و ضحى الإسلام فيما يلي:

– تأثر إلى درجة كبيرة ببحوث المستشرقين و كتاباتهم في علم الحديث .

– تأثر بآراء رؤوس المعتزلة و طوائف الشيعة ممن يتشيع لبعض صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم دون غيرهم .

---

[1]– إبن تيمية، مجموع الفتاوى ...، مصدر سابق، مج13، ص346 .

[2]– الزركشي، مصدر سابق، ص20–24 .

[3]– السباعي، تأثر العرب ...، مرجع سابق، ص244–245 .

[4]– نفســـه، ص236 .

– استنتج من عنده بعض آراء ليس لها أساس علمي و لا مستند تاريخي صحيح .

– لم يلتزم الأمانة و لا الدقة فيما نقله من النصوص و الآثار .

– لم يعتمد في تاريخ الحديث على كتب علوم الحديث، بل اعتمد على كتب الأصول و خاصة كتاب مسلّم الثبوت و شرحه، و من هنا أورد كثيرا من الأحاديث منها ما لم يعثر له على أصل في كتب السنة، و منها ما جاء بأسلوب مغاير لما في تلك الكتب، و قد كان يستطيع الرجوع في معرفة هذه النصوص إلى مراجعها الحقيقية، لولا أنه يسعى إلى غرض معين، فهو يتصيد الأدلة من هنا و هناك من غير تحقيق و لا تدقيق[1] .

و على هذا فإن أتباع المستشرقين و أحمد أمين واحد منهم نصبوا ميزان العقل و القياس الأعوج الأفلج للحكم على صحة الحديث أو ضعفه فقد ذهب بعض هؤلاء المفتونين إلى مقارنة نتائج المكتشفات في المادة و النبات و الحيوان و الفلك و غير ذلك بما جاء في السنة النبوية في هذه الأبواب، فما وافق يقبل عندهم و إن حكم المحدثون بضعفه أو وضعه، و ما خالفها يرد عندهم و إن كان قد سبق عليه الحكم بالصحة "[2] .

ولعل قائل يقول لقد ظلمتم الرجل و افتريتم عليه كذبا، لكن العاقل يكفيه ما سقناه آنفا من أقواله التي تدل على سوء منهجه بل و الدفاع عليه، و لو توقف منهجه هذا على نفسه و فقط لكان الأمر يسيرا، و لكن إذا تعداه إلى غيره و إلى نشره و الوقوف إلى جانب من ينحو نحوه فهذا أمر لا يمكن السكوت عليه، فقد نقل السباعي اتهام خطير عن أحمد أمين حيث ذكر هذه الحادثة قال:" لما نشر أحد الملاحدة في مصر (إسماعيل أدهم) رسالة عام (1353هـ) عن تاريخ السنة، أعلن فيها أن هذه الثروة من الأحاديث ليست ثابتة الدعائم بل هي مشكوك فيها و يغلب عليها صفة الوضع، و أحظرت حكومة الأزهر لمصادرة الرسالة، و أحظر للدفاع عن نفسه فكتب رسالة إلى مجلة الفتح (عدد 494، ص12) زعم فيها أن ما ذهب إليه من الشك في صحة السنة لم ينفرد به بل وافقه عليه كثير من الأدباء و العلماء و ذكر منهم أحمد أمين بكتاب أرسله إليه و انتظر أن يكذب أحمد أمين هذا الزعم فلم يفعل، بل كتب في مجلة الرسالة ما يفيد تألمه

1– أبي عبيدة مشهور حسن آل سلمان، كتب حذر منها العلماء، تقديم الشيخ بكر عبد الله أبو زيد، ط1، ج2، دار الصميعي, المملكة العربية السعودية، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، 1415هـ/1995م، ص62–63 .

2–المرتضى الزين أحمد، منهاج المحدثين في تقوية الأحاديث الحسنة و الضعيفة، ط1، مكتبة الرشد–الرياض، 1415هـ/1994م، ص32 .

مما حصل لصاحبه و اعتبار ذلك محاربة لحرية الرأي و حجر عثرة في سبيل البحوث العلمية "[1]، فانظر إلى ما يوصل إليه هذا المنهج المصطنع لتحطيم المنهج الإسلامي السليم الذي ضبطه علماء الحديث و بشهادة بعض المستشرقين أنفسهم، و لسائل أن يسأل ما هو السبب الذي دفع بهؤلاء الأدباء إلى أن يتبعوا هذه الطريقة، و لعل في الكلام الذي نقله الجندي عن العلامة محمد أسد- ليوبولد فايس- جواب على هذا حيث قال:" و إن رفض الأحاديث الصحيحة جملة واحدة أو أقساما ليس حتى اليوم قضية ذوق، و أن السبب الذي يحمل مثل هذا الموقف من المعارضة بين كثير من المسلمين المعارضين يمكن تتبعه إلى مصدره، إن السبب يرجع إلى استحالة الجمع بين طريقة حياتنا و تفكيرنا الحاضرة المتقهقرة و بين روح الإسلام الصحيح، و لكي يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا قصورهم و قصور بيئتهم فإنهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة اتباع السنة، لأنهم إذا فعلوا ذلك فإن بإمكانهم حينئذ أن يتأولوا القرآن الكريم كما يشاءون على أوجه من التفكير السطحي، و حسب ميول كل واحد منهم و طريقة تفكيره هو، و لكن تلك المنزلة الممتازة للإسلام على أنه نظام خلقي وعملي و نظام شخصي و اجتماعي تنتهي بهذه الطريقة إلى التهافت و الاندثار، و أن الذين خلبتهم المدنية الغربية لا يجدون مخرجا من مأزقهم إلا برفض السنة على أنها قائمة على أحاديث لا يوثق بها، و بذلك يصح تحريف تعاليم القرآن الكريم لكي تظهر موافقته لروح المدنية الأكثر سهولة " و هذا هو الخطر الكامن من وراء مهاجمة السنة و إثارة الشبهة حول الحديث النبوي وكيفية نقله ومنهج الاستدلال به وفقا لما قرره علماؤنا الأجلاء[2] .

أسباب الوضع عند أحمد أمين و الرد على ذلك:

أما عن أسباب الوضع في نظر أحمد أمين فإنه قال " يخيل إلي أن من أهم أسباب الوضع مغالاة الناس إذ ذاك في أنهم لا يقبلون من العلم إلا ما اتصل بالكتاب و السنة اتصالا وثيقا و ما عدا ذلك فليس له قيمة كبيرة، فأحكام الحلال و الحرام إذا كانت مؤسسة على مجرد " الإجتهاد " لم تكن لها قيمة ما أُسس على الحديث و لا ما يقرب منه، بل كثير من العلماء في ذلك العصر

1- السباعي، تأثر العرب ....، مرجع سابق، ص237-238 .

2- الجندي، سموم الإستشراق ....، مرجع سابق، ص18 .

كان يرفضها و لا يمنحها أي قيمة، بل بعضهم يشنع على من ينحو هذا النحو، و الحكمة و الموعظة الحسنة إذا كانت من أصل هندي أو يوناني أو فارسي أو من شروح التوراة و الإنجيل لم يؤبه له، فحمل ذلك كثير من الناس أن يصبغوا هذه الأشياء كلها صبغة دينية حتى يقبلوا عليها، فوجدوا الحديث هو الباب الوحيد المفتوح على مصراعيه فدخلوا منه على الناس، و لم يتقوا الله فيما صنعوا، و كان من أثر ذلك أن نرى الحكم الفقهي المصنوع و الحكمة الهندية و الفلسفة الزرادشتية و الموعظة الإسرائيلية و النصرانية "[1]، قال السباعي ردا على هذا القول: " و صفوة القول أن هذا السبب الذي استظهره المؤلف و تخيله لا أساس له من الواقع و لا دليل يسنده، و الكتب الإسلامية حافلة بما ينقضه و لا أدري ما الذي دعاه إلى هذا التخيل إلا أن يكون مراده الزعم بأن التشدد في التمسك بالكتاب و السنة كان له من الضرر على الدين ما حمل الناس على الوضع و الكذب "[2] .

بداية الوضع عند أحمد أمين والرد على ذلك :

بل أكثر من هذا فقد ذهب أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام إلى أن الكذب بدأ في عهد النبي صلى الله عليه و سلم و عقد للتدليل على هذا فصلا خاصا بالحديث استغرق أكثر من عشرين صفحة حاول فيه أن يؤرخ للسنة[3]، قال د. عمر سليمان الأشقر معلقا على هذا:" و ليس في هذا القول شيء من التحقيق "[4] .

و لننقل كلامه هنا قال أحمد أمين:" و يظهر أن الوضع حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم فحديث " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " يغلب على الظن أنه إنما قيل لحادثة زُوِّر فيها على رسول الله، و بعد وفاته كان الكذب عليه أسهل، و تحقيق الخبر عنه أصعب "[5]، قال السباعي هذا الذي استظهره لا سند له في التاريخ الثابت و لا في سبب الحديث المذكور كما جاء في الكتب المعتمدة، و إلا لنقله الصحابة لشناعته و فظاعته، كيف و أنهم

1– أحمد أمين، مرجع سابق، ص215 .

2– السباعي، تأثر العرب ...، مرجع سابق، ص223 .

3– أنظر أحمد أمين، مرجع سابق، من ص208 إلى ص224 .

4– عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص27 .

5– أحمد أمين، مرجع سابق، ص211 .

حرصوا حرصا شديدا على أن ينقلوا لنا كل ما يتصل به عليه السلام حتى مشيه و قعوده و نومه و لباسه و عدد الشعرات البيض في رأسه الشريف، و الحديث المذكور اتفقت كتب السنة الصحيحة المعتمدة أن الرسول إنما قاله حين أمرهم بتبليغ حديثه إلى من بعدهم، فقد أخرج البخاري في باب الذكر عن بني إسرائيل من طريق عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه و سلم قال:" بلغوا عني و لو آية و حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج و من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "[1]، و رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" لا تكتبوا عني و من كتب علي سوى القرآن فليمحه و حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج و من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[2]، وليس في هذا ما يدل على أن حصول الوضع كان على عهد النبي صلى الله عليه و سلم فاستظهار ذلك خطأ قائم على غير أساس فلا يصح الذهاب إليه، و لا سيما و أن من أول نتائجه نسبة الكذب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو مناف للحق و الواقع ...، فإن كان الأستاذ يريد بها استظهار الإشارة إلى هذا الرأي المنبوذ و التمهيد لما سيذكره عن أبي هريرة رضي الله عنه و نقد الصحابة بعضهم لبعض واضعا بذلك أول لغم في بناء السنة فقد أخطأ الطريق و جانب الحق و بنى أمرا خطيرا على ظنون لا يؤيدها تاريخ صحيح و حديث ثابت "[3] .

هذا مذهبه في التعامل مع السنة، أما ما قاله السباعي عن التمهيد لما سيذكره عن أبي هريرة رضي الله عنه[4]، فإن الطعن في هذا الصحابي الجليل سنذكره عند الكلام على مفكر آخر قد سار على خطى المستشرقين و تمنهج بمنهجهم الأعوج ألا و هو أبو رية .

و لننقل الكلام على شخصية أخرى معروفة في حقل الأدب العربي اتخذت منهج الاستشراق لها منهجا و سارت على درب المستشرقين الحاقدين ألا و هي شخصية طه حسين، و لنتتبع

---

[1]– صحيح البخاري, مصدر سابق, كتاب أحاديث الأنبياء, برقم : 3461. وانظر في فقه الحديث :
– ابن حجر العسقلاني، فتح الباري...، مصدر سابق، ج1، ص245–247 .

[2] – الحافظ المنذري، مختصر صحيح مسلم ...، مصدر سابق، ص487 .

[3]– السباعي، تأثر العرب ...، مرجع سابق، ص241 . و انظر أخطاء أحمد أمين بتفصيل أكبر و الرد عليها عند:
– مشهور بن حسن آل سلمان، مرجع سابق، ص63–72 .

[4]– أنظر أحمد أمين، مرجع سابق، ص220 .

كلام النقاد له بالأدلة من كتبه التي ألفها لننظر موقعه في المؤلفين، و لنبدأ بحياته حتى تكون لدينا فكرة واضحة عليه .

المطلب الثاني : لمحة عن حياة طه حسين ومدى تأثره بالمنهج الاستشراقي:

هو طه حسين بن علي بن سلامة ولد سنة 1889م، دكتور في الأدب من كبار المحاضرين، جدد مناهج و أحدث ضجة في عالم الأدب العربي، ولد بقرية "الكيلو بمغاغة" من محافظة المينا بالصعيد المصري، و أصيب بالجدري في الثالثة من عمره فكف بصره و بدأ حياته في الأزهر (1902هـ–1908م)، ثم بالجامعة المصرية القديمة و هو أول من نال شهادة الدكتوراه منها عام 1914م بكتاب ذكرى أبي العلاء، سافر في بعثة إلى باريس فتخرج بالسربون عام 1918م، و عاد إلى مصر فاتصل بالصحافة و عين محاضرا في كلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم أصبح عميدا لتلك الكلية فوزيرا للمعارف، و في هذه البرهة تمكن من جعل التعليم الثانوي مجانا، و كان من أعضاء المجمع العلمي و العربي المراسلين بدمشق، ثم رئيسا بمجمع اللغة بمصر و أقبل الناس على كتبه، من المطبوع منها الأدب الجاهلي و الشعر الجاهلي و حديث الأربعاء و قادة الفكر و على هامش السيرة و مع أبي العلاء في سجنه و مع المتنبي و أحاديث الأيام، و كان قد شغف بالأدب العربي في صباه و ترجمة بعض آثاره ككتاب نظام الإثنين لأرسطو، وآلهة اليونان له و فلسفة ابن خلدون و هي رسالة دكتوراه بالفرنسية بالسربون ترجمها إلى العربية محمد عبد الله عنان، و دروس التاريخ القديم و مستقبل الثقافة في مصر و غيرها، و قد ترجم كثير من كتبه إلى عدة لغات و عينته جامعة الدول العربية رئيسا للجنتها الثقافية فأدارها مدة و حاول البدأ في عمل دائرة المعارف العربية و لم ينجح، و توفي بالقاهرة سنة 1952م[1] .

تورط طه حسين في كتابه" في الشعر الجاهلي" في أكبر خطأ حيث أنه ينطلق في البحث من فروض و تخيل قائم على الحدس و الظن، غير أنه يسير في بحثه، و كأن هذه الفروض التي ليس لها أي أساس علمي أو تاريخي ثبتت صحتها و سلم بها حقيقة، ثم يقفز إلى استنتاجات يعدها نتائج علمية، ولكنها محض افتراضات و احتمالات بعيدة عن النظريات الثابتة و

[1]– الزركلي، مرجع سابق، مج3، ص231–232 .

النتائج العلمية المؤكدة، و لا يجد الباحث أي سند علمي سليم دال على ثبوتها، و يمكن القول إنه امتثل أساتذته الغربيين خاصة "مرغليوث" صاحب النظرة التشكيكية في الشعر الجاهلي, و شكه أقرب من آرائهم و استنساخها[1]، يقول د.محمد بن مطر الزهراني :" بعض الكتاب و الأدباء و هم من أبناء الكنانة أيضا ممن نشأوا وترعرعوا على أيدي أعداء الإسلام من يهود و نصارى من المستشرقين في جامعات فرنسا و ألمانيا و بريطانيا، فتغذت عقولهم و ران على قلوبهم شبهات و شكوك مشايخهم من المستشرين، فعادوا إلى بلاد المسلمين ليكونوا رسلا لأعداء الله و رسوله فيبثوا تلك الشبهات و يثيروا تلك الشكوك بين المسلمين، و من بين هؤلاء الأدباء الذين كانت كتبهم تنضح بالطعن على السنة و روادها و ينادون يرددها كل من طه حسين و أحمد أمين و غيرهما "[2].

و إليك بعض ما قال في طعنه في الحديث و سنده دون علم بضوابط الرواية و الدراية قال:" و يقال كذلك إن النبي قال لبعض أصحابه في مرضه الذي توفي فيه:" ايتوني بصحيفة أكتب لكم ما لا تضلوا بعده أبدا " فاختلفوا و تنازعوا، يقول بعضهم: إن النبي قد اشتد عليه الوجع و عندنا كتاب الله، و يقول بعضهم الآخر: بل دعوا رسول الله يكتب، فلما أكثروا قال لهم النبي صلى الله عليه و سلم:" قوموا عني "، قالوا فكان ابن عباس يرى أن الرزية كل الرزية أنهم لم يخلوا بين رسول الله و بين ما أراد "، قال طه حسين:" و أكاد أجزم بأن هذا الحديث –مهما كان سنده– غير صحيح، فما كان للمسلمين أن يخالفوا عن أمر رسول الله، و ما كان لرسول الله نفسه أن يخلي بينهم و بين هذا الخلاف، و هو الذي لبث فيهم ثلاثة و عشرون عاما يتلوا عليهم القرآن، و يعلمهم شرائع الدين، و يأمرهم و ينهاهم، و ينبئهم بخبر السماء، و أكبر الظن أن هذا الحديث وضع بآخره حين تفرق المسلمون شيعا و أحزابا "[3] .

فانظر كيف رد الحديث بالهوى غير مراع لمنهج علماء الحديث في التصحيح و التضعيف فالحديث عنده ضعيف مهما كان سنده، فلا اعتبار عنده لقوانين نقد الرواية عند المحدثين، و هذا الحديث صحيح رواه البخاري و مسلم و غيرهما، فعن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوم الخميس و ما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمعه الحصى، فقلت: يا ابن

1– فرهاد ديو سالار، منهج طه حسين في كتاب في الشعر الجاهلي، WWW.CHABABMR.COM .

2– محمد بن مطر الزهراني، تدوين السنة النبوية نشأته و تطوره، ط1، دار الهجرة– الرياض، 1996م، ص53 .

3– طه حسين، إسلاميـــات، مج7، دار الكتاب اللبناني، 1982م، ص233 .

عباس! و ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه و سلم وجعه فقال:" ائتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي، فتنازعوا، و ما ينبغي عند نبي تنازع "، و قالوا ما شأنه أَهَجَرَ [أي اختلف كلامه بسبب المرض، على سبيل الإستفهام، أي هل تغير كلامه و اختلط لأجل ما به من مرض] استفهموه، قال:" دعوني فالذي أنا فيه خير، أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، و أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم "، قال: و سكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها [1].

هذا هو المنهج الذي سلكه أتباع المستشرقين، و في هذا الصدد يؤكد صاحب كتاب الكشاف الفريد هذا الأمر قائلا:" و إنه لمن المؤسف حقا أن عددا غير قليل من العرب و المسلمين من كتاب و مؤرخين و علماء ممن تلقوا العلم في ديار الغرب و قل رصيدهم من الثقافة و العلوم الإسلامية من مصادرها الأصلية و منابعها الصافية قد تأثروا بدراسات المستشرقين و أباطيلهم و يروجون لها على أنها حقائق علميه لا تقبل الجدل، دون تمحيص لأقوالهم أو عرضها على المصادر الأصلية .

و لذلك انطلت الأباطيل على من قصرت همته عن تتبع الحق و الوقوف عنده و التزامه منطلقا و منهاجا، و من بين الأدباء و المفكرين الذين انساقوا في تيار المستشرقين و اقتفوا أدراجهم إعجابا بهم الدكتور طه حسين الذي كان من أوائل تلامذة المستشرقين في تاريخنا الأدبي المعاصر، حيث يقول في مقدمة كتابه الأدب الجاهلي:" ... و كيف نتصور أستاذا للأدب العربي إن لم يلم بما انتهى إليه الفرنج – المستشرقون– من النتائج العلمية المختلفة حيث درسوا تاريخ الشرق و أدبه و لغاته المختلفة، و إنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس، و لا بد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا و نطير بأجنحتنا و نسترد ماغلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا و تاريخنا و آدابنا "[2]، و في الحقيقة وقع الأستاذ في بعض الأخطاء، منها وضع النتيجة قبل المقدمات المنطقية، ففي الأدب الجاهلي و الإتيان بنتائج كلية قبل أن يأتي بنتائج جزئية، بعد رفض الشعر الجاهلي يريد أن يثبت أنه ليس جاهليا، و الإصرار

1– الحافظ المنذري، مختصر صحيح مسلم ...، مصدر سابق، ص255 . و انظر:

– إبراهيم العلي، صحيح السيرة النبوية، تقديم عمر سليمان الأشقر، مراجعة همام سعيد، ط3، دار النفائس الأردن، 1418هـ/1998م، ص703 .

2– خالد محمد علي الحاج، مرجع سابق، ص473 .

على النتيجة التي وصل إليها من قبل[1]، ومعلوم لدينا أن القرآن الكريم نزل على لغة العرب, وأن الشعر الجاهلي عمدة في فهم القرآن الكريم و ذلك لاحتوائه على كثير من الكلمات التي تفهم على لغتهم, ونسف هذا الأخير يؤدي ضرورة إلى التشكيك في أصالة القرآن الكريم, والأمر بعد ذلك هين مع السنة النبوية.

المطلب الثالث : تأثر أبو رية .

أبـــو ريـــــة :

في رمضان من عام 1945م نشر الأستاذ محمود أبو رية مقالا بالرسالة العدد 833 تحت عنوان "الحديث المحمدي"، ضمنه آراء في بعض مباحث الحديث، و في عام 1958م طلع بكتاب عنوانه " أضواء على السنة المحمدية " و المؤَلف يدعي فيه مؤلفه دعاوي عريضة و لا يدلل عليها أو يحاول أن يدلل عليها فيعوزه الدليل أو يستدل فيأتي الدليل قاصر عن الدعوى[2].

موقفه من السنة النبوية :

و قد حمل على السنة و نقلتها فقد ذهب يطعن في صحاح الأحاديث في أصح مصادرها، و قد صرح بتكذيبه بأحاديث كثيرة وردت في البخاري و مسلم و غيرهما، و زعم أن صحاح كتب السنة حوت كثيرا من الإسرائيليات و المسيحيات على حد تعبيره، و قد ضرب بعرض الحائط بالقواعد و الموازين التي وضعها علماء الحديث لتبيين الصحيح من الباطل، و انظر إلى منهجه في التصحيح و التضعيف حيث يقول:" أصبحت على بينة من أمر ما ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من أن آخذ ما آخذ و نفسي راضية و أدع ما أدع و قلبي مطمئن و لا علي في هذا أو ذلك حرج أو جناح " فقد جعل عقله هو المقياس في قبول الحديث أو رفضه، و إذا رضينا منهجه هذا فإن السنة تصبح لعبة في أيدي الناس يكذب كل فريق بما صدق به غيره[3] .

و قد فتح أبو رية بكتابه هذا شرا كبيرا، و قد أخذ شبيهاته التي سطرها كثير من المغرضين الحاقدين فما من كاتب رام الهجوم على السنة إلا و كانت ظلمات أبي رية سببا في ذلك، و

---

[1] - فرهاد ديو سالار، مرجع سابق .

[2]– محمد محمد أبو شهبة، مرجع سابق، ص45 .

[3]– عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص27 . و انظر:

– أبوشهبة، مرجع سابق، ص05 .

حسبنا أن نعلم أن جذور أبي رية تمتد إلى ما كتبه أعداء الإسلام، و ليس هذا تقولا عليه و لكننا من فمه ندينه فقد جاء في كتابه قوله:" و من يشأ أن يستزيد من معرفة الإسرائيليات و المسيحيات و غيرها من الدين الإسلامي فليرجع إلى كتب الحديث و التاريخ و إلى كتب المستشرقين أمثال غولد زيهر و فون كريمر"[1] .

فإذا كان رجل من هذا الصنف يجعل كتب المستشرقين مرجعا يرجع إليه و يضرب صفحا عن الكتب الأصلية التي تناولت المنهج الإسلامي عامة و منهج الحديث خاصة، و يا ليته محص أقوال المستشرقين أو تتبع منهج المحدثين الذي وصل إلينا بعد قرون عديدة من الضبط، ليبين ما رآه خطأ أو غير ذلك، لكنه تبع منهج المستشرقين دون تمحيص و خالف منهج المحدثين دون قراءة و لا دريسة، فأنتج منهجا لا مستشرقا و لا مستعربا، بل يصح أن نسميه منهجا مستغربا، و لم يكن أبو رية يعتمد في ردوده و التدليل إلى ما يذهب إليه على الكتب الأصلية المعروفة بل يرجع إلى كتب جعلها المستشرقون مرجعا و هي في حقيقة الأمر من نافلة العلم عند العلماء، يقول الجندي في هذا الصدد:" و حين تراجع تلك الشبهات المثارة حول السنة فيما ذكره أبو رية حول الشريعة الإسلامية فيما أورده علي عبد الرزاق، تجد واضحا أن النصوص كلها المعتمد عليها مستمدة من كتب الروايات و نوادر المجالس، لا من كتب السنة و الفقه و ذلك هو المنهج العلمي الذي قدمه المستشرقون و أتباعهم لتزييف المفاهيم الأساسية و الأصلية، كالاعتماد على كتب ألف ليلة و ليلة و الأغاني و غيرها من الكتب، و اعتبارها مراجع للعلم الصحيح و إثارة الشبهات في وجه الحقائق العلمية الأصيلة"[2].

و قد ادعى أبو رية أن كثيرا من الأحاديث موضوعة معتمدا في ذلك كعادته على كلام المستشرقين، يقول أبوشهبة:" و قد نقل المؤلف كلاما عن دائرة المعارف الإسلامية في وضع الأحاديث جاء في آخرة" و على هذا لا يمكن أن نعد للكثرة من الأحاديث وصفا صحيحا لسنة النبي صلى الله عيه و سلم بل هي عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ في القرون الأولى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم و نسبت إليه عند ذلك فقط، و معنى ذلك أن

---

[1]- أبو رية، أضواء على السنة، ....ص148 .

[2]- الجندي، سموم الإستشراق ....، مرجع سابق، ص10 .

أكثر الأحاديث من آثار الوضع" قال أبو شهبة: " و قد مر على هذا الكلام دون أي تعليق و المعنى أنه يرتضيه و ما ذكره في كتابه ترديد لهذا المعنى".

و هذا القول فيه إسراف وشطط في الحكم فليست الكثرة من الأحاديث من آثار التطور في الإسلام في شيء, بل إن الأحاديث المدونة ثابتة بطرق النقد المعتمدة من علماء الحديث، و قد اعتنى بها الأئمة غاية الاعتناء و عنوا بنقد المتن و السند عناية فائقة، و نحن لا ننكر ما كان للخلافات السياسية و المذهبية و الكلامية من أثر الوضع و الاختلاف[1] وفي نفس الوقت نعتقد أنها محصت وبينت من طرف علماء الحديث .

و يقول أيضا أبو شهبة في موضع آخر في رده على من يطعنون في السنة:" و هذه دعوى قد سبق إليها المستشرقون و رددها من لف لفهم من الباحثين المحدثين و هي دعوى مردودة فالعلماء المحدّثون قد عنوا بنقد المتون كما عنوا بنقد السند، و من أقسام الحديث عندهم الموضوع و المتروك و المنكر و الشاذ و المقلوب و المضطرب و المعلل، و معظم هذه الأنواع يرجع إلى المتن كما يرجع إلى السند"[2] .

و يضيف أبو شهبة أيضا في موضع آخر:" لا أدري كيف سولت للمؤلف نفسه أن يزعم أن المحدثين حصروا عنايتهم في السند دون المتن و ماذا فعل بأنواع الحديث التي تتعلق بالمتن كالشاذ و المضطرب و المنكر و التعليل و الوضع و أمارات الوضع، كركاكة اللفظ و المعنى و المجازفات و المبالغات و المخالفة للحس و المشاهدة و تصريح القرآن و السنة المتواترة و الإجماع مع تعذر التأويل المقبول في كل ذلك، و الأمثلة في ذلك كثيرة " ثم قال:" لقد توسع المحدثون في نقد السند أكثر من المتن و الحق أن علماء الحديث كانوا أبعد غورا و أدق نظرا وأهدأ بالاً لم يجروا في نقد المتن الأشواط البعيدة التي أجروها في السند و ذلك لاعتبار ديني دقيق لاحظوه في السنة عند الاكتفاء بصلاح الراوي و تقواه و عدالته ظاهرا و باطنا و ضبطه و حفظه و توقيه الكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم, فلم يبق للمبالغة في نقد المتن "[3]، و قال في موضع آخر أيضا مبينا خطأ أبي رية في تحامله على علماء الحديث قال:" و ذكر أن علماء الحديث قد بذلوا أقصى جهدهم في دراسة علم الحديث من حيث روايته، حيث

1- أبو شهبة، مرجع سابق، ص74-75 .

2- نفســـــه، ص282-283 .

3- أبو شهبة، مرجع سابق، ص46-49 .

أهملوا جميعا أمرا خطيرا كان يجب أن يعرف قبل النظر في هذا العلم و درس كتبه، و ذلك هو البحث عن حقيقة النص لما تحدث به النبي صلى الله عليه و سلم و هل أمر بكتابة النص بلفظه عند إلقائه أو تركه و نهى عن كتابته ؟ و هل دونه الصحابة من بعدهم أو انصرفوا عن تدوينه؟ و هل ما روي منه قد جاء مطابقا لحقيقة ما نطق به النبي صلى الله عليه و سلم لفظا و معنى، أو كان مخالفا له ؟ و قال في موضع آخر: على أن الحديث بهذه المكانة الجليلة فإن العلماء و الأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية و الدرس، و تركوا أمره لمن يسمون رجال الحديث يتناولونه فيما بينهم و يدرسونه على طريقتهم، و طريقة هذه الفئة التي اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تتغير و لا تتبدل فترى المتقدمين منهم وهم الذين وضعوا هذه القواعد ثم حصروا عنايتهم في معرفة رواة الحديث و البحث قدر الوسع في تاريخهم و لا عليهم إن كان ما يصدر من هؤلاء صحيحا في نفسه أو غير صحيح معقول أو غير معقول، ثم جاء المتأخرون منهم فقعدوا وراء الحدود التي أقامها من سبقهم و وقف هؤلاء عند ظواهر الحديث كما أدت إليه الرواية من غير بحث و لا تمحيص لها" قال أبو شهبة:" و قد تأثر المؤلف بالمستشرقين الذين لم يمكنهم أن يتحرروا من سلطان الهوى و التعصب في هذا البحث بل و الحق يقال لقد أسرف في الحكم على الأحاديث أكثر مما أسرفوا حتى جاء بحثه ضغثا على إبالة ....،إن علماء الأدب و أضرابهم ممن ليسوا من رجال الحديث و صيارفته أكرم على أنفسهم من أن يقفوا ما ليس لهم به علم و أن يزجوا بأنفسهم في علوم و معارف ليسوا أهلا لها، و محاولة المؤلف في غير موضع من كتابه الازدراء بالمحدثين و غمزهم و لمزهم و رميهم بالجمود و إن ما وضعه المحدثون من قواعد لنقد الراوي و المروي هي أدق و أوفى ما وصل إليه علم ... و لا أكاد أعلم للمؤلف سلفا في الطعن في هذه الأحاديث من الأئمة اللهم إلا المستشرقين الذين كان لهم دخل كبير في التأثير على أبناء المسلمين وغيرهم من المفكرين "[1] .

افتراء أبي رية على الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه :

بعد أن نال أبو رية من السنة و من الأحاديث الكثيرة الواردة و طعن فيها، طعن في الصحابة عامة و في أبي هريرة بصفة خاصة، ولقد اختار أبا هريرة بالضبط لأنه أكثر

---

[1]- أبو شهبة، مرجع سابق، ص4-5، ص41،ص45 .

الصحابة رواية للحديث، فطعن فيه حتى لا تقبل أحاديثه الكثيرة التي رواها ، و هو بهذا يتبع المستشرقين حذو القذة بالقذة, قال أبو شهبة:" و بعض هؤلاء المثقفين كانوا أشد من المستشرقين هوى و عصبية و عداء ظاهرا للسنة وأهلها و زاد عليهم في العبارة و أتى في تناوله للصحابة و لا سيما الصحابي الجليل أبو هريرة بألفاظ نابية عارية عن كل أدب و مروءة, و ذلك كما صنع أبو رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية، و شتان ما بين صنيع الأستاذ أحمد أمين و بين ما صنع أبو رية و الفرق بينهما الفرق بين العالم و المدعي و الباحث الأصيل و المتعلق بأذيال الباحثين "[1]، و قال في موضع آخر" و قد عرض أبو رية في كتابه لترجمة الصحابي الجليل أبي هريرة فيما يزيد عن خمسين صفحة و لم يدع منقصة و لا مذمة إلا ألصقها به، على أن الفضل معقود لأبي هريرة فقد نال من غيره من الصحابة كما نال منه و جرحهم كما جرحه و تهكم بجمهور أهل العلم الذين قالوا إن الصحابة كلهم عدول و قوّلهم ما لم يقولوه "[2]، و قال د.الأشقر" و قد أسفَّ في حملته على أبو هريرة و مما قال فيه" و سجل التاريخ أنه كان أكِلاً نهما يطعم كل يوم في بيت النبي صلى الله عليه و سلم أو في بيت أحد أصحابه حتى كان بعضهم ينفر منه "[3]،قال عمر سليمان الأشقر:" و كذب بالأحاديث التي وردت من طريق هذا الصحابي الجليل "[4] , في هذا الصدد يقول أبو شهبة:" لقد تحامل تحاملا لا يرتضيه المنصفون لذي دين و خلق عن صحابي من الصحابة و هو أبو هريرة، و لكل باحث أن يبدي النقد في حدود القواعد الصحيحة، و يجب للناقد أن يأخذ نفسه بأدب النقد و أن يراعي النَصفة و أن يكون عفيف القول كريم التعبير مترفعا عن الإسفاف كما هو شأن العلماء، ومن بين قوله فيه" و لقد استخفه أشره و زهوه و نم عليه أصله فخرج عن حدود الأدب و الوقار مع هذه السيدة الكريمة فكان يقول بعد هذا الزواج الذي ما كان يحلم به " إني كنت أجيرا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني فكنت إذا ركبوا سقت بهم و إذا نزلوا خدمتهم، فأنا الآن أركب فإذا نزلت خدمتني... إلخ" و يعلق على ذلك بقوله:" أنظر إلى هذا الكلام الذي تعرى عن كل مروءة و اتسم بكل دناءة و لؤم فتجده يتباهى بامتهان زوجته و التشفي منها، و هل يفعل مثل ذلك رجل

---

[1]- نفســـــه، ص07 .

[2]- أبو شهبة، مرجع سابق، ص107 .

[3]- أبو رية، مرجع سابق،، ص154 .

[4]- سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص27 .

كريم خرج من أصل عريق "[1]، قال أبو شهبة" و حسبي أن أضع هذه العبارات التي نضحت بها نفس الأديب بين يدي القراء و سأدع الحكم عليها لمحكمة الأدب السامي و الضمير الإنساني, و سيكون الحكم و لا ريب قاسيا "[2] .

و إنك من سوء تعامل أبي رية مع أبي هريرة رضي الله عنه و سوء أدبه معه، و قد أصاب أبو شهبة حين قال سيكون الحكم و لا ريب قاسيا، ولأي منصف أن يقول أن أبا رية هو الذي تنطبق عليه الأقوال التي قالها، فقد خرج عن حدود الأدب جملة وتفصيلا، إذ لو كان الأمر بخلاف هذا لاستقرأ جل الكتب التي ترجمة لأبي هريرة و لو كان منصفا لذكر محاسن الصحابي و كفى بالصحبة فخرا لما شُهد لها بالخيرية، فلو قرأ عنه متجردا عن الهوى لكان كلامه مقبولا، فقصده النيل من السنة و ذلك بالطعن في رجالها، فليتدبر من له مزعة عقل هذا المنهج الفاسد القبيح من الإتباع الأعمى لأعداء الأمة و تأصل الفكر الإستشراقي عقول المنبهرين به و بالتالي إنتاج فكر مشابه إن لم نقل أخطر منه .

و أضاف أبو شهبة في مكان آخر من كتابه دفاع عن السنة" لم أجد أحدا من الصحابة فيما أعلم تعرض لسهام النقد الظالم بمثل ما تعرض له الصحابي الجليل أبو هريرة، و هذه الحملة تضرب في القدم إلى أمد بعيد، فقد نقل لنا العلامة ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث الكثير مما رمي به أبو هريرة في القديم من النظام و أمثاله من أهل البدع و الأهواء[3]، و لم نر أحدا يعتد به من أئمة العلم في الإسلام تعرض لأبي هريرة بما ينقص من شأنه أو يحط من قدره، ثم جاء بعض المستشرقين فوقعوا على أقوال هؤلاء المتحاملين فأخذوا و زادوا و أعادوا فيها، ثم طلعوا علينا بآراء خاطئة و أحكام جائرة و لعل من نافلة القول أن أنبه إلى الأغراض السيئة التي يقصدها المستشرقون من وراء حملاتهم و التي هي امتداد للحملات الصليبية و يقصدون منها تقويض دعائم الإسلام و العروبة "[4] .

و يذكر أبو رية في مكان آخر في المواصلة في طعنه في أبي هريرة رضي الله عنه قائلا:" كان أبو هريرة يذكر عن نفسه أنه كثير النسيان لا تكاد ذاكرته تمسك شيئا مما يسمعه، ثم زعم أن

1- أبو رية، مرجع سابق، ص187 .

2- أبو شهبة، مرجع سابق، ص42-43 .

3- إبن قتيبة، مصدر سابق، ص38-43 .

4- أبو شهبة، مرجع سابق، ص12 .

النبي صلى الله عليه و سلم دعا له فأصبح لا ينسى شيئا يصل إلى أذنه و ذكر ذلك لكي يسوغ كثرة أحاديثه و يثبت في أذهان السامعين صحـــة ما يرويه "[1]، روى عن الأعرج قال سمعت أبا هريرة يقول:" إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و الله الموعد، كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله على ملء بطني و كان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق و كانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم فقال رسول الله" من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه مني " فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه ثم ضممته إلي فما نسيت شيئا سمعته منه "[2]، قال أبو شهبة :" و إن هذا ليس من بنات أفكاره و إنما هو كلام "غولد زيهر" فأبو رية لم يكن إلا بوقا يردد كلام هذا المستشرق و إن كان و الحق يقال أعف من المؤلف "[3]، و غاية ما يمكن قوله أن أبا رية اعتمد على أقوال المستشرقين في الحكم على رموز الإسلام و حملة الدين، و ها هو أبو شهبة يكشف لنا هذا الموقف فيقول:" و بعد كل هذا لم يجد المؤلف بدا من أن يعلن بعد المداراة و الإستخفاء و يكشف لنا عن مصدره الذي أورده المهالك فنقل في الصفحة (171) ما قاله "غولد زيهر" المستشرق اليهودي في أبي هريرة رضي الله عنه، و الوقوف من أحاديثه موقف الحذر و رمي "شبرنجر" له بأنه المتطرف في الإختلاق... إلى آخر ما قال، و كلها فِرَى ظاهرة مكشوفة لم تقم عليها أثارة من علم، و قد تعرضت في ردي لكل ما ذكره فكن على ذكر منه و لا تعجب من هذا، فإن" أبا رية" قد أخذ كلام "غولد زيهر" و نفخ فيه ما شاء له هواه و جهالته بالحديث أن ينفخ فيه حتى جعل من الحبة قبة، و من الكذب سرابا يظنه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، و قد ظهر لك أبو رية على حقيقته دَعِيٌ متطاول سليط اللسان و سارق بارع يسطوا على أفكار الناس و آرائهم و يتبجح بها لنفسه "[4]، و ما لنا تعليق على القول إلا أن نقول قد تبين الرشد من الغي لكل من يريد معرفة الحق من الباطل .

نعم هذا هو منهج أبي رية في التعامل مع سنة النبي صلى الله عليه و سلم، و هو منهج استقاه من عند المستشرقين، يقوم على الكذب و الشك و التحريف و الظن و التخمين و اتباع الهوى، و

1- أبو رية، مرجع سابق، ص177 .

2- المنذري، مختصر صحيح مسلم ...، مصدر سابق، ص451-452 .

3- أبو شهبة، مرجع سابق، ص164-165 .

4- نفســـه، ص146 .

لو طبق هذا المنهج على أي علم من العلوم لأهلكه و لأفسده، و صدق من قال من تلكم في غير فَنِّه أتى بالعجائب، و أبو رية هنا أتى بالطامات المهلكات و يا ليته انتفع بنقد العلماء له بعدما تبين خطأه، بل إن محاولت الأخذ عن المستشرقين بلا تعقل و لا روية تعتبر وصمة عار لا تنفك عن صاحبها إلاّ أن يرجع إلى الصواب .

المطلب الرابع : لمحة عن حياة محمــد أركــون وتأثره بالمستشرقين .

هو أمازيغي جزائري من "تاوريرت ميمون" بمنطقة القبائل، ولد عام 1929م و درس في جامعة الجزائر أيام الإستعمار الفرنسي، ثم التحق بفرنسا و بها حصل على الدكتوراه عام 1969م عن بن مسكويه، و رقي في سلك التدريس هناك حتى نصب أستاذا في جامعة السربون الجديدة (جامعة باريس الثالثة)، و له الكثير من الدروس و المحاضرات التي دأب على جمعها و نشرها في الكتب .

لقد كان هذا الرجل خلال عقد الثمانينات علما تستفتيه الصحف و المجلات الفرنسية في كل ما يتصل بالإسلام، لكن الأضواء التي سلطت عليه أو سلطها على نفسه ما لبثت بعد ذلك أن أصابها الكسوف, و هو الآن يتنقل بين إندونيسيا و فرنسا للتدريس, له الكثير من الدروس و المحاضرات التي دأب على جمعها و نشرها في الكتب.

يقول عبد الرزاق بن هرماس:" و من جرأة الكاتب على السنة النبوية أنه قال:" و أما الأمر مع الحديث فإن القضية أشد عسرا، و ذلك أن الحديث ليس إلا اختلاقا مستمرا فيما عدا بعض النصوص القليلة التي يصعب تحديدها و حصرها " و يعلق د. عبد الرزاق على هذا بقوله" و لن يخفى عن المطلع أو المتتبع مصدر هذا الكلام، بحيث يصادفه الدارس بحذافيره في كتابات غولد زيهر و شاخت و هنري كوربان[1] و بلاشير[2] و غيرهم من المستشرقين الذين جلس

---

[1]- هنري كوربان(1903–1978): مستشرق فرنسي من أسرة بروتستانتية, ولد في مقاطعة نورماندي شمال فرنسا, ميولاته كلها صوفية، وهو من تلاميذ لوي ماسنيون الذي اعتنى بكتب الحلاج وكذلك تلميذه كوربان اعتنى بكتب السهروردي المقتول و بكل كتبه, ومن كبريات أعماله : "في الإسلام الإيراني"ونشر عدة كتب تتكلم عن الصوفية والصوفيين (عبد الرحمان بدوي ص482–485).

[2]– بلاشير ريجي, (1900–1973م): مستشرق فرنسي, رحل إلى المغرب وأكمل دراسته فيها, وعين ملاحظا في مدرسة مولاي يوسف بالرباط, وحصل على اللسانس في جامعة الجزائر, وكان موضوعه في الدكتوراه حول أبي الطيب المتنبي, وله ترجمة القرآن باللغة الفرنسية, وكتاب حول رسول الله .(عبد الرحمان بدوي, ص127).

الكاتب تحت أقدامهم ... و إن كان هذا الكاتب قد أضحى ــ عن جدارة ــ أكثر جرأة من أساتذته على الله و كتابه و على سنة نبيه صلى الله عليه و سلم و على شريعة الإسلام ... و يمكن للقارئ أن يدرك بسهولة كيف انسلخ أركون من انتمائه لبلد إسلامي هو الجزائر ليتقمص في تكلف ظاهر مقالات أساتذته المستشرقين حتى يتاح له البقـــاء في الغرب "[1] .

و لقد لقيه بعض الزملاء من طلبة العلم في إندونيسيا و سمع منه بعض المحاضرات و أكد لنا أنه من أكبر الكتاب تجريحا و استنقاصا من الشريعة الإسلامية عامة، و هو الآن يتنقل بين أوربا و إندونيسيا ناشرا أفكاره في المجتمع أينما حل، وقد يعتبره كثير من الناس اليوم من المفكرين المشهورين الذين ساهموا بقلمهم في الذب عن شريعة الإسلام ولكن لكل قلم نبوة, وما أردنا الإستنقاص من هؤلاء المفكرين بل لنحذر شبابنا المسلم من الوقوع فيما وقعوا فيه من الأخطاء الخطيرة, ولا تعدو أن تكون هذه الشخصيات نماذج فقط، وغيرهم كثير و الله أعلم وهو المستعان.

1- عبد الرزاق إسماعيل هرماس، مرجع سابق، ص119، ص124 .

الخـــاتمـــــة

الخاتمـــــة :

بعد أن يسر الله لنا إنجاز هذا البحث المتواضع و الذي نتمنى أن يكون من الإســهامات في إثراء المكتبة الإسلامية رغم صغر حجمه و قلة باع صاحبه و بضاعته المزجاة .

تناولنا أبرز الشبه التي بنى عليها المستشرقون مناهجهم و آراءهــم و مــواقفهم و قــد تمحورت شبههم حول :

– سند الحديث و عدم جدواه في حفظ و استظهار السنة النبوية .

– الإدعاء بتأخر التدوين و ضياع العلوم المنقولة بغير تدوين أولي لها، مما حدى بهم إلــى إنكار التركة الحديثية المنقولة عن جلة الصحابة جيلا بعد جيل.

– فتح باب عريض جدا تمثل في الوضع في الحديث و سهولة ذلك لتأخر التدوين، مما جعل الأحاديث النبوية المنقولة بالسند لا ترقى إلى درجة الإحتجاج.

– وصم الشريعة الإسلامية بأنها متغيرة و متطورة و غير ثابتة في أصولها، لأنها تعرضت للزيادة و النقصان من جراء كثرة الوضع و تأخر التدوين.

– رمي المنهج الإسلامي النقدي بالقصور و التذبذب.

و بعد دراسة هذه المواقف من المستشرقين خرجنا بالنتائج التالية:

– أن استعمال السند كان في فترة زمنية متأخرة عن وفاة النبي صلى الله عليه و سلم، و كان استعماله للتأكد من سلامة المروي و النظر في الراوي و حاله من حيث العدالة و الــسلامة من القوادح المعلومة لدى أهل هذا الفن.

– أن التدوين و إن تأخر فعلا لا ينفي وجود الكتابة و الفرق بينهما جلي.

– أن الأحاديث النبوية لم تحفظ بالسند و التدوين، و إنما حفظت بواسطة الصدور الواعية و الذاكرة الوقادة التي حبى الله بها صحابة رسول الله، ولا بد أن نعْتَبِر بحالهم في الجاهليــة و حفظهم أنسابَهم و أشعارهم و مواقعهم دون تبديل أو تغيير, فليس من المستحيل حفــظ ســنة النبي عليه الصلاة والسلام .

– أنه يستحيل نحل الأحاديث و وضعها بهذه السهولة التي أسس لها المستشرقون، و الــذي يحول دون ذلك المدارس الحديثية المعروفة, وذلك بسهولة معرفة مخارج الحديث و رواتــه مما يغلق الباب أمام الوضاعين .

– رغم وجود الوضع حقيقة لا ينبغي تجاهل هذه المؤلفات التي ذكرنا بعضها في غضون البحث في الرد على هذه الشبهة، و حال المستشرقين في هذا المجال كالذي ينكر ضوء الشمس في رائعة النهار .

– أن تطور الحديث أو بالأحرى الشريعة الإسلامية بالمفهوم الذي روج له المستشرقون خطأ، و إنما الشريعة الإسلامية أصولها ثابتة مع مرونتها من خلال الاستنباط، مع صلاحيتها لكل زمان و مكان .

– أن منهج النقد عند المستشرقين ينبني على الدس و التضليل و تبديل الحقائق و تزييفها، و ما نقلناه عنهم من هذه الأباطيل غيض من فيض و قطرة من بحر، لذا فإنه يصلح أن يطلق عليها مواقف لا غير، لأنها تعبر عن أصحابها و ليس لها صلة بالبحث العلمي الأصيل .

– دقة المنهج السندي عند المسلمين، و ذلك من خلال نقد الراوي و المروي، و القواعد التي وضعت لذلك حيث تعد المكتبة الحديثية أوسع مكتبة في الإسلام، و كل ذلك من أجل حفظ السنة النبوية من التغيير و التحريف .

– أن النقد الإسلامي للمرويات الحديثية اعترف به القاصي و الداني، حتى المخالفون أنفسهم و الخير ما شهدت به الأعداء .

– إن أبرز المفكرين الذين أسسوا صرح الثقافة العربية, وقعوا في شرَك الاستشراق وحباله.

وأخيرا وليس آخرا نرجو من الله أن تتضافر الجهود مِن بني جلدتنا في إحباط هذه المؤامرة التي تهدد الشباب الإسلامي وذلك بتأليف وتحقيق الكتب والموسوعات والقواميس المختلفة خاصة منها التي أصبحت قبلة الشباب لمعرفة دينه .

الفهـــــارس

فهرس الآيات:

-" إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له افظون"..2.

- " ولَنْ ترْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ ولاَ النَّصَارَى .... "40.

- "وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا" .... 40.

- " وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ....40.

- " يوم لا ينفع مال ولا بنون..."49.

- " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ"..................................53.

-" و يمكرون و يمكر الله و الله خير الماكرين"...78.

-"اليوم أكملت لكم دينكم"..81.

-"وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا"..91.

-" مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ"..91.

- "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاَ مُؤْمِنةٍ..."91.

فهرس الأحاديث

- " اكتبوا لأبي فلان "..101.
- " إن الله إذا أنعم على عبد نعمة"............................... 70.
- " إن الحكمة لتنزل من السماء".. 70.
- " إشربوا و لا تسكروا "..80.
– أرأيتكم ليلتكم هذه"..120.
- " إيتوني بصحيفة أكتب لكم"...129.
- " بلغوا عني و لو آية"...127.
-" حبب إلي من دنياكم النساء و الطيب "................................ 70.
-"سئل عن الضب فقال : لست بآكله".. 73.
- " لا تكتبوا عني"..100.
- " لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة.."....................119.
- " ما أسكر كثيره فقليله حرام"..80.
- " من يبسط ثوبه"...137.

فهرس الموضوعات

المقدمـــــه ....أ.

الفصل الأول: مباحث حول الإسنـــــاد ....1.

مدخل حول الموضوع و أهميته...2.

التعريف بالمصطلحات المتعلقة بالبحث...3.

الحديث ....3.

المنهج ....4.

المستشرقون ....5.

موقف ....6.

السند ....7.

المطلـــــــب الأول : أقـــــوال العلمـــــاء فـــــي ســـــند الحـــــديث و أهميته....................................7.

المطلـــــــب الثـــــاني : بيـــــان أن الإسنـــــاد مـــــن خـــــصائص الأمـــة...............................11.

المبحث الثاني: الإسنـــاد عند أهـــل الكتـــاب...14.

المطلب الأول :الإسناد عند اليهود ....16.

المطلـــــــب الثـــــاني :الإســـــناد عنـــــد النـــــصارى ....18.

الفصل الثاني: مباحث حول الاستشراق و المستشرقين ....22.

مبحث تمهيدي...22.

المبحث الأول : مباحث حول الإستشراق......................................26.

المطلب الأول : تعريف الاستشراق ....26.
المطلب الثاني : ظهور الاستشراق و تطوره ....29.
المطلب الثالث : أهــداف الاستشـــراق ....31.
المطلب الرابع : ميادين الاستشراق ....33.
المبحث الثاني : دوافع الاستشراق ....34.
المطلب الأول: الدافــع الدينـــي و الاديولوجي..................................36.
المطلب الثاني: الدافــع الإستعمـــاري و السياســـي ....39.
المطلب الثالث: الدافــع العلمـــي ....42.
المطلب رابع : الدافــع التجـــاري ....44.
المطلب خامس: الدافــع الأدبي و الفني ....45.
المطلب السادس: الدافع النفسي ....46.
المبحث الثالث: موقف العلماء ومفكري الإسلام من الاستشراق...............................47.
المطلب الأول: المؤيدون...47.
المطب الثاني: المعارضون...48.
المطلب الثالث:المتوسطون...51.

الفصل الثالث :

أهم المستشرقين الذين تكلموا على الإسناد و نبذة عن حياتهم و مؤلفاتهم.......57.
المبحث الأول : أهم المستشرقين الذين تكلموا عن الإسناد ....58.
المطلب الأول: غولد زيهر ....58.
منهجه في العمل ....59.
مؤلفاته...60.
وفاته...62.
المطلب الثاني: جوزيف شاخت ....62.
المناصب التي تقلدها ....62.
المطلب الثالث: دوزي ....63.

أهم مؤلفاته ....63.

المبحث الثاني :

خلاصة شبهة المستشرقين حول نظام الإسناد.........65.

المطلب الأول : شبه المستشرقين حول السند ....65.

موقف غولد زيهر من السنة ....68.

زيهر و شبهة السند ....70.

طعن غولدزيهر في رواة الحديث ....71.

موقف شاخت من السنة ....71.

المطلب الثاني:

شبـــه المستـــشرقيـن حـــول زعـــم تطـــور الحـــديث عنـــد المـــسلمين ....78.

المطلب الثالث: شبـــه المستشرقيـــن حول الوضـــع ....82.

المطلب الرابع: شبه المستشرقين حول تدوين الحديث ....95.

المطلـــب الخـــامس: شـــبه المستـــشرقين حـــول مـــنهج النقـــد عنـــد المسلمين.....................104.

ضوابط المسلمين في الرواية ....106.

الفصل الرابـــع: أهم المفكرين الذين تأثروا بشبه المستشرقين وشيء من ترجمتهم .

المبحث الأول :

ضرورة إيجاد البديل عن كتب المستشرقين بتواليف إسلامية متخصصة................113.

المبحث الثاني:

المفكرين الذين تأثروا بشبه المستشرقين ونبذة عن حياتهم............................116.

المطلب الأول: ترجمة أحمد أمين ومدى تأثره بالمستشرقين. ....117.

منهج أحمد أمين في التعامل مع السنة.................................120.
أسباب الوضع عند أحمد أمين و الرد على ذلك.............................127.
بداية الوضع عند أحمد أمين والرد على ذلك..............................128.
المطلب الأول: لمحـــة عـــن حيـــاة طـــه حـــسين ومـــدى تـــأثره بـــالمنهج الاستـــشراقي ....130.
المطلب الأول : تأثر أبو رية ....133.
موقفه من السنة النبوية ....133.
افتراءه على أبي هريرة رضي الله عنه...................................136.
المطلب الرابع: تأثر محمد أركون ونبذة من حياته ....140.
الخـــاتمـــة ....142.
فهرس الآيات...145.
فهرس الأحاديث..146.
قائمة المصادر و المراجع ....146.
فهرس الموضوعات ....160.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

القــرآن الكريــم :

المصـــــــادر :

1- ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم)(ت728هـ)، مجمــوع الفتــاوى، جمع و ترتيب محمد بن القاسم، ط1، مطابع الرياض، 1381هـ .

2- // // ، التفسيــر الكبيــر، تحقيق و تعليق عبد الرحمان عميرة، دار الكتب العلميــة، بيروت-لبنان.

3- ابن جماعة (بدر الدين)، المنهل الروي مختصر علوم الحديث النبوي، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان، ط2، دار الفكر دمشق سورية، 1975م .

4- ابن حبان (محمد)(ت354هـ)، المجروحين من المحــدثين و الــضعفاء و المتــروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط2، دار السوعي حلب، 1402هـ.

5- ابن حزم (أبو محمد محمد علي بن أحمد الظاهري)(ت456هـ)، الفصل فــي الملــل و الأهواء و النحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر و عبد الرحمان عميرة، ط1، شــركة مكتبــات عكاظ للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية، 1402هـ/1982م .

6- ابن حنبل (أحمد بن محمد)(ت242هـ)، المســنــد، تحقيق أحمد محمد شاكر، مكتبــة التراث الإسلامي القاهرة .

7- ابن خلدون (عبد الرحمن)(ت808هـ)، مقدمـــة، و هي مقدمة لكتابه المسمى العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، دار الكتب العلمية، 1993م .

8- ابن قتيبة (أبي عبد الله بن مسلم)(ت276هـ)، تأويل مختلف الحديث، صححه و ضبطه محمد زهري النجار، دار الجيل بيروت، 1411هـ/1991م .

9- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)، البدايــة و النهايــة، ط1، مكتبة الصفا، 2003م .

10- البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت الخطيب)(ت463هـ)، شرف أصحاب الحديث، حققه و خرج أحاديثه و آثاره عمرو عبد المنعم سليم، ط1، مكتبة ابن تيمية القاهرة، 1417هـ/1996م .

11- // // ، الرحلة في طلب الحديث، حققه و علق عليه نور الدين عتر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1395هـ/1975م .

12- // // ، تقييد العلم، صدره و حققه و علق عليه يوسف العش، ط2، دار إحياء السنة النبوية، 1974م .

13- البيهقي (أحمد بن الحسين) السنن الكبرى, دائرة المعارف الهند, ط1, 1344هـ .

14- الجوزية (ابن قيم)(ت751)، نقد المنقول و المحك المميز بين المردود و المقبول، تصحيح حسن السماحي سويدان، ط1، دار القادري-بيروت، 1990م .

15- الحنبلي (ابن رجب)(ت795هـ)، شرح علل الترميذي، تحقيق نور الدين عتر، ط1، دار الملاح للطباعة، 1978م .

16- الحموي (ياقوت)(ت626هـ)، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1410هـ/1990م .

17- الذهبي (شمس الدين)(ت748هـ)، ميزان الإعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة بيروت لبنان، 1382هـ/1963م .

18- // // ، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1374هـ .

19- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)(ت794هـ)، البرهان في علوم القرآن، ط2، دار الفكر، 1391هـ/1972م .

20- الرازي (محمد عبد الرحمان بن أبي حاتم)(ت327هـ)، الجرح و التعديل، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية-حيدر أباد الدكن-الهند، 1371هـ .

21- السجستاني (سليمان بن الأشعث)(ت275هـ)، سنن أبي داوود، مراجعة صالح عبد العزيز آل الشيخ، ط3، دار السلام للنشر و التوزيع، الرياض، 1421هـ .

22- السيوطي (جلال الدين)(ت911هـ)، ألفية السيوطي في علم الحديث، تصحيح و شرح أحمد محمد شاكر، دار الرجاء -الجزائر .

23- السيوطي (جلال الدين)(ت911هــ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، شرح ألفاظه و علق عليه أبو عبد الرحمان صلاح بن محمد بن عويضة، ط1، دار الكبت العلمية، بيروت-لبنان، 1417هــ/1996م .

24- الشهرزوري (أبو عمرو عثمان بن الصلاح)(ت643هــ)، المقدمة في علوم الحديث، تحقيق مصطفى البغى، دار الهدى عين مليلة-الجزائر.

25- الطبري (محمد بن جرير)(ت310هــ)، تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف- القاهرة .

26- الطبراني(سليمان بن أحمد), المعجم الكبير,ط2, مكتبة العلوم والحكم، الموصل-العراق,1983 .

27- العسقلاني (الحافظ أحمد بن علي بن حجر)(ت852هــ)، نزهة النظر بشرح نخبة الفكر في مصطلح حديث أهل الأثر، علق عليه محمد كمال الدين الأدلهى، شركة الشهاب-الجزائر .

28- // // , تهذيب التهذيب, ط1، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1404هــ/1984م .

29- // // , هدي الساري، و هي مقدمة كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري، عن الطبعة التي حقق أصلها عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبها و أبوابها و أحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، دار التقوى، مكتبة العلم-القاهرة، 2000م.

30- // // , النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق ربيع بن هادي، ط1، دار الراية، 1417هــ .

31- المنذري (زكي الدين عبد العظيم)(ت656هــ)، مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط1، قصر الكتاب البليدة، دار ابن عفان للنشر و التوزيع-المملكة العربية السعودية، المكتبة الإسلامية عمان-الأردن، 1411هــ

32- النووي (محيى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف)(ت676هــ)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، خرج أحاديثه صلاح عويضة راجعه لغويا محمد شحاته، دار المنار القاهرة، 1423هــ/2003م .

33- // // ، ما تمس إليه حاجة القارى لصحيح الإمام البخاري، تحقيق علي حسن عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
34- النيسابوري (الحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله)(ت405هـ)، معرفة علوم الحديث، تعليق السيد معظم حسين، دط، دت.

المـراجـع :

1- الألوسي (محمد عادل)، التراث العربي والمستشرقون، ط1، دارالفكر العربي، القاهرة، 1412هـ/2001م .
2- ابن نبي (مالك)، الظاهرة القرآنية، ط4، دار الفكر- الجزائر،1987م
3- أبو الزهو (محمد)، الحديـث و المحدثـون، دار الكتاب العربي، 1984م .
5- أبو شهبة، دفـاع عن السنـة، دط، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، دت .
5- الأعظمي (محمد مصطفى)، دراسات في الحديث النبوي و تاريخ تدوينه، ط3، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، العمارية الرياض، 1981م .
6- // // ، المستشرق شاخت و السنة النبوية، مبحث مأخوذ من كتاب يحي مراد، إفتراءات المستشرقين .
7- // // ، دراسات في الحديث النبوي و تاريخ تدوينه، ط3، شركة الطباعـة العربيـة السعودية المحدودة، العمارية الرياض، 1981م .
8- أمين (أحمد)، فجـر الإسـلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1929م .
9- آل سلمان (أبي عبيدة مشهور حسن)، كتب حذر منها العلماء، تقديم الشيخ بكر عبد الله أبو زيد، ط1، دار الصميعي- المملكة العربية السعودية، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، 1415هـ/1995م .
10- البقاعي (علي نايف)، الإجتهاد في علم الحديث و أثره في الفقه الإسـلامي، ط1، دار البشائر الإسلامية بيروت-لبنان، 1419هـ/1998م.

11- التهانوي (محمد علي الفاروق)، كشف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، وزارة الثقافة و الإنشاء القومي، 1382هـ- 1963م.
12- الجندي (أنور)، معلمة الإسلام، دار الصحوة، القاهر1991م .
13- // // ، سموم الإستشراق و المستشرقين في العلوم الإنسانية، دار الشهاب-باتنة، 1987م .
14- الجوابي (محمد طاهر)، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي، د.ط ،مؤسسة الكريم عبد الله 1406هـ/1986م .
15- الجوابي (محمد طاهر)، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي، دط، مؤسسة الكريم عبد الله، دت .
16- الحاج (خالد محمد علي)، الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونواقض التوحيد، تحقيق عبد الله الإنصاري، ط1، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر1983م .
17- حسين (طه)، إسلاميات، دار الكتاب اللبناني، 1982م، .
18- حسين (محمد توفيق)، من زيهر إلي واط، عالم الفكر .
19- حكمي (مصطفى)، الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث، دار الدعوة – القاهرة، 1998م .
20- حمادة (فاروق)، المنهج الإسلامي في الجرح و التعديل، ط3، دار طيبة للنشر و التوزيع-الرياض، 1418هـ/1998م .
21- حماية (محمود علي)، دراسات في الكتاب المقدس، ط2، مكتبة النافذة، جيزة-مصر، 2006م .
22- حمدان (عبد الحميد صالح)، طبقات المستشرقين، دط، دت، د. دار الطبع .
23- زقزوق (محمد حمدي)، الإستشراق والتاريخ الإسلامي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م .
24- // // ، الإسلام في الفكر الغربي، ط3، دار القلم، الكويت، 1986م .
25- الزهراني (محمد بن مطر)، تدوين السنة النبوية نشأته و تطوره، ط1، دار الهجرة-الرياض، 1996م .

26- // // ، علم الرجال نشأته و تطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، ط1، دار الهجرة –السعودية, 1417هـ/1996م .

27- الزين (سميح عاطف)، الثقافة و الثقافة الإسلامية، ط4، الشركة العالمية للكتــاب، دار الكتاب العالمي، بيروت- لبنان، 1993م .

28- زيهر (غولد)، كتاب العقيدة و الشريعة، دار الرائد العربي، بيروت –لبنان .

29- الساموك (سعدون محمود)، الوجيز في علم الإستشراق، ط1، دار المناهج-الأردن، 1423هـ-2003م .

30- السباعي (مصطفى)، السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، دط ، دت.

31- السكوت (حمدي)، مارسدن جونز، أعلام الأدب المعاصر في مصر، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة-مصر،1401هـ،1981م .

32- السماحي (محمد محمد)، المنهج الحديث في علوم الحديث، ط1، المكتبة العصرية، بيروت-صيدا .

33- سمايلوفتش (أحمد)، فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي-القاهرة، 1418-1998م .

34- صالح (محمد أديب)، لمحات في أصول الحديث, ط5, المكتب الإسلامي- بيروت, 1988م .

35- الصباح (عبد الكريم اسماعيل)، الحديث الصحيح و منهج علماء المسلمين في التصحيح، ط1، مكتبة الرشد الرياض 1419هـ/ 1998م .

36- العاني (عبد القهار)، الإستشراق و الدراسات الإسلامية، ط1، دار الفرقان-عمان، 2001م .

37- عبادة (عبد اللطيف)، صفحات مشرقة من فكر مالك ابن نبي، ط1، دار الشهاب باتنة-الجزائر، 1404هـ/1984م .

38- عبد الخالق (عبد الغني)، حجيــة السنـــة، ط1، دار القرآن الكريم ألمانيا الغربية-شتوتغارت، 1986م .

39- عبد الرزاق (أحمد جاد)، فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416هـ/1995م .

40- عبد السلام (محمد) و آخرون، دراسات في الثقافة الإسلامية، ط5، مكتبة الفلاح- الكويت، 1987م .

41- العربي (أحمد عبد الكريم)، الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، تحقيق أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، 1418هـ/1998م .

42- العقاد (عامر)، أحمد أمين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت-لبنان .

43- العقيقي (نجيب)، المستشرقون، ط4، دار المعارف، القاهرة 1919م.

44- العلي (إبراهيم)، صحيح السيرة النبوية، تقديم عمر سليمان الأشقر، مراجعة همام سعيد، ط3، دار النفائس الأردن، 1418هـ/1998م .

45- فريدمان (ريتشارد)، من كتب التوراة، ترجمة عمرو زكريا، ط1، دار البيان، 2003م .

46- فوك (يوهان)، تاريخ حركة الاستشراق للدراسات العربية و الإسلامية في أوربا حتى القرن العشرين، تعريب عمر لطفي العالم، دار قتيبة-دمشق، 1996م .

47- الفيومي (محمد إبراهيم)، الاستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي، مصر.

48- الكيرانوي (رحمة الله بن خلي الرحمن الهندي)، مختصر إظهار الحق، تحقيق محمد أحمد عبد القادر ملاوي، وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف، 1416هـ/1995م .

49- المبارك (محمد)، بين الثقافتين, دار الفكر، 1980م .

50- محمد (عبد السلام محمد و آخرون)، دراسات في الثقافة الإسلامية، ط5،مكتبة الفلاح- الكويت، 1987م .

51- مراد (يحي)، إفتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1425هـ/2004م .

52-المرتضى (الزين أحمد)، منهاج المحدثين في تقوية الأحاديث الحسنة و الضعيفة، ط1، مكتبة الرشد-الرياض، 1415هـ/1994م .

53- المطيري (حاكم عبيسان)، تاريخ تدوين السنة و شبهات المستشرقين، ط1، مجلس النشر العلمي لجنة التأليف و التعريب و النشر، الشويخ- الكويت،2002م.
54- المعلمي (عبد الرحمن بن يحي اليماني)، التنكليل بما في تأنيب الكوثري من أباطيـــل، ط2، المكتب الإسلامي، 1986م .
55- المقدم (محمد أحمد إسماعيل)، عـــودة الحجـــاب، ط11، دار طيبة للنشر، 1417هـــ .
56- منصور (خيري)، الإستشراق و الوعي السالب، ط5، مكتبة مدبولي، 2000م .
57- الميداني (عبد الرحمان حنبكة)، أجنحة المكـــر الثلاثـــة و خوافيهـــا، ط7، دار القلـــم دمشق،1441هـــ/ 1994م .
58- // // ، التحريف المعاصر في الدين، ط1، 1997م، دار القلم – دمشق .
59- الناصر (محمد حامد)، العصرانيون بين مزاعم التجديد و ميادين التغريب، ط1، مكتبة الكوثر، الرياض1417هـــ/1996م .
60- النملة (علي بن إبراهيم)، مصادر المعلومات عن الإستشراق و المستـــشرقين، مكتبـــة الملك فهد–السعودية، 1993م .
61- الواعي (توفيق يوسف)، دراسات في فهم المستشرقين للإسلام، مجلة العلوم الإجتماعية الكويت .
62- وافي (علي عبد الواحد)، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، دار النهضة-مصر، 1971م .

القواميس و الموسوعات :

1- ابن زكريا (أبي الحسن أحمد بن فارس), معجم مقاييس اللغة, تحقيق عبد الـــسلام عبـــد البديع, وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، 1382هـــ/1963م.
2- ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم)، لسان العرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1426هـــ/2005م .
3- بدوي (عبد الرحمان)، موسوعة المستشرقن، ط3، دار الكتب للملايين، 1993م .
4- أنيس (إبراهيم) و آخرون، المعجـــم الوسيـــط، ط2،ج1، دار الفكر .
5- الزركلي (خير الدين)، الأعـــلام، ط7، دار العلم للملايين، 1986م .

6- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشناوي و آخرون، دار المعارف–لبنان .
7- الرازي، مختار الصحاح، تحقيق أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، 2004م .
8- مجموعة علماء اللغة، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربيـــة و الثقافـــة و العلوم، لاروس، 1989م.
9- مسعود (جيران)، الـــــرائــــــد، ط6، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، 1990م .
10- الموسوعة العربية العالمية، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، الرياض، 1419هــ/ 1999م .
11- نخبة من علماء النصارى، قاموس الكتاب المقدس، إشراف رابطة الكنائس في الشرق الوسط، ط6، 1981م، .

المجــــلات و الندوات :

1- ابن خوجة (محمد حبيب)، السنة النبيوية في العصر الحديث بين أنصارها و خصومها، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد9، 1416هــ/1995م .
2- الأشقر (عمر سليمان)، أضواء على الذين رفضوا الإحتجاج بالسنة النبوية كلها أو بعضها، مجلة الشريعة العدد 6، الكويت سبتمبر1406هــ/ 1986م .
3- بوفلاقة (سعد)، الإستشراق والمستشرقون بين الإنصاف والتجني، مجلة بونة للبحوث والدراسات، العدد الثالث، 1426هــ/2005م .
4- الجندي (أنور)، السنة النبوية في مواجهة الإستشراق، مجلة البحوث و الدراسات الإسلامية، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة و السنة النبوية الدوحة، منشورات المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، محرم 1400هــ .
5- حسن (محمد توفيق)، الفرق بين منهج الغربيين و منهج المسلمين، عالم الفكر، العدد1، وزارة الإعلام–الكويت، أفريل 1979م .
6- حمادو (نذير)، موقف المستشرقين من السنة النبوية، مجلة المعيار، العدد6، جوان2003م .

7- حنفي (حسن)، من الإستشراق إلى الإستغراب، مجلة بونة للبحوث والدراسات، العدد الثالث، 1426هـ/2005م .

8- رضا (صالح أحمد)، في سبيل تأصيل مناهج المحدثين، مجلة الأحمدية، العدد08، جمادى الأولى 1422هـ .

9- السلفي (محمد لقمان)، الإسناد و أهميته في نقد الحديث النبوي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد3، 1405هـ/1985م .

10- طه (عزيه)، من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة، عدد13 .

11- // // ، صور من إفتراءات المستشرق جراهام على الأحاديث القدسية، مجلة الشريعة، العدد21، ديسمبر 1993م .

12- // // ، التثبت في قبول الأخبار و روايتها، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، العدد6، 1406هـ/1986م .

13- عتر (نور الدين)، مناهج المحدثين حدودها غاياتها ومصادرها، مجلة الأحمدية، العدد05، محرم 1421هـ .

14- عتر (نور الدين)، السنة المطهرة و التحديات، مجلة بحوث السنة و السيرة، العدد الثالث 1408هـ1988م .

15- محمد على العمري، منهج المحدثين في النقد وأهمية إستخدامه في إعادة صياغته التاريخ الإسلامي، مجلة أبحاث اليرموك، العدد01، 1991م .

16- قطب (محمد)، قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط2 .

17- مطبقاني (مازن بن صلاح)، الاستشـــــراق، مجلة الدعوة، العدد1621،السعودية، ديسمبر1997م .

18- المطبقاني (مازن بن صلاح)، هل انتهىالاستشراق حقا، مجلة الشريعة والدراسات، العدد43، 1421هـ/2000م .

19- مكي (يوسف)، قراءة في استشراق ما بين الحربين العالميتين، مجلة بونة للبحوث والدراسات، العدد لثالث، 1426هـ/2005م .

20- هرماس (عبد الرزاق بن إسماعيل)، مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، مجلة الشريعة، العدد38 .

النـــــدوات :

21- آل مبارك (أحمد بن عبد العزيز)، المنهج العلمي في تدوين الحديث النبوي، ط1، البحوث المقدمة للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة و السنة النبوية، منشورات المكتبة العصرية الدوحة، 1400هـ/1981م.

22- الديب (عبد العظيم)، المستشرقون والتاريخ، الندوة العلمية عن الإسلام و المستـــشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1، عالم المعرفة جدة، 1405هـ/1985م .

23- زقزوق (محمد حمدي)، الإسلام والإستشراق، الندوة العلمية عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1، عالم المعرفة جدة، المملكة العربية السعودية، 1405هـ/1985م .

24- السايح (عبد الرحيم)، الغزو الفكري في التصور الإسلامي و كيفية مواجهته، ط1، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1424هـ/2003م .

25- الطيرازي (عبد الله مبشر)، نبي الإسلام في مرآة بعض المستشرقين، الندوة العلمية عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1، عالم المعرفة جدة، 1405هـ/1985م .

26- كنون (عبد الله), الحديث و قيمته العلمية و الدينية، المؤتمر الثالث لمجمـــع البحـــوث الإسلامية, مجلة البحوث الإسلامية، الأزهر، أكتوبر 1996م .

27- مالكي (محمد علوي الحسني)، المستشرقون بين الإنصاف والعصبية، النـــدوة العلميـــة عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1، عالم المعرفـــة جدة، 1405هـ/1985م .

28- الندوي (أبو الليث)، نظرة خاطفة على موضوع الإسلام والمستشرقين، الندوة العلمية عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1،عالم المعرفة جدة، 1405هـ/1985م .

29- الندوي (أبو الحسن علي)، الإسلاميات بين المستشرقيين والباحثين المسلمين، الندوة العلمية عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1،عالم المعرفة جدة، المملكة العربية السعودية، 1405هـ/1985م .

30- // // ، المستشرقون والقرآن الكريم، ط1، ضمن البحوث المقدمة للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين بمجمع دار المصنفين بالهند، عالم المعرفة-جدة،1405-1985م .

31- النظامي (خليل أحمد)، عهود متعددة لأفكار المستشرقين و نظرياتهم، الندوة العلمية عن الإسلام و المستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، ط1،عالم المعرفة جدة، المملكة العربية السعودية، 1405هـ/1985م .

الإنترنيت :

1- العمري (أكرم ضياء)، موقف الإستشراق من السنة والسيرة النبوية، www.madina-center.com، مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الإستشراق .

2- سالار (فرهاد ديو)، منهج طه حسين في كتاب في الشعر الجاهلي، WWW.CHABABMR.COM .

3- موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة ، www.mdarat.com .

خلاصة البحث :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد :

منذ أن خلق الله آدم و الحق و الباطل في صراع دائم، و لا زال هذا الصراع إلى أن يرث الله الأرض و من عليها, لأنه سنة كونية في كل عصر و مصر يدور هذا الصراع على أشكال مختلفة بين طوائف شتى، و لما بزغ فجر الإسلام كاد له خصومه من كل حدب و صوب، و رموه عن قوس واحدة رجاء إطفاء نوره أو تزييف حقائقه (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)، و المطلع على كتب التاريخ يجد ذلك جليا واضحا و التاريخ يعيد نفسه، و تلك الأيام نداولها بين الناس، لذا فقد اصطفى الله لشريعته أناسا اختارهم على علم ينفون عن شريعته انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين وإرجاف المرجفين، يستعملهم في دينه إلى أن تقوم الساعة، و في هذا العصر برز إلى الوجود طائفة من الناس عُرفوا بالمستشرقين, وهم دارسون من الغرب عُنوا بدراسة الشرق وعلومه, وهم أصحاب مكانة مرموقة في الجامعات الأجنبية و تأثير عميق على الرأي الخاص والعام في العالم, قاموا بدراسات حول الإسلام والمسلمين , وخرجوا بآراء يحق لنا وصفها بالمثيرة تبعث على البحث والتحقيق, وذلك من حيث مساسُها بالعقيدة الإسلامية, أرادوا بها البحث العلمي وحب الاستزادة من العلم الإطلاع على ثقافة الآخر فيما يبدوا للناظر و القارئ , على الرغم أن هذه الحقائق تخالف كثيرا مما استقر عند المسلمين, مما سطره أعلامها وعلماءها خلفا عن سلف .

ومما يزيد الأمر إشكالا تأثر ثلة من المفكرين بمواقف أولـئك المستشرقين من القرآن و السنة وهذا يعطي وزنا كبيرا لدراساتهم، وبما أنه من العسير زعزعة الثقة في القرآن الكريم اتجهت أنظارهم إلى الحديث النبوي بدراسات عديدة، حاولوا فيها أن يشككوا في منهج التوثيق الذي سلكه علماء المسلمين لذا انبرت أقلام للرد على ما توصل إليه المستشرقون في هذا الجهد وذلك من خلال عرض بعض آرائهم في السند والرد عليها و آثرنا تسمية هذا البحث " **سند الحديث بين مناهج المحدثين و مواقف المستشرقين**", وقد رأيت أن تكون الإشكالية عبارة عن التحقق من إحدى الفرضيتين الآتيتين:

- ما مدى دقة النتائج التي توصل إليها المستشرقون, وهل اعتمدوا منهجا دقيقا للوصول إليها ؟
- وهل يمكن أن يكون منهج المحدثين في حفظ وتوثيق السنة النبوية عرضة للنقد وإمكانية الاستدراك والتصحيح أم كان مبنيا على قواعد سليمة ؟.

ومما لا شك فيه أن الله حفظ القرآن كما حفظ السنة، كيف لا و هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام، زيادة على أن القرآن أحوج للسنة من السنة للقرآن وتلك حكمة الله سبحانه، وهذا موضوع ظاهر فلا داعي للخوض فيه، ومما هو معلوم مشهور أن السنة نقلت عبر القرون حفظا في الصدور و السطور، إذ قيض الله لهذه المهمة رجالا لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذ كر الله، فباعوا الغالي و النفيس في سبيل حفظ سنة نبينا صلى الله عليه و سلم، فخشيتهم و تحريهم و رحلاتهم لجمع السنة وبحثهم عن أحوال الرجال و غيره من العناء, لا يقدره إلا من جرب هذا العلم الشريف، ووقف على حالهم و أحوالهم في ظعنهم وإقامتهم، لأن أساس حفظ السنة هو سند الحديث و الذي هو عبارة عن سلسلة من الرواة ينقل الحديث لاحقهم عن سابقهم حتى يصل إلينا، وتحتاج معرفة وثاقة الحديث من عدمها إلى صبر أغوار رواته حفظا و فهما و عدالة و ضبطا و معاصرة على ما تعارف عليه علماء هذا الفن من قوانين الرواية، وهذا كي يصل إلينا الحديث صافيا نقيا من الدس و التحريف.

و قد آثرنا أن نبدأ بالكلام على بعض المصطلحات المهمة في هذا البحث، و التي تكون مفتاحا لما استغلق من العنوان، ثم تكلمنا على نظام السند عند المسلمين و مدى أهميته في حفظ السنة النبوية المطهرة و كلام العلماء فيه، كما عقدنا شبه مقارنة بين نظام السند عند أهل الكتاب، و أثبتنا أنه لا سند لهم لتوثيق المنقولات عن أنبيائهم، و أن نظام الإسناد انفرد به المسلمون دون سائر الأمم فضلا من الله و نعمة .

ثم تطرقنا في الفصل الثاني إلى معرفة كنه الاستشراق و المستشرقين، و أن الإنسان الذي أراد دراسة علوم الشرق هو المستشرق و أنه طال جميع المجالات

الإسلامية لإضعاف و تشويه حضارة الإسلام دينيا و تاريخيا و سياسيا و ثقافيا و اقتصاديا و تجاريا، معتمدا في ذلك على عدة دوافع و في مقدمتها الدافع الديني و الإستعماري و السياسي، و آخرها الدافع العلمي، و أن حب الإستعمار و التسلط رافق الاستشراق في جميع مراحله، و أن الإنصاف كان عزيزا جدا فيهم، كما تناولنا أصناف المسلمين اتجاه الاستشراق و خرجنا بنتيجة و هي أنه ليس هناك مستشرق منصف من الذين درسنا سيرتهم، لأن ما ألفوه و سطروه كان بنية خدمة أغراضهم الشخصية، و لم تكن لهم نية مستقيمة أصلا لخدمة الإسلام و المسلمين .

كما تناولنا في الفصل الثالث أهم أساطين الاستشراق الذين تكلموا عن السيرة النبوية عامة و عن الإسناد بصفة خاصة، و هما غولد زيهر و جوزيف شاخت، و الأخير تبع للأول وعالة عليه في شبهه كلها، و نستطيع القول أنه لا يوجد مستشرق خرج بنتائج انفرد بها عن غيره إلا غولد زيهر، و كل المستشرقين عالة عليه في هذا الميدان، كما تطرقنا إلى أهم كتبهم و مؤلفاتهم بخصوص الإسلام و المسلمين، و في هذا الفصل الذي يعد لب الموضوع ولبابه, تناولنا أبرز الشبه التي بنى عليها المستشرقون مناهجهم و آراءهم و مواقفهم , و في الفصل الرابع و الأخير تناولنا ثلة من أبرز المفكرين الذين أسسوا صرح الثقافة العربية, و رغم ذلك فقد وقعوا في شرَك الاستشراق وحباله, والسعيد من وعظ بغيره, ومنهم طه حسين وأحمد أمين وأبو ريه وغيرهم كثير, وذلك لكي نكشف عن حقيقة لطالما تجاهلها الكثير, لأن هؤلاء المفكرون قد أُحيطوا بهالة من التقديس حالت دون مسهم بسوء, والأولى إتباع الحق حيثما ظهر.

و قد تمحورت شبه المستشرقين على النقاط التالية :

– سند الحديث و عدم جدواه في حفظ و استظهار السنة النبوية .

– الإدعاء بتأخر التدوين و ضياع العلوم المنقولة بغير تدوين أولي لها، مما حدى بهم إلى إنكار التركة الحديثية المنقولة عن جلة الصحابة جيلا بعد جيل .

– فتح باب عريض جدا تمثل في الوضع في الحديث و سهولة ذلك لتأخر التدوين، مما جعل الأحاديث النبوية المنقولة بالسند لا ترقى إلى درجة الإحتجاج .

- وصم الشريعة الإسلامية بأنها متغيرة و متطورة و غير ثابتة في أصولها، لأنها تعرضت للزيادة و النقصان من جراء كثرة الوضع و تأخر التدوين .
- رمي المنهج الإسلامي النقدي بالقصور و التذبذب .
و بعد دراسة هذه المواقف من المستشرقين تبين لنا ما يلي :
- أن استعمال السند كان في فترة زمنية متأخرة عن وفاة النبي صلى الله عليه و سلم، و كان استعماله للتأكد من سلامة المروي و النظر في الراوي و حاله من حيث العدالة و السلامة من القوادح المعلومة لدى أهل هذا الفن .
- أن التدوين و إن تأخر فعلا لا ينفي وجود الكتابة و الفرق بينهما جلي.
- أن الأحاديث النبوية لم تحفظ بالسند و التدوين، و إنما حفظت بواسطة الصدور الواعية و الذاكرة الوقادة التي حبى الله بها صحابة رسول الله، و اعْتَبِرْ ذلك بحالهم في الجاهلية و حفظهم أنسابَهم و أشعارهم و مواقعهم.
- أنه يستحيل نحل الأحاديث و وضعها بهذه السهولة التي أسس لها المستشرقون، و الذي يحول دون ذلك المدارس الحديثية المعروفة, وذلك بسهولة معرفة مخارج الحديث و رواته مما يغلق الباب أمام الوضاعين .
- رغم وجود الوضع حقيقة لا ينبغي تجاهل هذه المؤلفات التي ذكرنا بعضها في غضون البحث في الرد على هذه الشبهة، و حال المستشرقين في هذا المجال كالذي ينكر ضوء الشمس في رائعة النهار .
- أن تطور الحديث أو بالأحرى الشريعة الإسلامية بالمفهوم الذي روج له المستشرقون أباطيل، و إنما الشريعة الإسلامية أصولها ثابتة مع مرونتها من خلال الإستنباط، مع صلاحيتها لكل زمان و مكان .
- أن منهج النقد عند المستشرقين ينبني على الدس و التضليل و تبديل الحقائق و تزييفها، و هي بحق كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، و ما نقلناه عنهم من هذه الأباطيل غيض من فيض و قطرة من بحر، لذا فإنه يصلح أن يطلق عليها مواقف لا غير، لأنها تعبر عن أصحابها و ليس لها صلة بالبحث العلمي الأصيل .

- دقة المنهج السندي عند المسلمين، و ذلك من خلال نقد الراوي و المـروي، و القواعد التي وضعت لذلك حيث تعد المكتبة الحديثية أوسع مكتبة في الإســلام، و كل ذلك من أجل حفظ السنة النبوية من التغيير و التحريف .

- أن النقد الإسلامي للمرويات الحديثية اعترف بــه القاصــي و الــداني، حتــى المخالفون أنفسهم و الخير ما شهدت به الأعداء .

وأخيرا وليس آخرا نرجو من الله أن تتضافر الجهود مِن بني جلدتنا في إهباط هذه المؤامرة التي تهدد الــشباب الإســلامي وذلــك بتــأليف وتحقيــق الكتــب والموسوعات والقواميس المختلفة خاصة منها التي أصبحت قبلة الشباب لمعرفــة دينه , والله أعلى وأعلم .

Abstract research

Praise be to God, prayer and peace messengers Since allah created Adam and right and wrong in a conflict lasting,the conflict between the different forms of various communities, and the dawn of Islam Almost all of his opponents and towards the side, and thrown on the market and please put one light or falsification of facts (they want to extinguish the light of Allah with their mouths but Allah compleat his light),"verse:tawba:32" and if we seen the history books found that was clear, and history is repeating his self, and in this time came into being a the orientaliste of people knew,they Scholars from the West are meant to study the east and thier Sciences, who are owners of its prestige in foreign universities and profound impact on the private and public opinion in the world, their studies on Islam and Muslims, the views of left and right we are all so described on the research and investigation, in terms of attacking the Islamic faith, Wanted by the further scientific research and love of science to learn about the culture of other apparently headmaster and the reader, despite the fact that contrary to much of what Muslims knew on the Islam and his messenger.

It is even more problematic is a group of intellectuals influenced by the positions of those Orientalists of the Koran and the suna and this gives considerable weight to studies, and it is difficult to shake confidence in the Holy Quran turned its attention to the Hadith numerous studies, they tried that questioned the approach taken by the documentation of Muslim Scholars therefore the findings of the Orientalists in this effort, through some of the views of Sindh and respond to the nomination and chose this research, " The ISNAD OF HADITH BETWEEN METHODES MOHADITHINE AND ATTITUDES OF THE ORIENTALISTS "

I have seen that the problem is a verification of the two following premises:

Orientalists, it adopted a careful approach to reach them?
- Can a modern approach in preserving and documenting the suna open to criticism and the possibility of being aware of and correction or was based on the rules of sound?.

There is no doubt that God is keeping the Koran as keeping the suna, because the suna is the second source of the sources of legislation in Islam, the Koran increase in the bad suna the suna of the Koran and the wisdom of God, a subject apparently there is no need to go to explin this, and what is known suna quoted over the centuries preserved in the hearts and lines, Research precious to keep suna and for the conservation of our Prophet Mohammad and peace, and investigating and trips to collect the suna The search for the men and other conditions of hardship, not only appreciated Try this science-Sharif, a moratorium on their experience and their Zanhm and stay in, because the basis for keeping the bill of the year was the talk and which is a series of narrators convey the modern pursuit of Sabgahm to reach us And require knowledge and modern relevance of whether the depths of Roath patience and understanding and to preserve justice and restraint and to get acquainted with contemporary scientists in the art of the laws of the novel, which is up to us to talk pure net of corruption and dirty.

And chose to begin to speak to some of the terminology in this important research, and which are key to the incomprehensible title, and then talk to the Muslim authority and relevance to the maintenance of the Sunnah of the Prophet's scientists and cleared it, and we comparison between the authority When the people of the book, and we have proven that the bill closer to them to be pleased with the movables, and that the reference system by himself without other

Muslim nations as well and a blessing from God.

We dealt then in the second quarter to know but Orientalism, and that man, who wanted to study science and orientalist East is that long all areas to weaken the Islamic civilization of Islam and distort the religious and historically, politically and culturally and economically and commercially, drawing on several Motives and motivation in the forefront of colonial and religious and political motive and the latest scientific and love that accompanied colonialism in all stages of Orientalism, and that equity was very dear, and they are also dealt with items of Muslims and the direction of Orientalism and the outcome emerged is that there is no Orientalist who studied the fair their curriculum, because what Madder and Stroh was the intention of their personal service, and they were not originally straight intention to serve Islam and Muslims.

It also dealt with in the third quarter the most important masters of Orientalism who spoke on the Biography of the Prophet and the general support, in particular, and the Gold Zehr and Joseph Schacht, and the latter followed the first, and likened dependent on the whole, and we can say that there is no Orientalist himself drew conclusions about the However, other Gold Zehr, and all the Orientalists burden in this field, as well as discussion of the most important books about Islam and Muslims, and in this chapter, we dealt with the most similar to that built by the Orientalists and their own curriculum and their attitudes and opinions. In the fourth and final chapter dealt with a group of leading intellectuals who founded the Arab culture, said, and although it has fallen into the trap of Orientalism, happy and of other exhort, including Taha Hussein, Ahmed Amin and Abu Raya and many others, in order to uncover the truth about the many long ignored Because those intellectuals have taken a halo of Sanctification prevented contributor ill, and the first to follow where the pronunciation right. . The

conclusion of this research is:
-al-isnad is not useful in conservation and invoke Koran.

- The late filing and prosecution of Sciences transmitted without loss of codification preliminary, what turned them to deny the legacy Alhdithip timid companions transmitted from generation to generation.
- The opening of a very broad section of the situation in a modern and easy to delay filing, making the hadith transmitted not up to the level of protest.
- Stigmatization of the Islamic Sharia as a changing and devloping and non-fixed assets, as it was for the increase and decrease as a result of the situation and many delayed filing.

- Throw the Islamic curriculum and inadequate monetary fluctuation.

After examination of the attitudes of the Orientalists shows us the following:

- The use of isnad was in the late period of time for the death of the Prophet Mohammad and peace, and was used to ensure the safety of the Oral and consideration of the narrator and the same in terms of justice and safety information to the people of this art.
- The filing and is already delayed and does not negate the existence of writing and obvious difference between this.

- That the Prophet did not talk reservation Sindh and codification, and it kept informed by the publication and memory of friends prophet that the God of the Companions of the Prophet of God, and as they are considered in ignorance and save them to Onsabhm and notified and their positions.

- It is impossible to talk and solve this by the ease with which the foundations Orientalists, and whoo preventing this schools of hadith and easily learn to talk and exits Roath, which closed the door to layers.

- Despite the presence of the situation should not ignore the fact that we have some literature within research to respond to this charge, and if the Orientalists in this area such as denying the light of the sun in a wonderful day.

- The development of modern Islamic law or rather the concept promoted by the Orientalists baseless and misleading, only Islamic law firm with assets of flexibility through Extrapolating, each with their time and place.
- Criticism that the approach at the Orientalists based on deception and dirty and falsification of facts and change, so it works So that the positions only because they reflect the owners and had nothing to do with true scientific research.
- The accuracy of the approach the isnad in the islam, and that criticism by the narrator and narrated, and the rules established for that which is a broader library Alhdithip Library in Islam, and all for keeping the Sunnah of the Prophet of change and corruption.
- That the criticism of prophets hadith in Islamic are recognized and acknowledged, even in conflict with themselves .

Last but not least, we hope to God that the concerted efforts of our fellow in this conspiracy which threatens the Islamic youth in writing books and encyclopaedias and dictionaries of different ones, which become particularly young people to learn religion and knew the facte of orientalism .